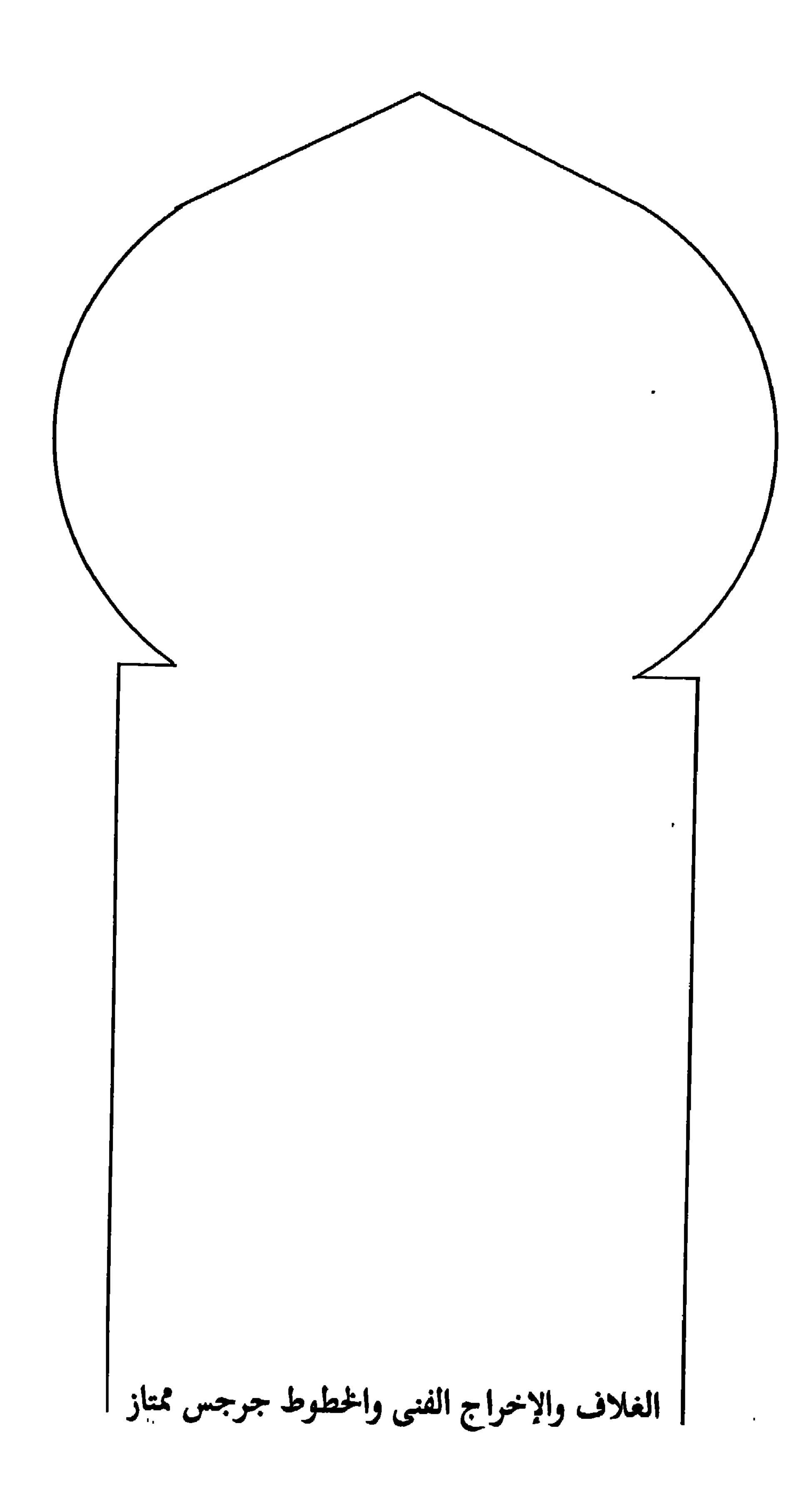
د. السيد كريم



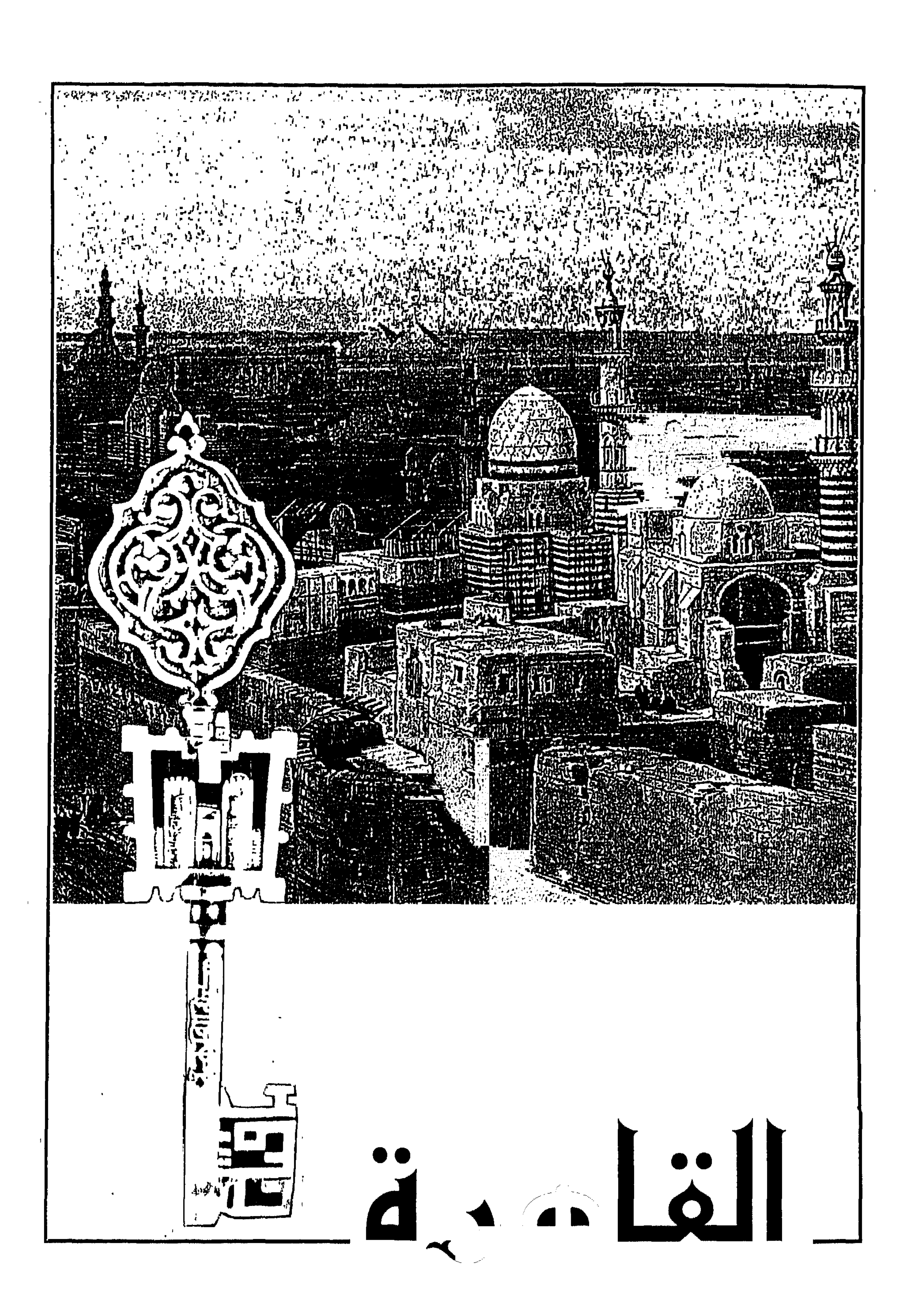
القاهرة

عمرها ٥٠ ألف سنة!

د. سيد كريم



الغلاف والإخراج الفنى والخطوط جرجس ممتاز



القاهرة

عمر القاهرة ، هو عمر الحضارة الإنسانية .. لقد اكتسبت مكانتها وتأثيرها على مختلف الحضارات وتأثرها بمختلف المدنيات، بفضل موقعها الاستراتيجى الذى اختاره لها أهل مصر منذ فجر الحضارة وشروق المعرفة، وعن طريق خطوات الاستقرار والترسيخ الحضارى ، فأثبتت شخصيتها المتفردة القوية عبر تاريخها الطويل.

لقد تميزت القاهرة التى امتد عمرها إلى خمسين قرنا من الزمان عن بقية العواصم التاريخية القديمة بصفة الاستمرار ، فشكل تطورها سلسلة متماسكة الحلقات نسجت مراحل تطورها وتخطيطها وتعميرها الذى كتب قصة تاريخها الواقعى ، لم يتغير منها خلاله سوى اسمها الذى تغير مع موجات الفتح والانفتاح .

بقيت جذورها خلال ذلك الطريق الطويل ثابتة فى مكانها أو فى أرض نشأتها رغم استمرار فروعها فى الامتداد والانكماش ،، مما أكد أصالة جذورها وعراقة فروعها مما يفسر تسمية مؤرخى العرب لها «بأم الدنيا» ـ و «تاج البرية» و «مدينة المدن» و «المدينة المحروسة» و «حاضرة الدنيا» .

مقبرة أقدم ساكن بالقاهرة من العصر البليتوسيف «عين شمس»



لقد أجمعت المراجع التاريخية عن الحضارة المصرية، أن أول عاصمة لمصر كانت مدينة «أون» أول عاصمة لوحدة القطرين ، أو عاصمة البلاد الموحدة، وكان ذلك فى عهد ما قبل الأسرات ، أو ما أطلق عليه عصر النقادة الثانية عام ٤٢٤٠ ق . م ، وهى الوحدة السياسية التى كان أبطالها من أهل الدلتا، وأطلق عليهم فى برديات تورين، وحجر يالرمو، بأنصاف الآلهة عبدة حورس.

وكانت «أون» أو هيليوبوليس ، وهو الاسم الذى أطلقه عليها الإغريق ، ومعنى كلمة أون مرصد أو برج رصد الشمس وقبة السماء ، وقد حرفت أون إلى عين وأضيفت إليها شمس إله المعبد فأصبحت عين شمس.

ولا يعتبر ذلك التاريخ هو تاريخ نشأة مدينة أون، فقد كانت فى ذلك الوقت مدينة متكاملة تمتد من أرض النعام بالمطرية التى كانت بها الغابات المقدسة التى

تحوى أشجار البلسم وأخشاب البخور ، ويربى بها النعام المقدس ، وما زالت تحتفظ باسمها إلى الآن، ثم منطقة هيليوبوليس أو مرصد أون، التى كانت تحوى أكبر جامعة وتمتد إلى منطقة المعادى التى كانت تحوى إحدى المناطق السكنية والإدارية وتمتد إلى حل أون أو جنوب أون والتى حرف اسمها إلى حلوان الحالية.

* قد اختلف المؤرخون فى تحديد العصر الذى أنشئت فيه مدينة أون القديمة، فنسبها البعض إلى العصر الحجرى القديم بالنسبة إلى حفريات حلوان والمعادى ، أى فى عصر النقادة الأولى والعصر العمرى الذى يرجع إلى ٦٠٠٠ سنة ق . م .

من تلك العاصمة .. خرج أول مذهب دينى لتفسير الوجود ومنها خرج أول تقويم شمسى عرفته البشرية ، الذى حدد السنة بـ ٣٦٥ يوما وربع اليوم، وفى جامعاتها تخرج أمحتب وأخناتون ، وعلى يد علمائها تتلمذ أساطين الإغريق وعلماؤهم وفلاسفتهم .. ومنها نقلت المسلات التى تتوسط عواصم العالم الحديث كلندن ونيويورك وروما وباريس ..

كما اعترف لها تاريخ المدن بأنها تميزت بالاستمرار، وامتدت إلى عدة مناطق أخرى شمالا وجنوبا، أو عبر شاطئ النيل إلى الضفة الغربية، ولكن مركز نشأتها أو نواة تكوينها بقيت مكانها .

ومن البديهى أن مدينة أون المتكاملة التى كانت تمتد بطول ٤٠ كيلو مترا ، لم تكن هى بداية نشأة المدينة أو تاريخ ميلادها ، بل كانت مرحلة من مراحل تاريخها الطويل الذى تمتد جذوره إلى أبعد أعماق التاريخ والحضارة الإنسانية .

رغم أن وثائق بحوث تاريخ المدن، قد حددت عمر كل عاصمة من عواصم العالم التاريخية القديمة ـ وتقع القاهرة على رأس القائمة وتسبقها بمراحل ـ إلا أن المنافسة والسباق بينها ما زال قائما فى مجال المؤتمرات الدولية، حيث تحاول كل مدينة أن تثبت أصالتها وعراقتها، بالرجوع إلى شجرة العائلة وما ارتبط بها من أساطير وقصص . وجذور الشجرة وما كشفه علماء الآثار من حفريات، حتى تخطو خطوة أكثر بعداً فى سباق الأقدمية بما يضعه لها الباحثون من أسس ونظريات جديدة لتقدير عمرها .

من بين النظريات التى وضعها أحد مؤتمرات تاريخ المدن الذى انعقد فى مدينة فينا قبل الحرب الأخيرة ، نظرية المعالم الحضارية الإنسانية أو حفريات آثار التجمع الإنسانى فى المدينة نفسها واعتبارها نقطة البداية فى تحديد تاريخ نشأتها.

إذا طبقنا تلك النظرية على أصل مدينة القاهرة، بالرجوع إلى الحفريات والبحوث التى سجلها كل من يوفبيه كايبير وفلاندريترى عن أصل الحضارة المصرية التى وجدت أقدم حفرياتها وأثر الحضارة بها فى ثلاث مناطق وهى: حلوان والعباسية وعين شمس ، وترجع جميعها إلى العصر البليسبنى .

أى ما يقرب من ٥٠ ألف سنة وتدخل تلك الحفريات الثلاث ضمن حدود مدينة أون الفرعونية القديمة وتعتبر وفقا لتلك النظرية أحجار الأساس التى تحدد عمر مدينة القاهرة ، وهو خمسون ألف سنة .

إذا رجعنا إلى جذور نشأة المدينة تاريخيا نجد أن أقدم مدينة ذكرت فى الأساطير الفرعونية القديمة، كانت مدينة الإله الخالق عندما خلق أرض مصر المقدسة، وأطلق عليها اسم (جب بتاح) أى (أرض الإله)، وهو الاسم الذى أطلق على مصر فيما بعد ، فذكر هيرودوت أن اسمها اجيبتوس والتى تحولت إلى Egypt فيما بعد .

● المؤرخ المصرى القديم «مانيتون» الذى كان له الفضل فى تسجيل قوائم تاريخ الحضارة المصرية وقسمها إلى أسرات وعهود حدد بدايه الحضارة بنزول كتاب التوحيد بمعبد اون عام ٩٥٠٠ق م. وهو التاريخ الذى حدد به تاريخ انشاء مدينة «اون» اول عاصمة أقيمت على أرض مصر التى أطلق عليها اسم «جب بتاه» أى ارض الإله والتى أطلق عليها فى الوقت نفسه اسم «كاهى رع»
أى انفاس روح الإله (القاهرة) وما زالت تحتفظ به إلى الآن، بذلك يكون عمر القاهرة الرسمى ما يقرب من اثنى عشر ألف سنة.

وأقدم تاريخ مسجل للمدينة التى نشأت مكان مصر القديمة عندما أطلق عليها الفراعنة اسم حرى عحا (أى ميدان القتال) وترجع إلى سنة ٦٣٢٥ ق.م وهى التى يبدأ من عندها تاريخ اون ومراحل تطورها عبر التاريخ .


لوحة انتصار نارمر فى معركة جرعخا ٣٢٠٠ ق.م.

● حرى عحا (ميدان الحرب) ٦٢٢٥ ق.م.:

كانت مدينة عسكرية تحيط بها أسوار من الطوب النىء، وقد وضع قدماء المؤرخين بالنسبة لاختيار اسمها تفسيرا ميثولوجيا ارتبط بالأساطير الدينية القديمة وأسطورة الخلق، فأطلقوا عليها اسم ميدان الحرب الذى قامت فيه المعركة ببين حورس بن أوزوريس وست إله الشر، الذى قتل أوزوريس ليمنع حورس من ارتقاء العرش، وهذا التصور الميثولوجى يفسر أسطورة أنها كانت مدينة الآلهة، كما يعبر فى الواقع عن معارك القطرين التى بدأت عام ٦٥٠٠ق . م ومعارك أهل وادى النيل مع البدو المغيرين من الصحراء الشرقية للوصول إلى النيل والسيطرة عى خيراته أو سلب سكانه.

وقد ذكر مؤرخو الإغريق أن اختيار ذلك الموقع لأول مدينة أو عاصمة فى مصر ، كان لاعتبارات استراتيجية جغرافية وحربية ، فهى تقع عند نيل الجنوب مع تفرع أنهار الدلتا، أو نيل الشمال ، يحميها من ناحية الشرق جبل المقطم ، كما أن موقعها المرتفع يحيمها من خطر الفيضانات .

.. وهكذا كان أول اسم للعاصمة مصر أو اجيبتوس الذى أصبح اسم الدولة بأكملها ، ومازالت كلمة مصر تطلق على القاهرة إلى الآن .

أما مدينة حرى عحا (حرى رع ، حا) ومعناها ميدان القتال ، وكانت تقع مكان مصر القديمة الحالية والتى حلت قلعة بابيلون وأسوارها محل أسوارها ، وهى المدينة التى انتصر فيها نارمر فى معركة وحدة القطرين الثانية، والذى أطلق عليه اسم مينا أول ملوك الأسرة الأولى ، فكانت فى الواقع تعتبر المدينة العسكرية للدفاع عن أون العاصمة المقدسة. واستولى نارمر عليها عام ٥٦٠٠ ق . م ومنها نقل عاصمة ملكة إلى الضفة الغربية جنوب منف، وأطلق عليها اسم الأسوار البيضاء (أنب حز) ، وأقام فى وسطها معبدا للإله بتاح وهو إله منف ، وقد بلغت هذه المدينة أوج عظمتها وازدهرت فى عهد ملوك الإمبراطورية القديمة وامتدت إلى (أبو صير والجيزة وأبو رواش).

وفى عهد الأسرة السادسة ٤٨٠٠ ق . م، أنشئ حى جديد جنوب «الأسوار البيضاء» ، حيث أنشأه الملك بيبى الأول، وجعله مقر ملكه، وشيد بالقرب منه هرمه الذى أطلق عليه اسم (من نفر) ، أي الجمال الخالد، وانتقل ذلك الاسم ليطلق على المدينة بأكملها ، أى العاصمة وتطور ذلك الاسم إلى كلمة منف بالقبطية والعربية ومنفيس باليونانية .

وقد تقهقرت مكانة منف قليلا فى عهد ملوك الدولة المتوسطة والإمبراطورية الحديثة، عندما أسسوا عروشهم فى طيبة وجعلوا منها عاصمة للبلاد وجعلوا آمون إلها رسمياً لها.

فى عهد الأسرة العشرين كان معبد بتاح إله منف أكبر المعابد فى مصر .

لقد تعرضت منف لكثير من أحداث التاريخ وما ارتبط بها من عوامل التخريب ، فوقعت فى أيدى بعانخى الأثيوبى ثم الآشوريين، وذلك فى الحروب التى قامت بعد الأسرة الثانية والعشرين .

واستولى عليها قمبيز ملك الفرس، بعد انتصاره على مدينة الفرما وتغلبه على بسماتيك الثالث عام ٥٢٥ ق . م ، وحافظت منف على أهميتها ومكانتها بعد تأسيس مدينة الإسكندرية عام ٣٣١ ق . م .

وفي عهد تيودوسيس، أصدر أمرا بتخريب معبد بتاح، وهدم جميع التماثيل التى كانت تزين المدينة عام ٣٨٠م .

وكانت مدينة منف مقرا للمقوقس زعيم القبط عندما كان يتفاوض مع عمرو بن العاص .

ثم نقل الفاتحون العرب مقر حكمهم مرة أخرى من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية من النيل ، حيث أنشئوا مدينة الفسطاط مكان (حرى عحا) وبابليون، واستعملوا الحجارة التى كانت فى مبانى عاصمة الدولة القديمة فى تشييد مساجدهم وقصورهم وقلاعهم .

وقد كانت منف تثير الإعجاب حتى أن أحد كتاب العرب وصفها بأنها كانت تحوى الكثير من العجائب التى يحار لها العقل .

• بابليون ١٣٠٠ ق .م :

قام بإنشائها رمسيس الثانى واتخذت اسمها من أسرى البابليين الذين ثاروا عليه، فبنى القلعة التى اعتقلهم فيها وسميت باسمهم . ثم أطلق الاسم على المدينة بأكملها، وقد وجدت بين أنقاض وحفريات الحصن بعض الأوانى والأدوات الحربية التى ترجع إلى ما قبل الأسرات ، والتى يرجح أنها تعود إلى حرى عحا القديمة .

وقد ذكر مانيتون أنه وجد بين أنقاضها حجرا يحمل ختم مينا ، كما اشتهرت بابيلون فى العصر الرومانى فى عهد الإمبراطور أغسطس . كذلك قام الإمبراطور تراجان بإعادة بنائها عام ١٣٠ ق . م ، وحول الحصن إلى مدينة عسكرية . كما لعبت بابيلون دورا مهماً فى العصر القبطى ، ويحتفظ حصن بابيلون بذكريات المسيحية الأولى، فيضم بين أرجائه مجموعة من الكنائس أهمها كنيسة القديس سرجيوس، التى لجأت إليها العائلة المقدسة عندما لجأت إلى مصر ، وتعتبر أقدم كنيسة فى العالم المسيحى ، وكنيسة القديسة بربارة ، والكنيسة المعلقة التى أقيمت بين برجين رومانيين ، وكنيسة مارجرجس .

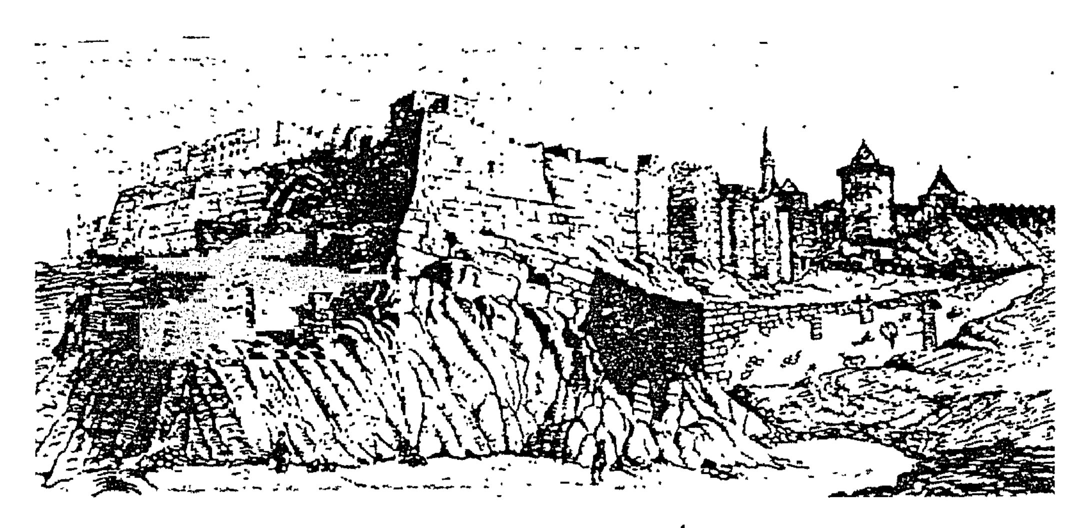
وفى بابيلون بدأ نظام الرهبنة فى المسيحية التى نقلها الأقباط عن الفراعنة ، وانتقلت من مصر إلى مختلف أنحاء العالم المسيحى.

كما بدأ فى القاهرة أيضاً نظام التصوف، الذى خرج بدوره من مصر إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى.

• الفسطاط ٦٤١ م

أنشأها عمرو بن العاص فى المكان الفسيح الذى يقع شمال حصن بابليون، وقد اتخذت الفسطاط اسمها من خيمة عمرو بن العاص التى أقامها فى وسط معسكره ويطلق على الخيمة اسم «الفسطاط»، وتحكى قصة إنشاء المدينة أن عمرو ابن العاص عندما أراد أن يزحف بجنوده لاحتلال الإسكندرية وفك خيمته «وجد أن يمامة بنت عشها فوقها واحتضنت صغارها .. فتفاءل بوجودها وأمر بإبقاء الفسطاط مكانه ورعاية اليمامة حتى تكبر صغارها ويكسو أجنحتها الريش.

ولما تم له الاستيلاء على الإسكندرية، عاد إلى معسكره فى بابيلون، حيث ترك فسطاطه قائماً، وحوله خيام بعض الحرس، فوجد أن المنطقة إنما أصبحت آهلة بالسكان الذين بنوا مساكنهم وأكشاكهم، فأمر بتخطيط المدينة لتكون عاصمة الإسلام بدلاً من الإسكندرية واختار لها اسم الفسطاط خيمته المباركة التى عششت فوقها يمامة الخير والبركة.



أسوار بابليون القديمة ١٢٠٠ ق.م.

وفى وسط المدينة قام ببناء مسجده «إمام المساجد ومطلع الأنوار» الذى اشتهر بمناراته الأربع، وهى أول مآذن عرفتها مساجد الإسلام ، كما كان به أول منبر فى مساجد المسلمين، وعنه انتقلت المآذن والمنابر إلى مختلف مساجد العالم الإسلامى التى بنيت فيما بعد.

وقد وصف الفسطاط مؤرخو العصور الوسطى بقولهم «وشوارعها مرصوفة مسلوكة ، ومنازلها فسيحة تتوسطها نافورات المياه والحدائق الداخلية التى انتقلت من الفساط إلى المغرب والأندلس فيما بعد . كما كانت المساكن ترتفع إلى خمسة أدوار، ووصل بعضها إلى سبعة أدوار ، وربما سكن الدار الواحدة مائتان من السكان ، وكان بها كثير من الحمامات ونافورات المياه» .

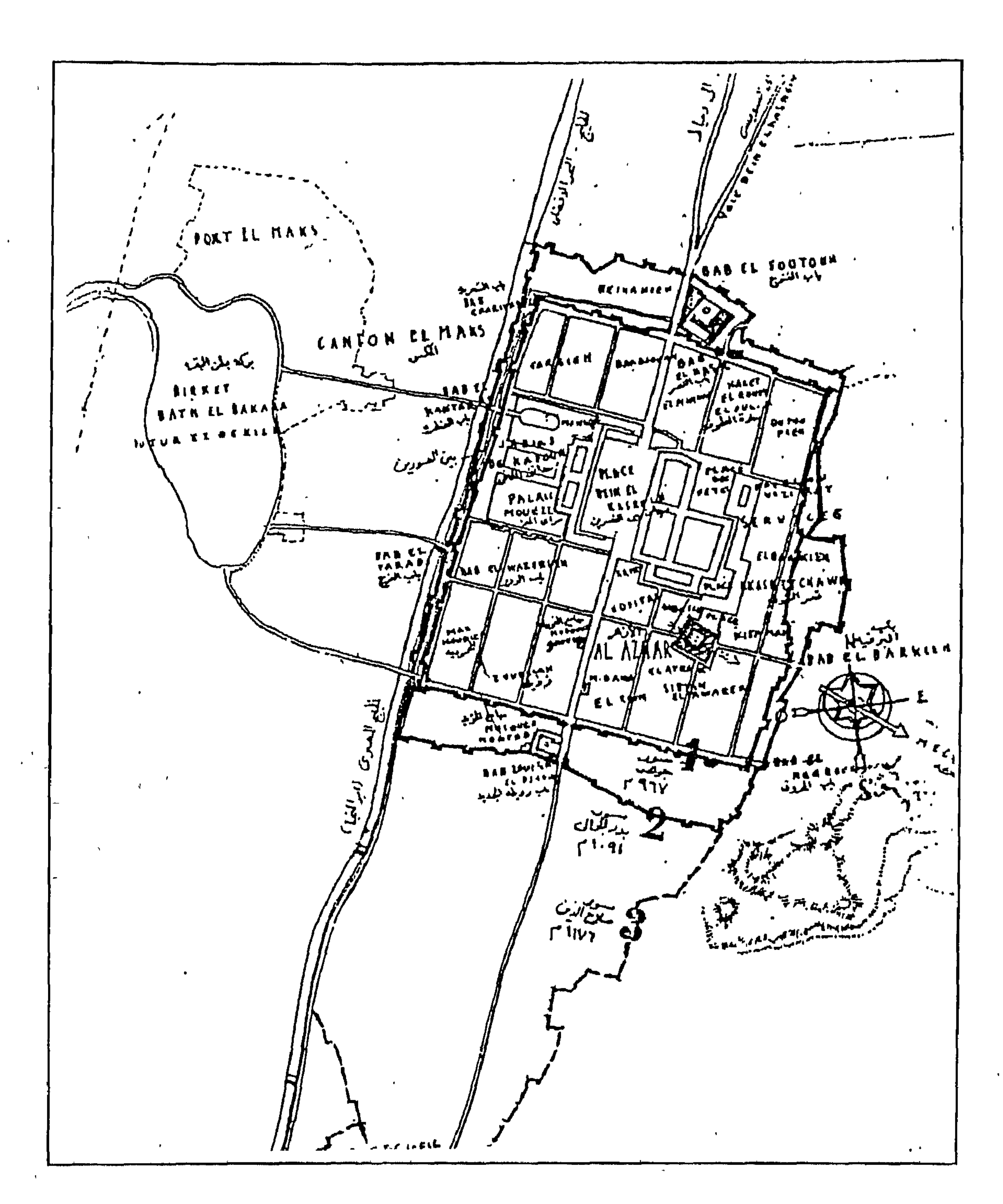
وقد تعرضت الفسطاط لكثير من عوامل التخريب، كان آخرها حريقها المشهور عام ١١٦٨م .

• العسكر ٧٥١ م

عندما انتقل الحكم إلى العباسيين أسسوا عاصمتهم فى مكان عرف باسم الحمراء القصوى بجبل يشكر بالقرب من جبل المقطم فى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط ، على الطراز العباسى، حيث يتوسط المدينة «المسجد الجامع» وبجواره دار الإمارة وثكنات الجند أو دار العسكر منه اتخذت المدينة اسمها، وبنوا مساكنهم حول الثكنات تحيط بها مساكن الموظفين .

• القطائع ٧٨٠م

مدينة العهد الطولونى التى أسسها أحمد بن طولون ويرجع اسمها إلى نظام تخطيطها الذى نقله ابن طولون عن مدينة سامراء التى عاش سنى شبابه فيها . وهو التخطيط المتقاطع المكون من قطع سكنية كل منها لجماعة من السكان تربطهم رابطة أو طبقة أو مستوى واحد ، يطلق عليها اسم القطع ، ويتوسط المدينة مسجد ابن طولون الجامع الذى يعد من أكبر مساجد العالم الإسلامى وأروعها وتبلغ مساحته ٢٦٥٠٠متر مربع، واشتهر باسم الجامع المعلق إذ يصعد إلى أبوابه بدرجات دائرية الشكل . وقد ذكر بعض المؤرخين أن تصميم الجامع وضع بناء على رغبة ابن طولون، ليكون مماثلا لمسجد الكعبة بمكة وأروقته ، وأن تكون له منارة مشابهة لملوية سامراء ذات السلالم الحلزونية الخارجية.



خريطة لأسوار القاهرة فى العصر الإسلامى

وقد حل جامع ابن طولون محل جامعة ابن العاص، كمركز للثقافة الإسلامية ، كما أنشأ ابن طولون أول مستشفى ومعهد للطب والصيدلة فى مصر، فى منطقة البساتين، واشتهرت المدينة فى عصر خمارويه بالانتعاش الاقتصادى والازدهار الفنيى وما وصلت إليه من مظاهر الترف والبذخ التى تجسمت فى المدينة وحياة مجتماعاتها التى وصفها مؤرخو العصور الوسطى بما يشبه ليالى ألف ليلة وليلة..

وصفوا قصر خمارويه، الذى كسيت جدرانه بألواح الذهب المزخرف بالميناء والأحجار الكريمة، وتتوسط حديقته فسقية ملأها بالزئبق ونصب عليها مخدعه أو «أرجوحة الهنا» ووصفوا أشجار ميدان الاستعراض التى تكسو جذوعها ألواح النحاس المذهب والفضه وغيرها، من قصص جهاز قطر الندى بنت خمارويه وزواجها إلى الخليفة العباسى، وانعكاس الأفراح والأعياد على المدينة ومجتمعاتها.

قاهرة الفاطميين: (قاهرة جوهر الصقلى) ٩٦٩م

اتخذت اسمها من «النجم القاهر» الذى بزغ فى سمائها عند وضع حجر أساسها. تبلغ مساحتها ٣٤٠ فداناً، بُنى حولها سور من اللبن مربع الشكل تقريباً، طول كل من ضلعيه الشمالى والجنوبى ١٥٠٠ ذراع، وضلعيه الشرقى والغربى ١٧٠٠ ذراع، وبكل ضلع من أضلاع السور بوابتان فالضلع الشمالى ويواجه الأرض الفضاء والمزارع، به بابا النصر والفتوح، والشرقى يواجه المقطم وبه بابا البرقيية والقراطين، والجنوبى ويواجه الفسطاط عند باب الخلق، وبه بابا زويلة (المتولى) والفرج، والغربى ويواجه الخليج وبه بابا القنطرة وسعادة.

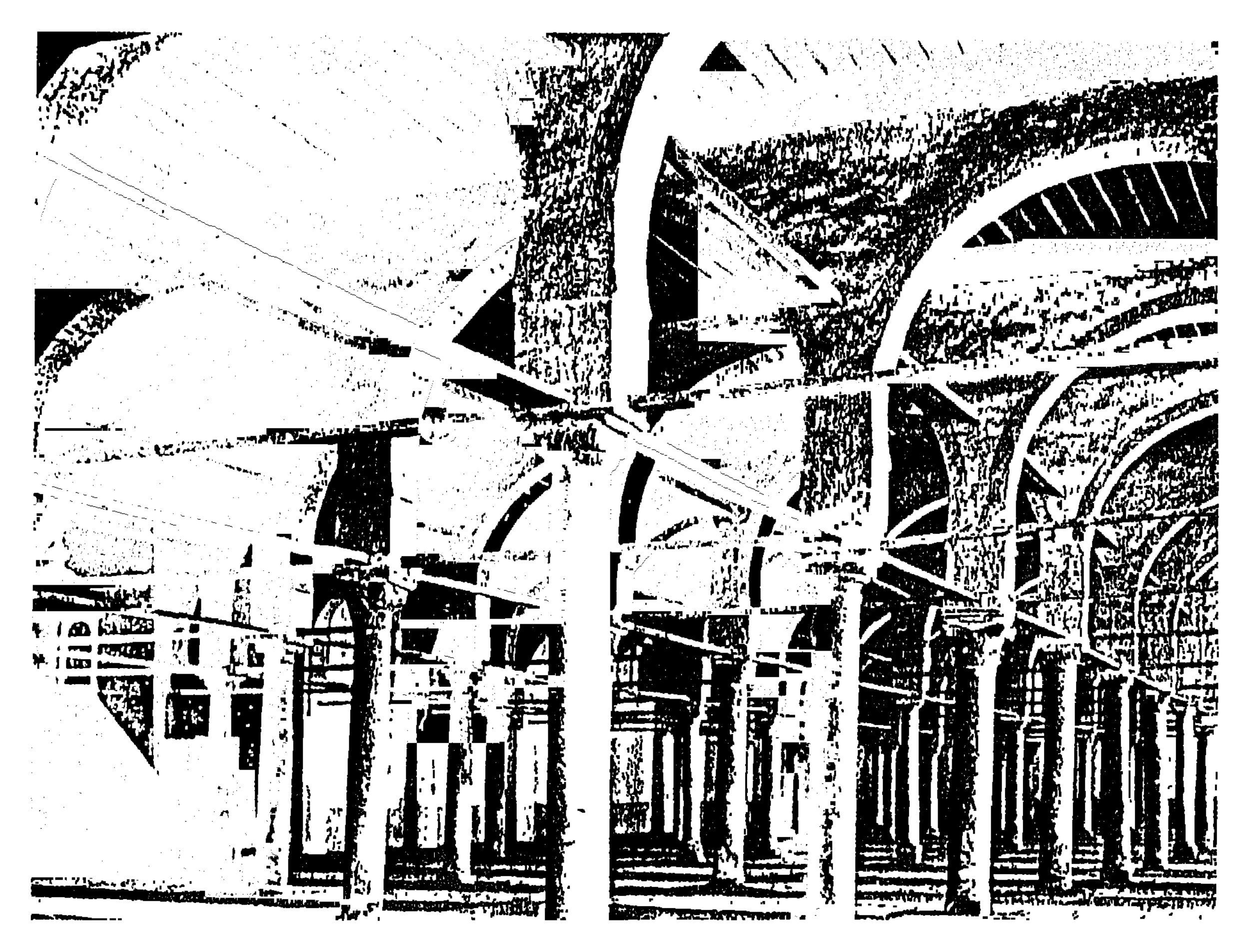
وبدأت المدينة كمدينة عسكرية تشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح. وفى سنة ٩٧٣ أى فى العام الرابع من إنشائها تحولت إلى عاصمة الخلافة الإسلامية عندما انتقل إليها المعز وأسرته من المغرب، واتخذ مصر موطناً له وأطلق عليها قاهرة المعز.

فى قاهرة الفاطميين أنشئ الجامع الأزهر ليكون المسجد الرسمى للدولة الفاطمية فى حاضرتها الجديدة، وقد تحول إلى جامعة إسلامية حلت محل جامعة عمرو بن العاص، وبفضله أصبحت القاهرة عاصمة الثقافة الإسلامية فى العالم الإسلامى خلال ألف عام، وكان للأزهر بجانب مكانته العلمية أهميته الرسمية ، فكان مركز قاضى القضاة ، ومركز المحتسب العام وفيه تعقد مجالس الشورى والمجالس، السياسية والخلافية والقضائية .

وبانتقال العمران إلى القاهرة الجديدة حول سورها الأول داخل سورها الثانى الذى أقامه بدر الجمالى عام ١٠٩٢م ـ أخذت الفسطاط فى الزوال، وهجرها سكانها لتعمير المدينة الجديدة والاحتماء خلف أسوارها حتى اختفت تماماً وقت الصليبيين ولم يبق منها سوى أنقاض مبانيها .

قاهرة صلاح الدين ١١٦م

خرجت القاهرة عن نطاق أسوارها القديمة وامتد تخطيطها ليصل إلى القلعة التى شيدها صلاح الدين وأحاطها بسور دفاعى جديد، ضم عواصم مصر الإسلامية الأربع السابقة، وقلعة الجبل، ومنطقة مصر العتيقة، وأثر النبى جنوب الفسطاط ، ومن أشهر المعالم المميزة لقاهرة صلاح الدين ، قلعة الحصن التى أنشأها مكان قبة الهواء التى بناها العباسيون فى مدينة العسكر . وقد اتخذت القلعة مقرا للملك ودارا للحكم فى مختلف العصور التى تلت حكم الأيوبيين، حتى عصر قاهرة الإسماعيل، حيث نقل مقر الحكم إلى قصر عابدين .

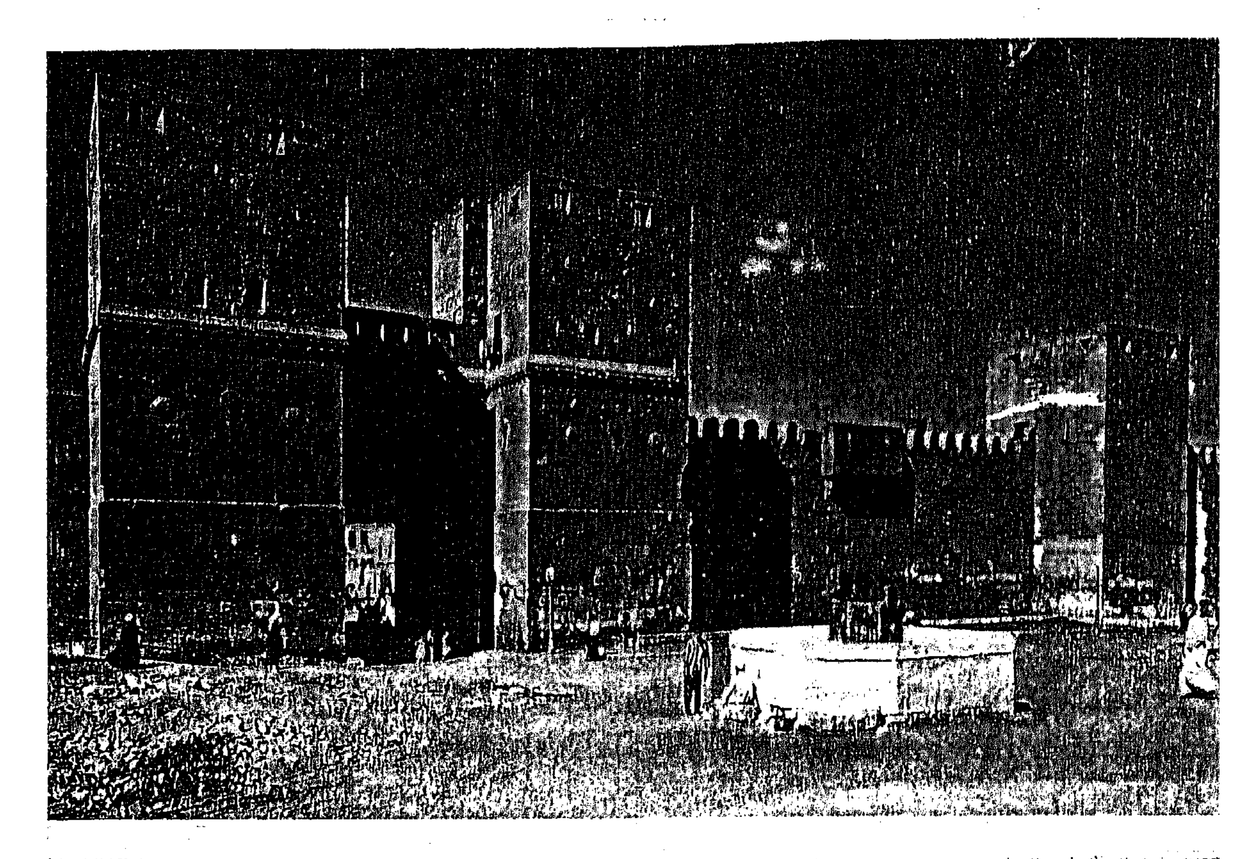


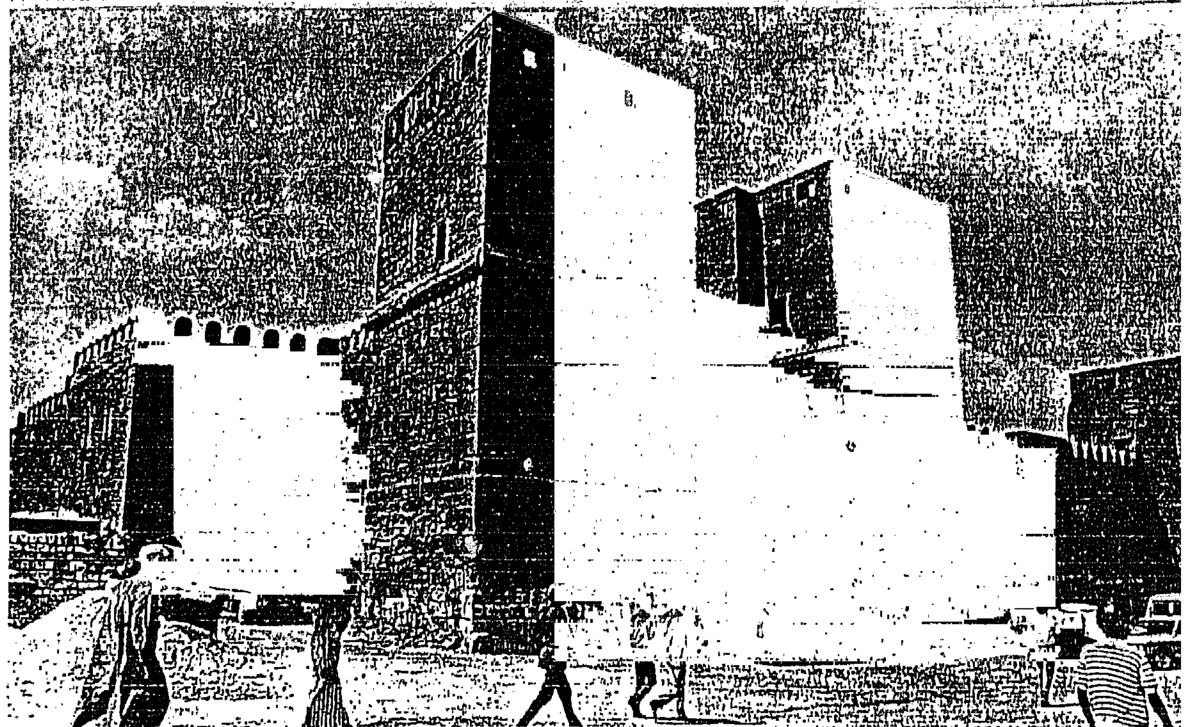
مسجد عمرو بن العاص أول جامع وجامعة فى القاهرة

ومن المعالم التى مازالت قائمة، سواقى عيون بئر يوسف، وقناطر مجرى المياه التى تحمل المياه إلى القلعة التى عهد بإنشائها إلى الأمير قراقوش، الذى أشتهر فى القصص الشعبى بقسوته.

لقد ذكر مؤرخو تخطيط المدن الدفاعية أن صلاح الدين قد أخطأ فنيا فى اختيار موقع القلعة الذى يقع تحت مرمى جبل المقطم مما يسهل حصارها والاستيلاء عليها بضربها من جبل المقطم ،وهى الثغرة التى استغلها محمد على باشا فى الاستيلاء عليها بعد ما حطم وسائل دفاعها ..

لقد مرت القاهرة بعد حكم الأيوبيين خلال أكثر من عهد من عهود الحكم المتباينة ، لم يكن لها أثر فعال فى تاريخ المدينة وتطورها حيث تركزت معالم التغيير فى طراز العمارة ونوع المبانى ، يذكر التاريخ منها قاهرة السلطان سليم ١٥١٧م، وطرد المماليك، وبداية حكم الأتراك، وحملة نابليون ١٧٩٨م، التى انتهى بها حكم الأتراك ومهدت لحكم محمد على.





أسوار باب النصر ١٦٥٠م

قاهرة محمد على ١٨٠٥م (عصر النهضة)

اشتهر عصر محمد على باسم عصر النهضة، لارتباطه بعصر النهضة فى أوربا وأثرها فى تطور العمارة وتاريخ المدن ، لذا فقد وجه برنامجه الإصلاحى والعمرانى نحو الثقافة والتصنيع والانفتاح على الغرب ، فعمل على تبادل الثقافة بيناء دار البعثات المصرية فى باريس، قدمت عشرات من الخبراء المصريين فى مختلف العلوم والفنون، فكانوا نواة النهضة الثقافية والتعليمية فى مصر التى أنشأ لها مختلف المعاهد والمدارس والمصانع فى أنحاء البلاد.

وكان من نصيب القاهرة أول مدرسة للمهندسخانة، وأخرى للحرف والصناعات بالقلعة ، ومدرسة للطب البشرى ، ومستشفى للتدريب بالخانقاه ، والمدرسة العسكرية ، ومدرسة أركان الحرب ومدرسة الموسيقى ، ومعهد الموسيقى العسكرية ، ومدرسة للزراعة بشبرا ، وأخرى للطب البيطرى ، ودار للطباعة ودار للصناعة فى بولاق ، ودار الضرب (سك النقود) التى اشتهرت فى العالم أجمع بدقة صناعتها ، ومدرسة الزخرفة وحرف البناء .

كما أقام فوق قمة المقطم قلعة الجبل، لتحل محل قلعة صلاح الدين فى الدفاع عن القاهرة ، وأقام بجوارها ثلاثة مصانع للسلاح والذخيرة ، كما شهدت القاهرة تطورا فى فن بناء المساجد، عندما شيد محمد على مسجد القلعة الذى بنى على غرار مسجد السلطان أحمد بالآستانة، ومن مساجد ذلك العصر المشهورة مسجد بولاق ومسجد الخطباء، ومسجد المدرسة العسكرية بالخانقاه، ومسجد شبرا.

واشتهرت قاهرة محمد على بالقصور التى أقيمت داخل القاهرة وداخل القلعة نفسها ، وفى مختلف أحياء المدينة وخارجها ، وقد أحضر لتلك القصور مجموعة من الفنانين والمتخصصين والعمال المهرة من فرنسا وإيطاليا وتركيا ، واشترط أن يعين مع كل فنان أو خبير أجنبى أربعة من المصريين يعملون معه ويتعلمون منه المهنة ، ليحلوا محله بعد انتهاء مهمته ، واشترط أن يقيموا معه فى أثناء العمل وخارجه طوال مدة إقامتهم فى مصر ، ويقوم كل متخصص بعمل امتحان لطلبته ومساعديه فى مدرسة الحرف والفنون وإعطائهم شهادة تؤهلهم لمزاولة المهنة.

ومن القصور التى أقامها محمد على وكانت عنصرا مميزا للقاهرة، قصر الجوهرة ، وقصر القبة، وقصر الحرم بالقلعة، وقصر المغارة بالروضة ، والقصر العالى ، وقصر الخرنفش (البكرى) ، وقصر الأزبكية ، وقصر شبرا ، وقصر النيل (قشلاقات قصر النيل) ، وعشرات القصور التى بناها للعائلة والأعيان، أمثال: قصر طوسون ، وقصر طاهر ، وقصر شريف ، وقصر الدوبارة ، وقصر الوالدة.

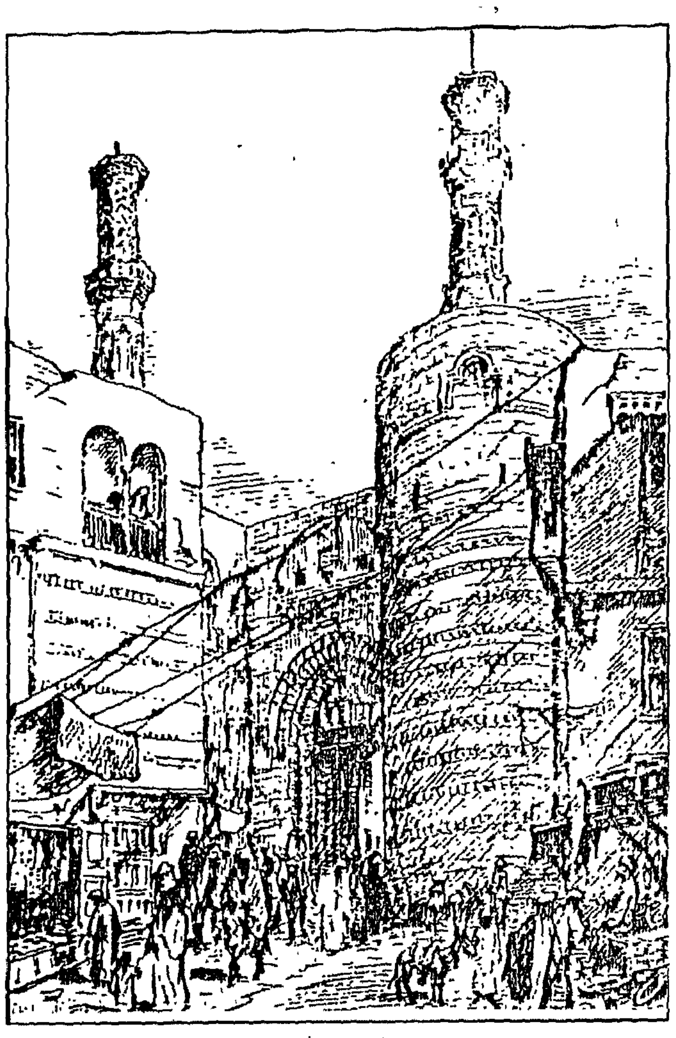
قاهرة الإسماعيل باريس الشرق ١٨٦٢م

تعتبر قاهرة الإسماعيل فى نظر علماء تخطيط المدن وتاريخ تطورها، من أعظم المشروعات العالمية التي تمت فى ذلك العصر، لما اشتملت عليه من دراسات فى التخطيط والتعمير الشامل، ومعجزات فى إخراجها إلى حيز الوجود.

كانت القاهرة عندما تولى إسماعيل باشا عرش مصر، تمتد من منطقة القلعة إلى ميدان العتبة والأزبكية، وكان يفصلها عن النيل مجموعة من البرك والمستنقعات والتلال والمقابر.

وكان الانحلال العمرانى قد بدأ يدب فى كثير من أحيائها السكنية المقفلة. كان الحافز الأساسى لاهتمام إسماعيل باشا بتخطيط مدينته الجديدة حملة للدعاية التى قام بها كتاب الغرب عندما تولى إسماعيل باشا الحكم، ونادى بأن القاهرة قطعة من أوروبا فوصفوا القاهرة بقولهم:

«خير لك أن تسمع عن القاهرة من أن تراها» كما وصفها البعض بأنها «عاصمة الباعوض التى يعيش زائرها طوال العام تحت الناموسية» ومن يشرب من ماء النيل مرة يعود إلى بلاده ليعالج مما حمله معه من أمراض»، وقد اتفق ذلك مع انتشار حمى الملاريا التى فتكت بالمئات من سكان القاهرة وانتشار الحمى المعوية، كما كانت مياه خزانات المجارى تطفح فى الشوارع والميادين فيضع الجمهور قوالب الطوب ليمروا فوقها.



باب زويلة

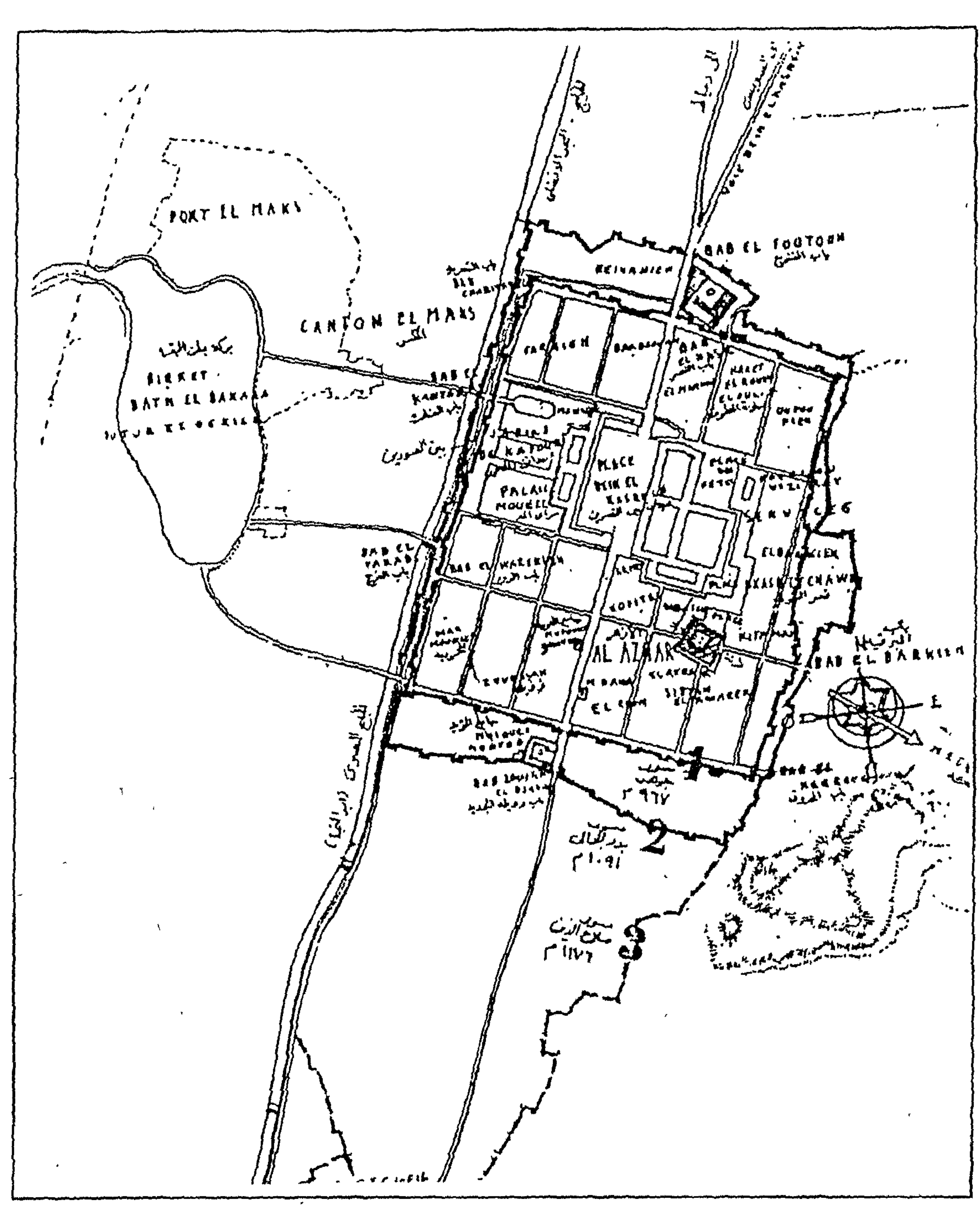
فقام إسماعيل باشا بوضع تخطيط القاهرة الجديدة الذى أطلق عليها كتاب الغرب اسم «باريس الشرق» وذلك لتأثر تخطيطها فى كثير من نواحيه بالتخطيط الجديد الذى وضعه المهندس هاوسمان لباريس، وقضى فيها إسماعيل باشا أيام شبابه ودراسته. لذا فقد قام المهندس النمساوى الذى كلف بتخطيط القاهرة بنقل الكثير من عناصر تخطيط باريس ومعالم تعميرها إلى مشروع تخطيط القاهرة وذلك بناء على طلب إسماعيل باشا نفسه.

ويعتبر تخطيط القاهرة الذى تم إعداده وتنفيذه بأكمله بما ضم من منشآت عمرانية خلال خمس سنوات فقط، يعتبر من معجزات فن تخطيط المدن العالمية لما اشتمل عليه من برنامج يعد الأول من نوعه فى العالم، ويمكن تلخيص عناصر ذلك التخطيط ومعالمه فيما يلى:

(١) نقل مجرى نهر النيل الرئيسى من مكانه، حيث كان يمر بمنطقة بولاق الدكرور والدقى وامبابة، ليحتل مكانه الحالى، وردم المجرى القديم الذى حلت محله حدائق الأورمان والحيوانات والجامعة وأحياء الجيزة والدقى.

(٢) ردم البرك والمستنقعات التى تمتد من حدود القاهرة القديمة إلى شاطئ النيل وتخطيط شوارعها وميادينها، وهى جميع الشوارع والميادين والأحياء الرئيسية الموجودة حالياً، وهى ميادين العتبة، والأوبرا، وباب الحديد، وسليمان باشا، والإسماعيلية، والانتكخانة، وعابدين، والقصر العينى ، وهى جميع شوارع وميادين القاهرة الحالية ولم يتغير منها حتى الآن إلا بعض أسمائها.

(٣) تعمير مداخل القاهرة، وكانت جميعها عبارة عن خرائب ومدافن، فكانت أسوأ دعاية تستقبل بها القاهرة من يدخلها من أى مدخل من مداخلها، فاهتم التخطيط بإزالتها وإعادة تخطيطها وتعميرها، فالمدخل الشرقى وكان عبارة عن



خريطة لأسوار القاهرة فى العصر الإسلامى

مزارع للفجل وعشش للفجالة، تحول إلى حى للبساتين والقصور من أجمل أحياء القاهرة واحتفظ باسمه القديم حى الفجالة إلى الآن. ومدخل القاهرة الشمالى أنشأ به أول محطة للسكة الحديد بالقاهرة وأطلق عليه باب الحديد، وشمل البرنامج تخطيط ميدان المحطة وتخطيط منطقة شبرا بأكملها حتى ترعة الإسماعيلية الحالية، كما أعد شارع المدخل الرئيسى ليكون طريقاً للنزهة، وزرعت على جانبيه الأشجار الباسقة التى استوردها من مختلف البلدان، كذلك المدخل الجنوبى الممتدد من مصر القديمة إلى المعادى وحلوان، والمدخل الغربى الذى يمتد من الأهرام الذى أنشأ الطريق الموصل إليها وقام بردمه بارتفاع أربعة أمتار ورصفه وزراعة الأشجار على جانبيه، وتم إعداده كاملاً فى ستة أشهر.

كما أمكن حل مشكلة تجميل المداخل بأن وزعت الأراضى المطلة على المداخل على الأعيان وكبار رجال الدولة مجاناً، واشترط بأن يقوموا ببناء قصورهم عليها خلال سنتين.

(٤) رربط شاطئ النيل بأول كبريين أقيما على النيل فى وادى النيل بأكمله، وهما كوبرى قصر النيل وكوبرى الإنجليز.

(٥) الخدمات والمرافق: لم يكن بالقاهرة شبكة للمياه أو المجارى أو الإنارة، فعرفت القاهرة أول مشروع للمجارى وأول شبكة للإنارة بالغاز، فأضيئت جميع الشوارع والميادين والمساكن.

ثم شبكة للمياه لتزويد المساكن والأحياء بمياه الشرب، والحدائق بمياه الرى، كما رصفت الشوارع بالأحجار، وعملت لها أفاريز للمشاة.

(٦) الأشجار والغابات: شمل مشروع تخطيط القاهرة الجديدة تزويدها بالغابات والحدائق العامة التى جلبت لها الأشجار من الهند وأفريقيا والسودان والصين، وهى حدائق الأورمان والحيوانات والأزبكية والجزيرة، كذلك زرعت الأشجار على جوانب الشوارع الرئيسية جميعها.

(٧) المبانى العامة ودور الخدمات:

من المبانى العامة التى احتلت مكانها فى القاهرة الجديدة، دار الآثار الفرعونية، ودارالآثار العربية، ودار الكتب، ودار المعارف، ودار الرصد بالعباسية، ودار الإحصاء، ودار الجغرافيا (الجمعية الجغرافية)، ودار العلوم، ودار القضاء العالى، ومدرسة المهندسخانة، وحديقة الحيوانات، ومدرسة الصناعات والحرف، وثكنات الجيش والمدرسة الحربية بالعباسية، ومدرسة الأركان بقصر النيل، ودار الأوبرا، ومسرح الكوميديا. وقد نقلت فكرة هذه المبانى من تخطيط باريس ومعالمها العمرانية العامة.

هذا بجانب إنشاء مجموعة من القصور فى مقدمتها قصر عابدين الذى بناه مكان قصر عابدين بك لننقل دار الحكم من القلعة إلى عاصمته الجديدة، وردم بركة عابدين التى كان يطل عليها القصر، وحولها إلى ميدان أمام القصر وللاستعراضات. وطلب إسماعيل باشا أن يحتفظ القصر والميدان باسمهما القديم.

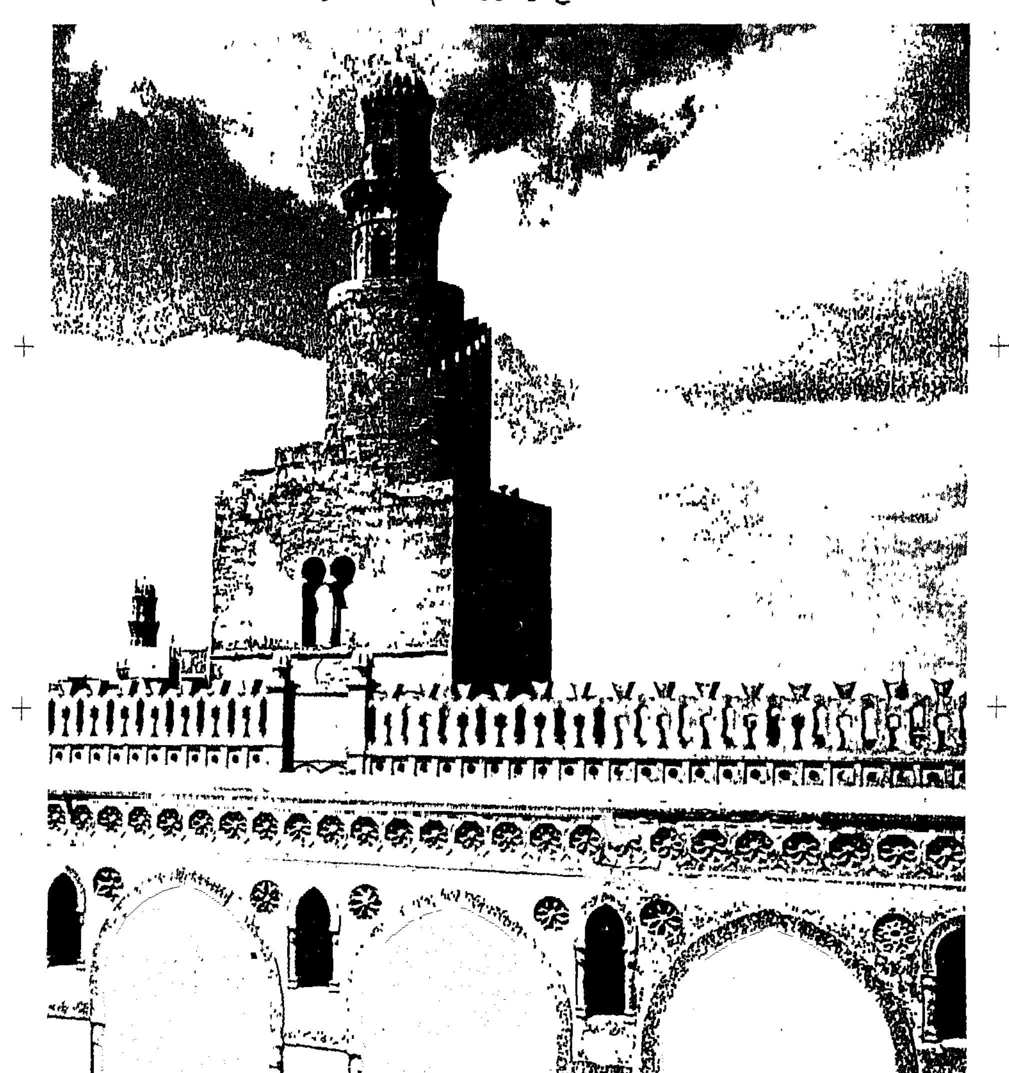
(٨) أما موضع المساجد فى القاهرة الجديدة فقد اتجه الاهتمام ببناء المساجد والأضرحة لآل بيت رسول الله [ﷺ]، فاشتمل التخطيط على بناء مسجد وميدان سيدنا الحسين، ومسجد وميدان السيدة زينب، ومسجد بولاق، ومسجد العظام الذى نقلت إليه العظام التى نقلها من مدافن العتبة الخضراء والأزبكية بعد إزالتها، عندما كانت تعوق امتداد التخطيط.

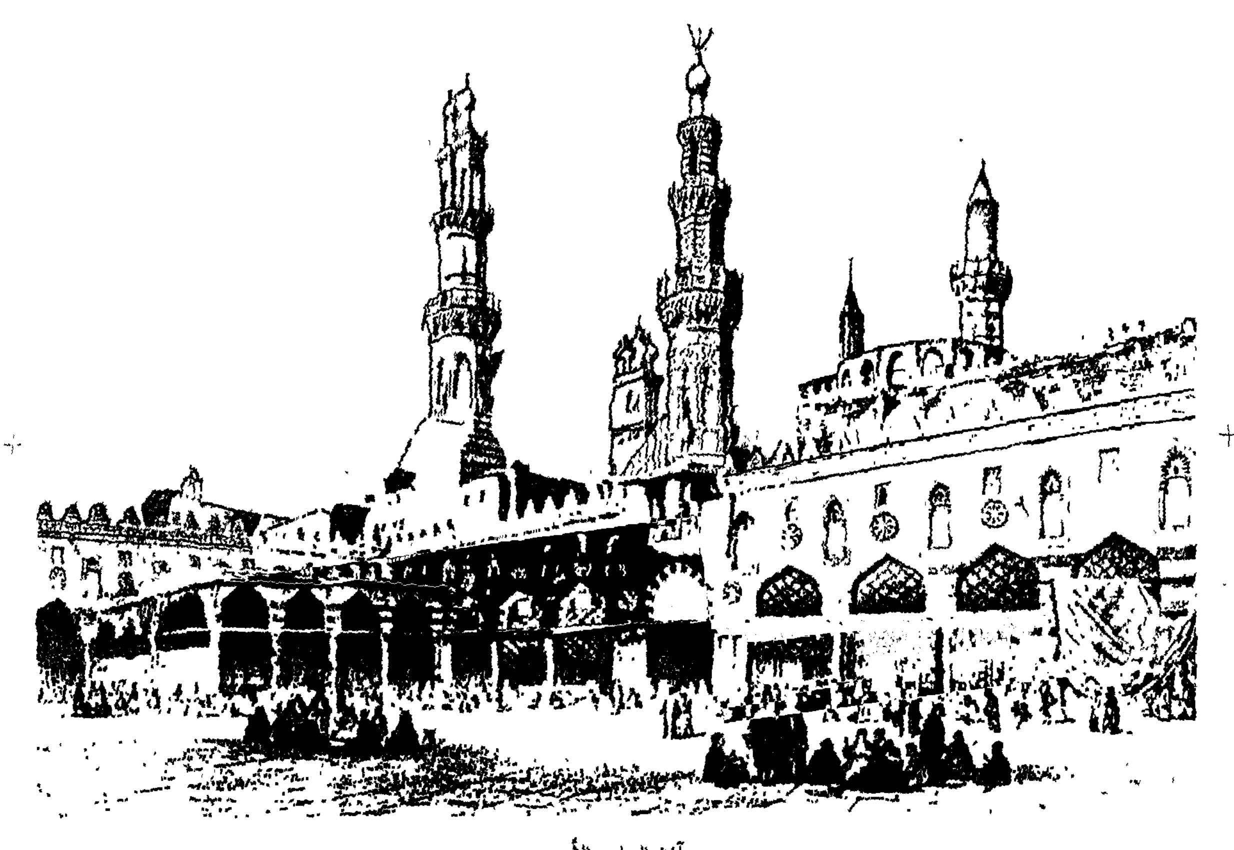
لقد بلغ مسطح القاهرة فى ذلك التخطيط ألفى فدان أى أربعة أمثال مساحتها الأصلية.



بوابة الفتوح

مئذنة جامع بن طولون أقدم مئذنة بالقاهرة





مآذن الجامع الأزهر

كان عدد سكان القاهرة ٣٥٠ ألف نسمة، فوضع تخطيطها لتسع ٧٥٠ ألف ساكن وهى الزيادة التى قدرها المخطط فى ذلك الوقت لتبلغها خلال خمسين سنة .

القاهرة مدينة المائة باب

وصف أحد مؤرخى العصور الوسطى الذين زاروا القاهرة فى أواخر القرن الرابع عشر، بأن القاهرة اشتهرت بأبوابها الداخلية والخارجية التى يبلغ عددها «مائة باب»، سميت بأسمائها الأحياء التى تؤدى إليها أو تقع فيها. وترجع نشأة تلك الأبواب وأسوارها إلى حصون القاهرة القديمة وأسوارها الدفاعية وبوابات مداخلها .

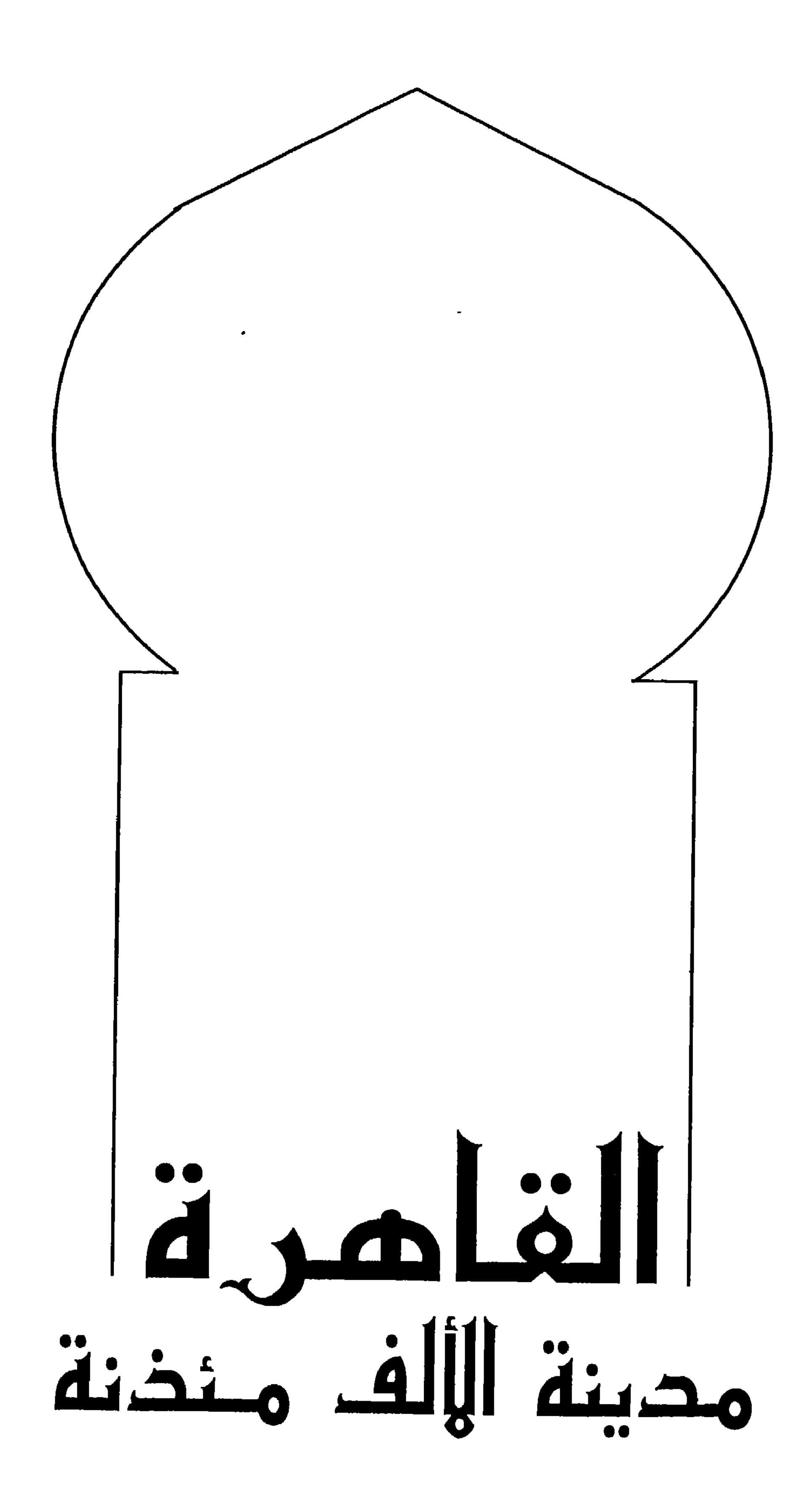
فالقاهرة منذ نشأتها من عهد ما قبل الأسرات كانت مدينة دفاعية حرى عحا (قلعة الدفاع) تحيط بها أسوار عالية وعندما حلت مدينة أون (مدينة الشمس) محل حرى عحا وامتدت إلى عين شمس (هيليوبوليس)، وصف المؤرخون أسوارها الدفاعية التى بلغ طولها ٢٠ كليومترا وارتفاعها عشرين مترا . كما سجل التاريخ القديم أسوار بابليون القديمة التى أقامها رمسيس الثانى حول المدينة والحصن ١٢٨٥ ق.م. وقام بهدمها قمبيز سنة ٤٢٠ ق . م والتى أعيد بناؤها وتهدمت فى الفتح العربى واستعملت بعض أحجارها فى مدينتى الفسطاط والقطائع، وكانت أسوارها تمتد من المقطم إلى شاطئ النيل عند مصر «عتيقة» . وقد تهدمت تلك الأسوار فى حريق الفسطاط الكبير.

وفى قاهرة الفاطميين كانت باكورة أعمال جوهر الصقلى عند حلوله القاهرة إحاطتها بسور لتصير حصنا له من القرامطة وهو ما سمى بسور جوهر الذى بناه (٣٥٨ هـ - ٩٦٧م) وكون منه مربعا منتظما تواجه أضلاعه الجهات

الأصلية وبكل ضلع منهما بابان، فيواجه الضلع الجنوبى الفسطاط، وبه بابا زويلة والفرج، والغربى محاذيا للخليج وبه بابا القنطرة وسعادة، والبحرى، وبه بابا النصر والفتوح والشرقى ويواجه المقطم وبه بابا البرقية والقراطين .

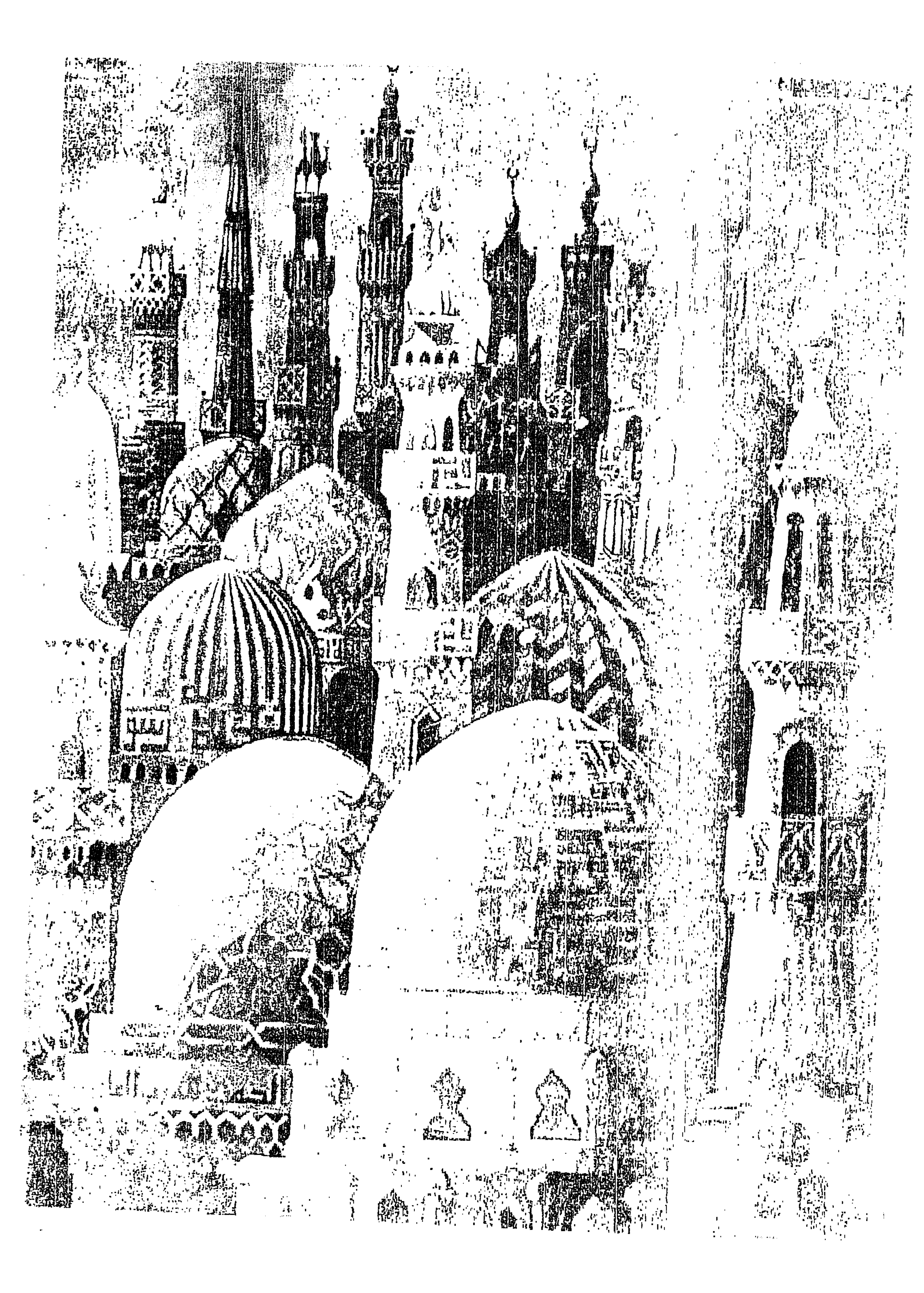
وبنى السور من اللبن كما كان عرضه كبيرا بحيث يسع مرور فارسين متجاورين بجواديهما . أما البوابات فكانت من الحجر ركب لها أبواب مصفحة من الحديد.

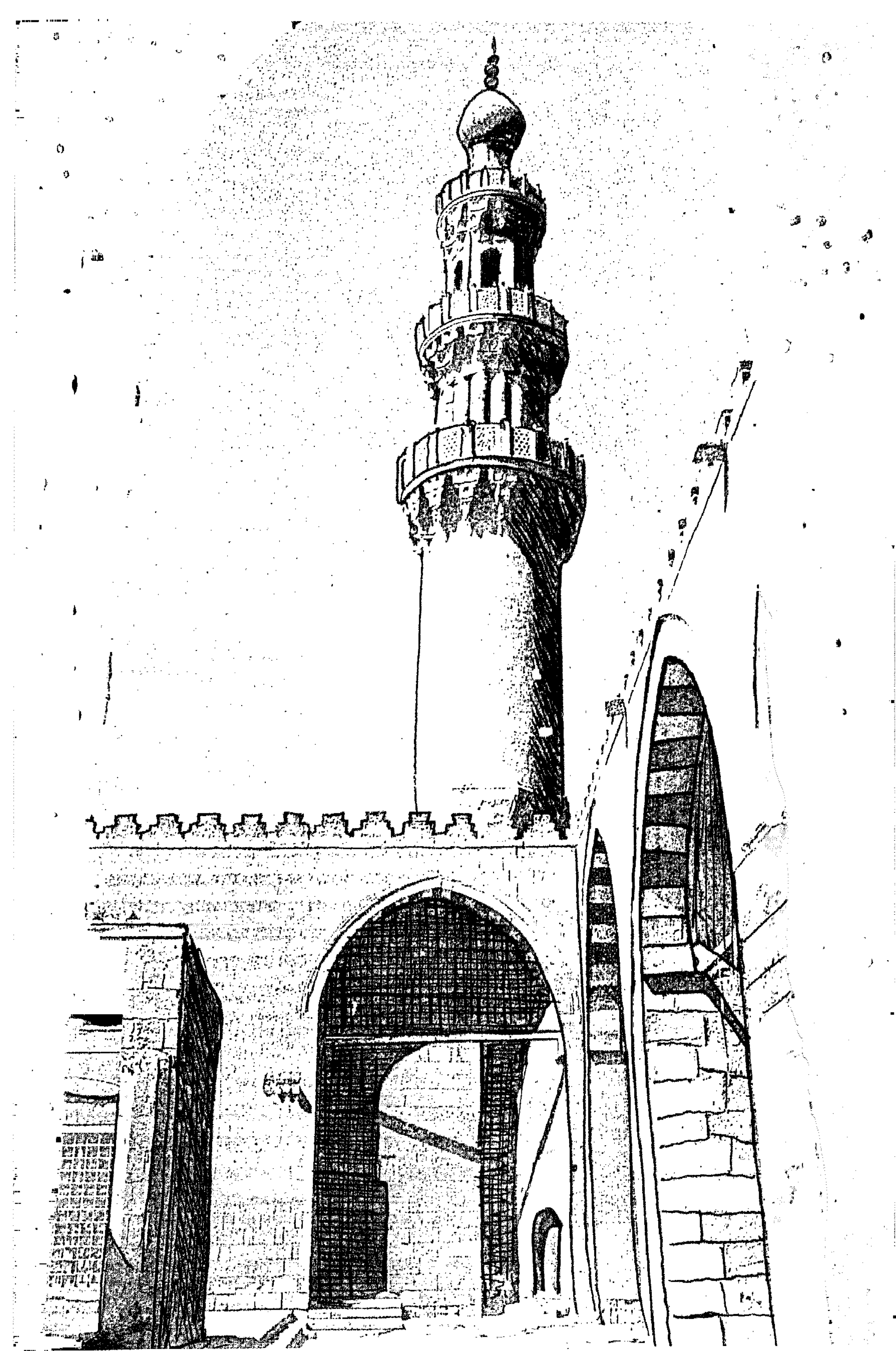
وفى سنة (١٠٩١م)، أعاد بدر الجمالى بناء السور بعد توسعته، ليضم المبانى والأحياء السكنية التى بنيت خارج السور الأول.



القاهرة

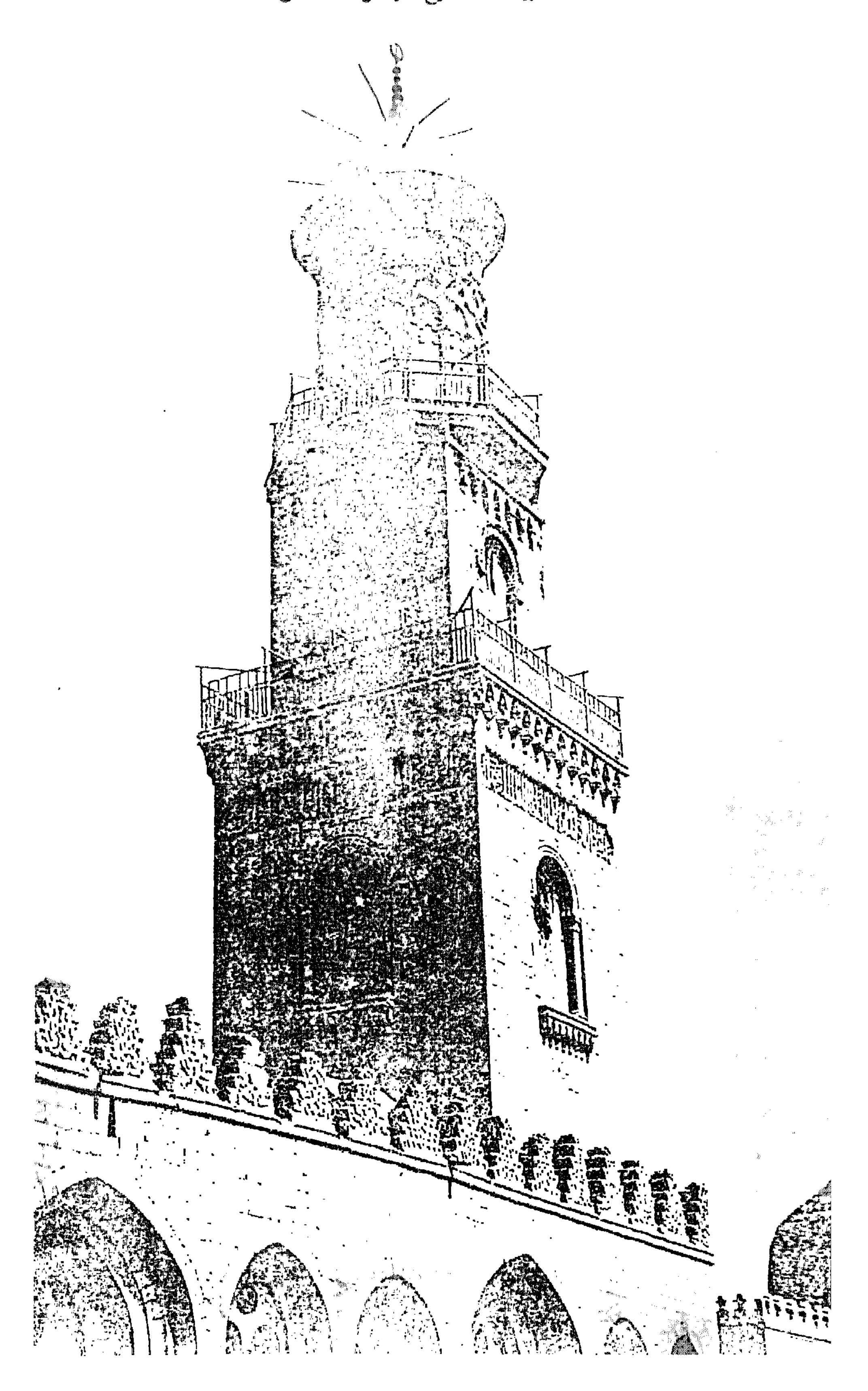
مدينة الألف مئذنة



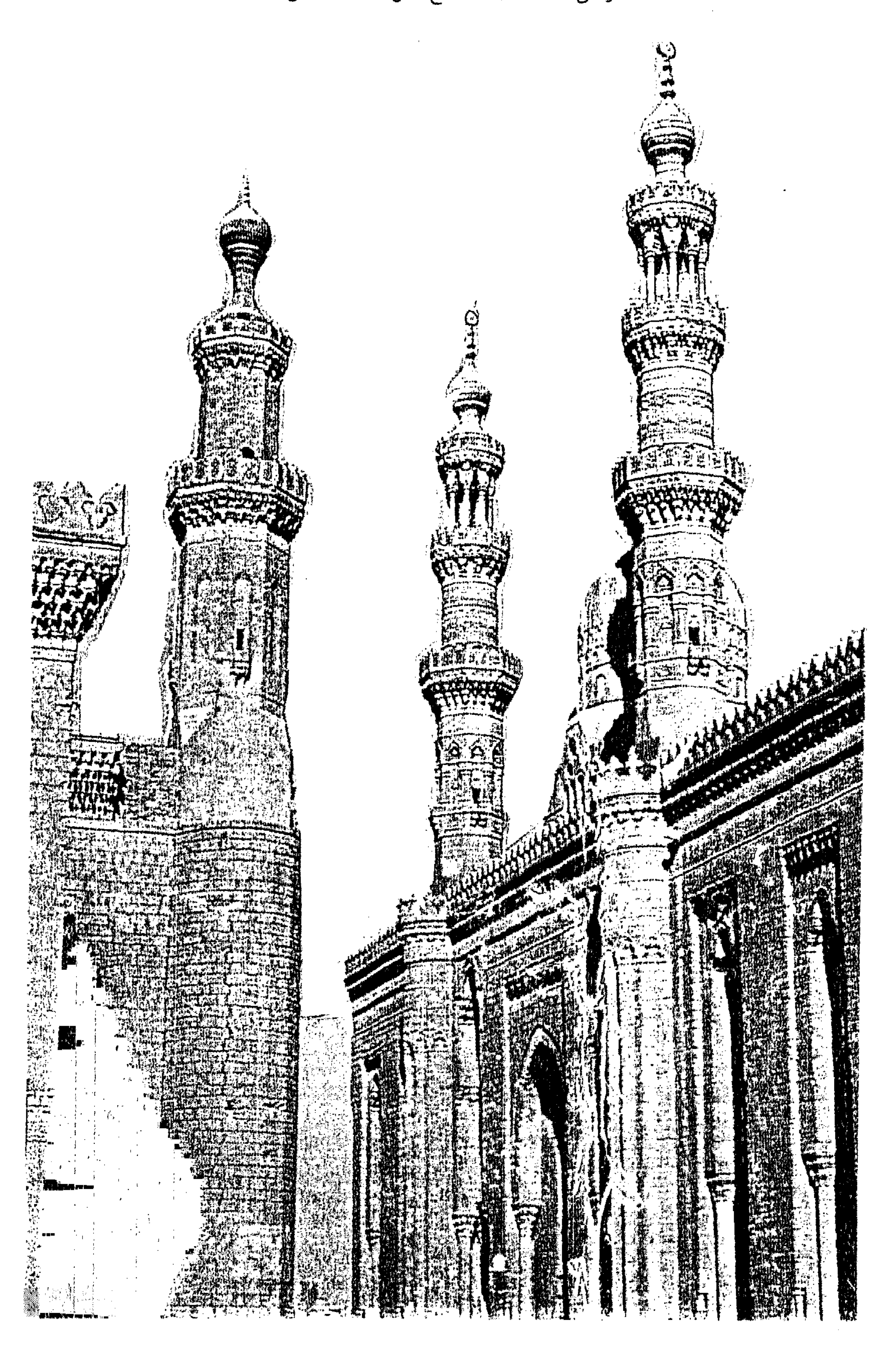


الأمير اقشتقر ١٣٤٦ (الجامع الازرق)

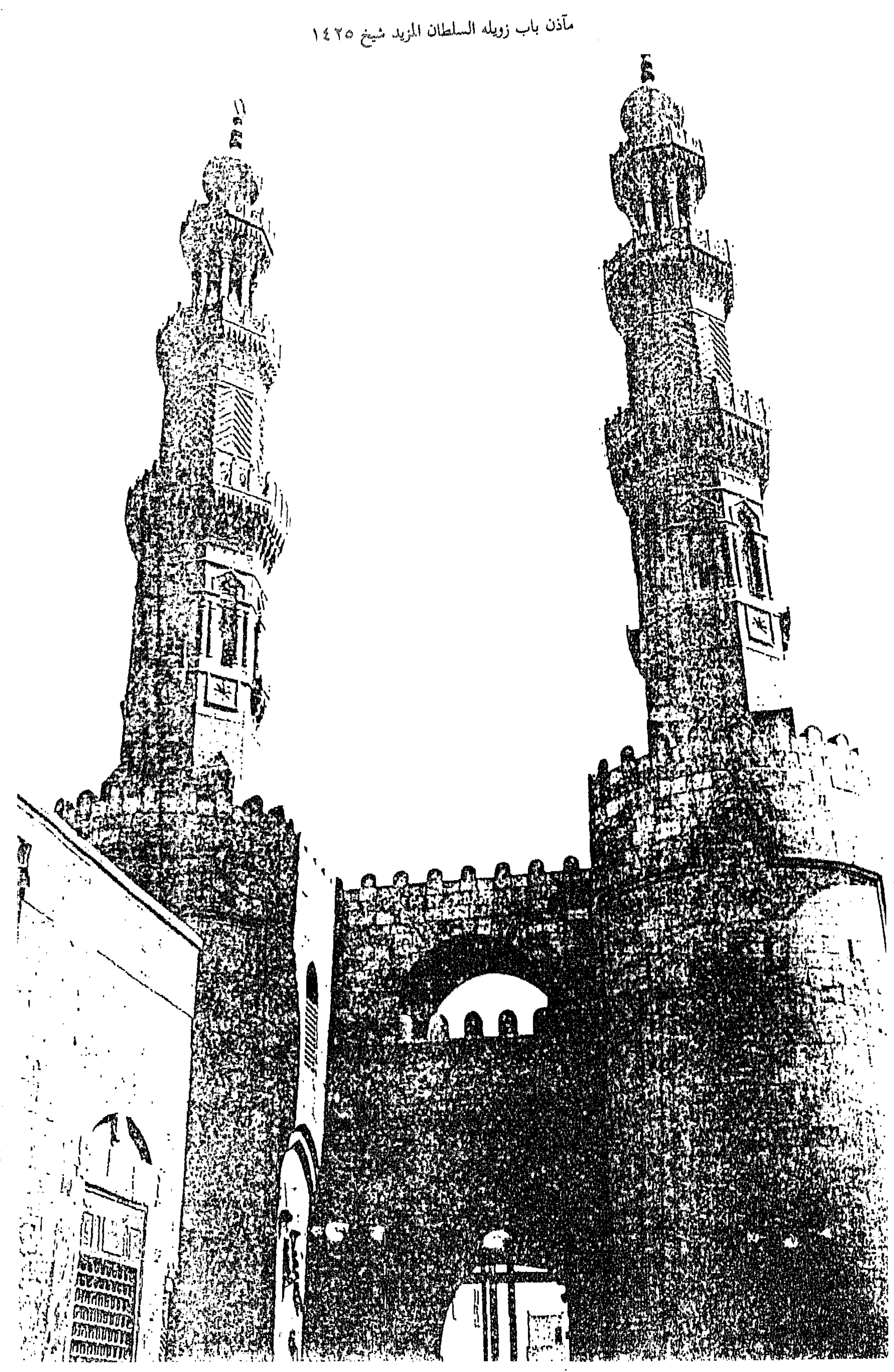
السلطان قلاوون ١٢٨٥ شارع المعز لدين الله الفاطمى



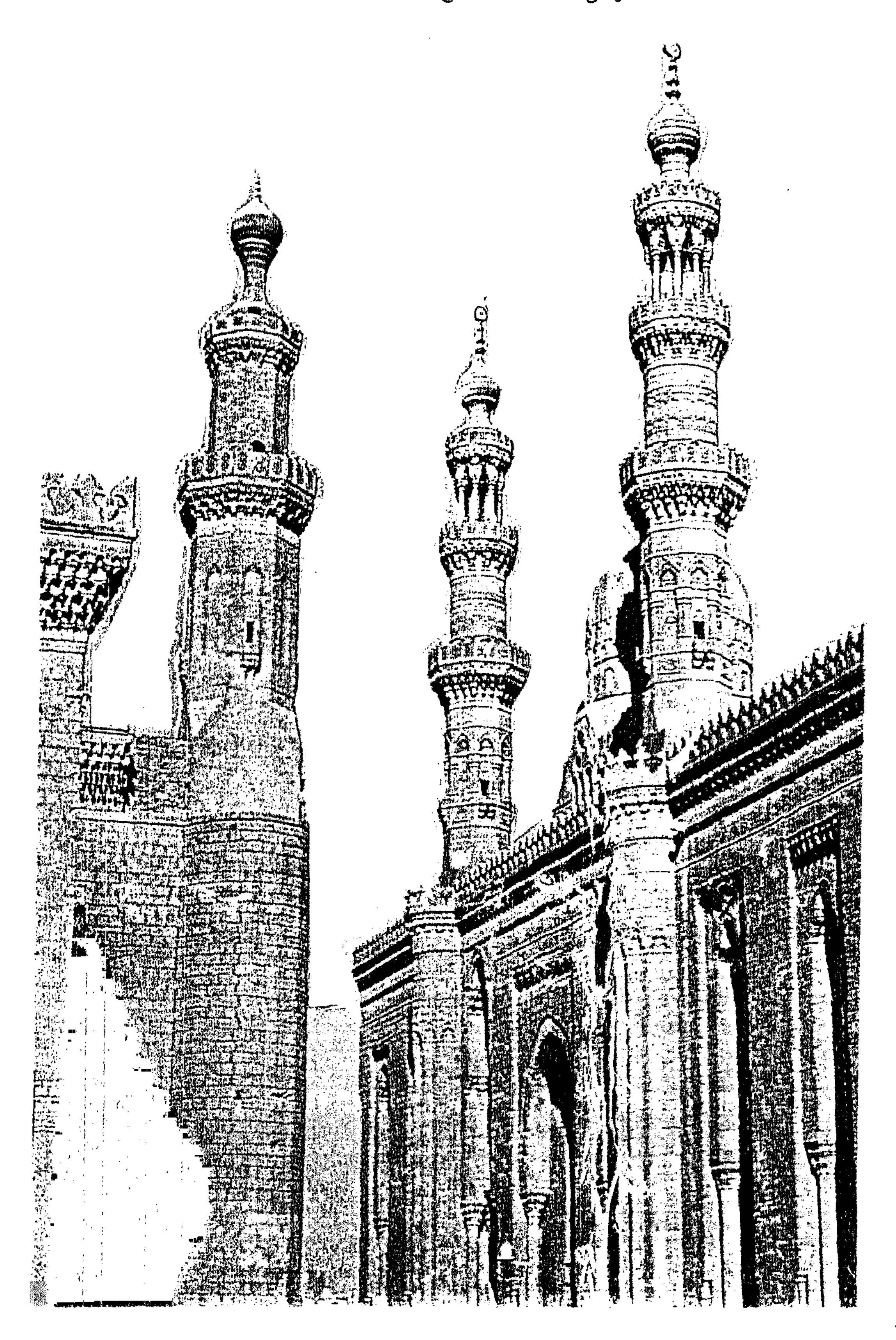
مسجد الرفاعى ١٨٦٩ (ميدان صلاح الدين) السلطان حسن ١٣٥٦



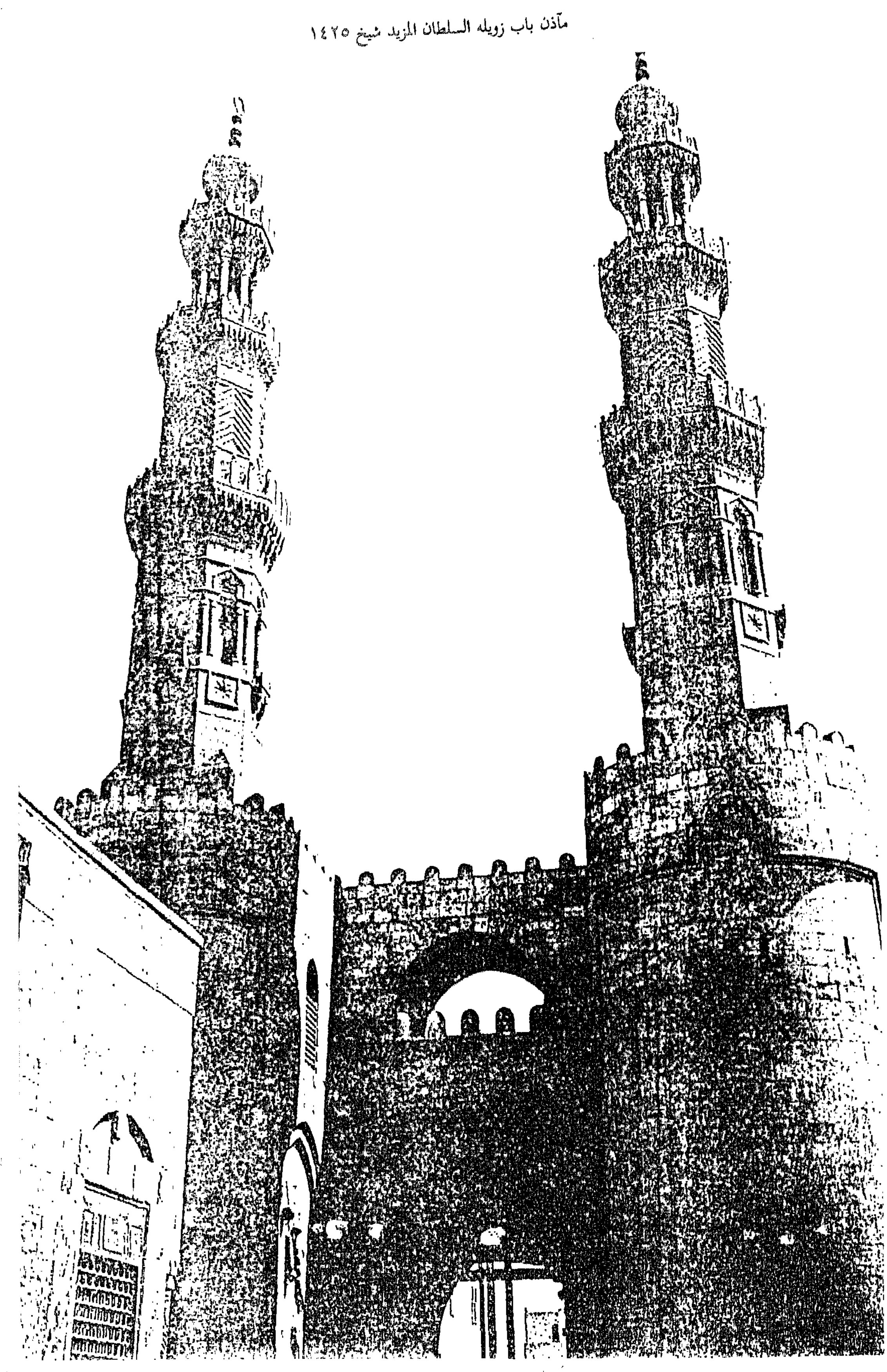
مآذن باب زويله السلطان المؤيد شيخ ١٤٢٥



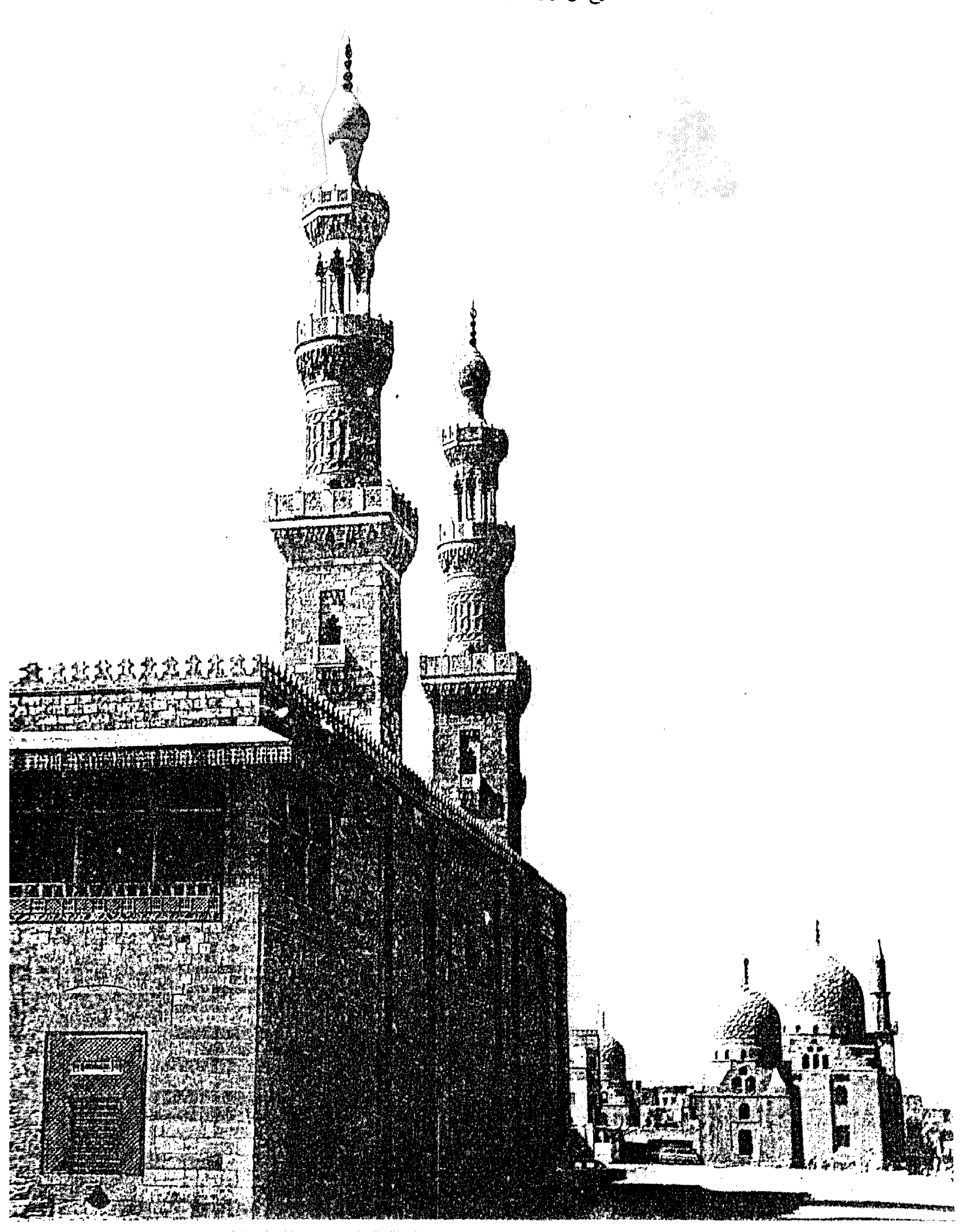
مسجد الرفاعى ١٨٦٩ (ميدان صلاح الدين) السلطان حسن ١٣٥٦

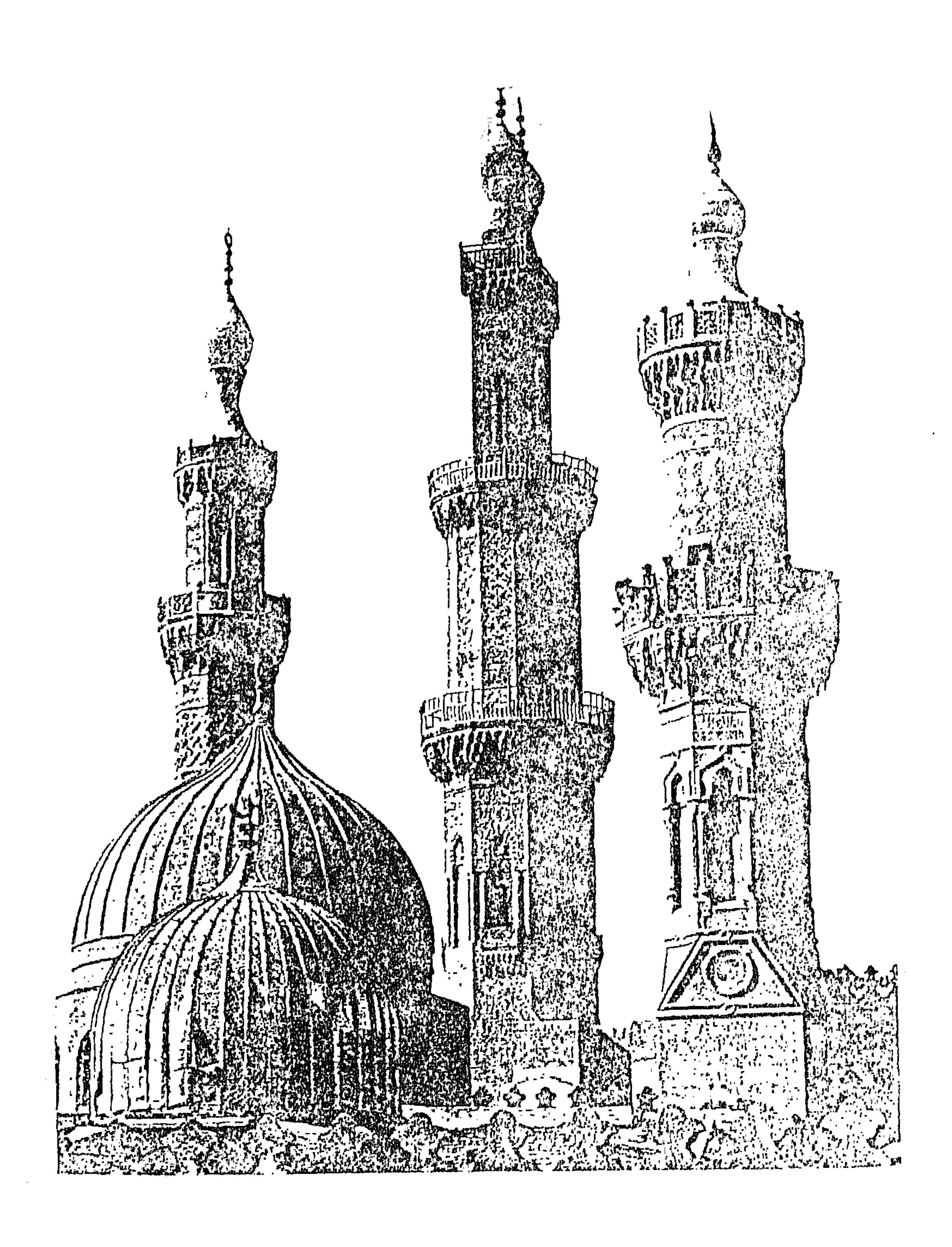


مآذن باب زويله السلطان المزيد شيخ ١٤٢٥

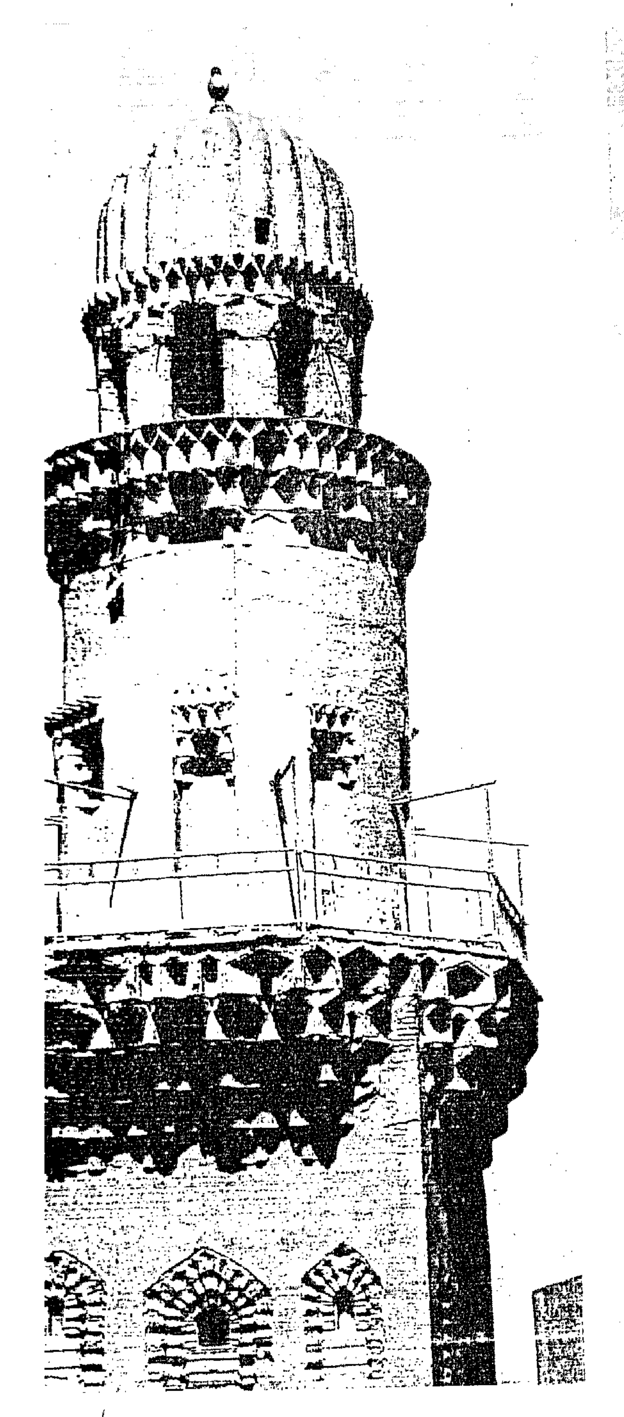


خانقة فرج بن برقوق القرافة الشرقية ١٤١١

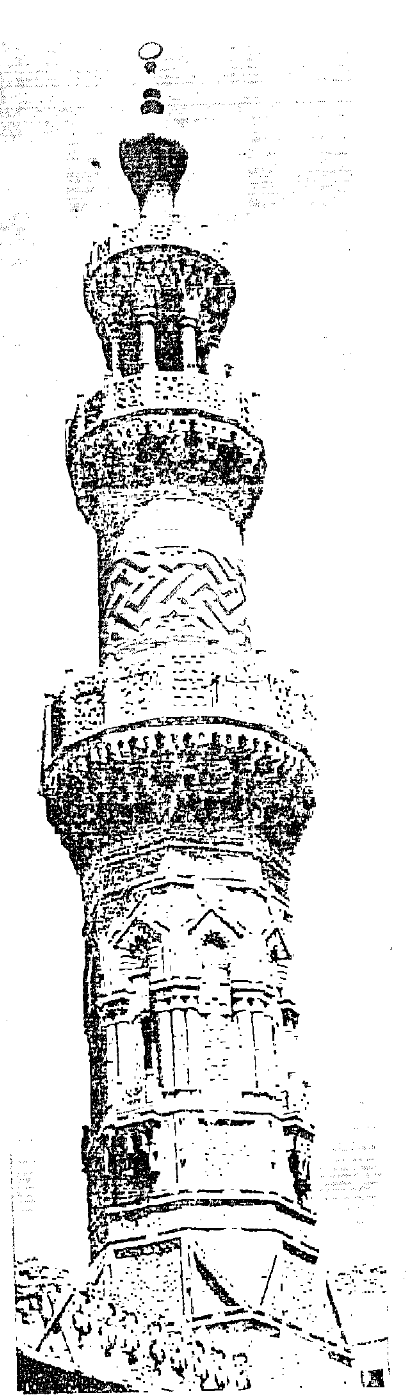




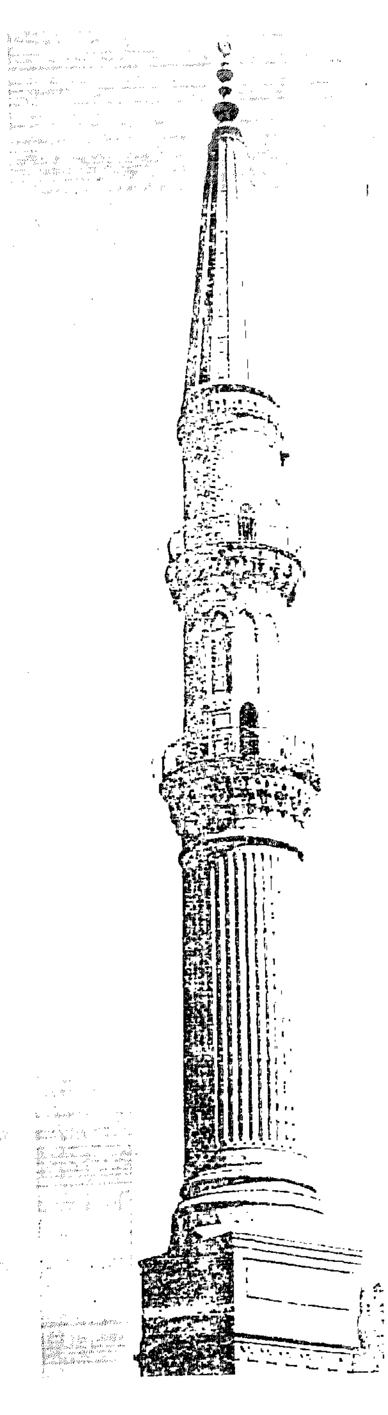
منارة مسجد بيبرس



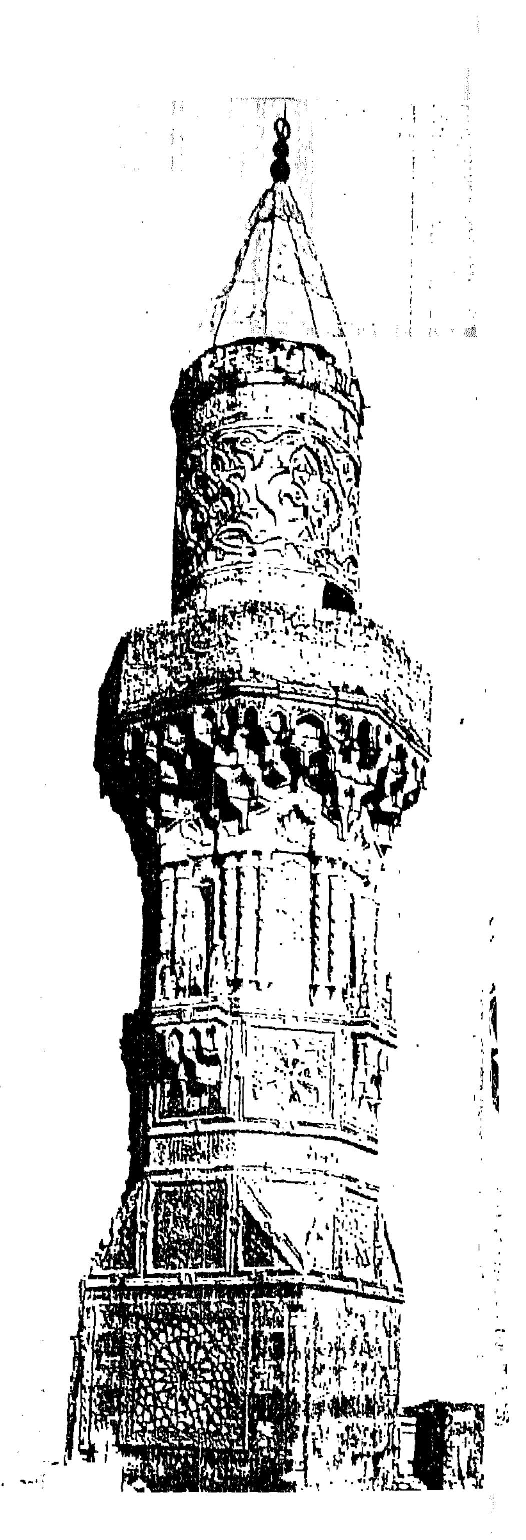
منارة مسجد الاربك ـ اليوسفى



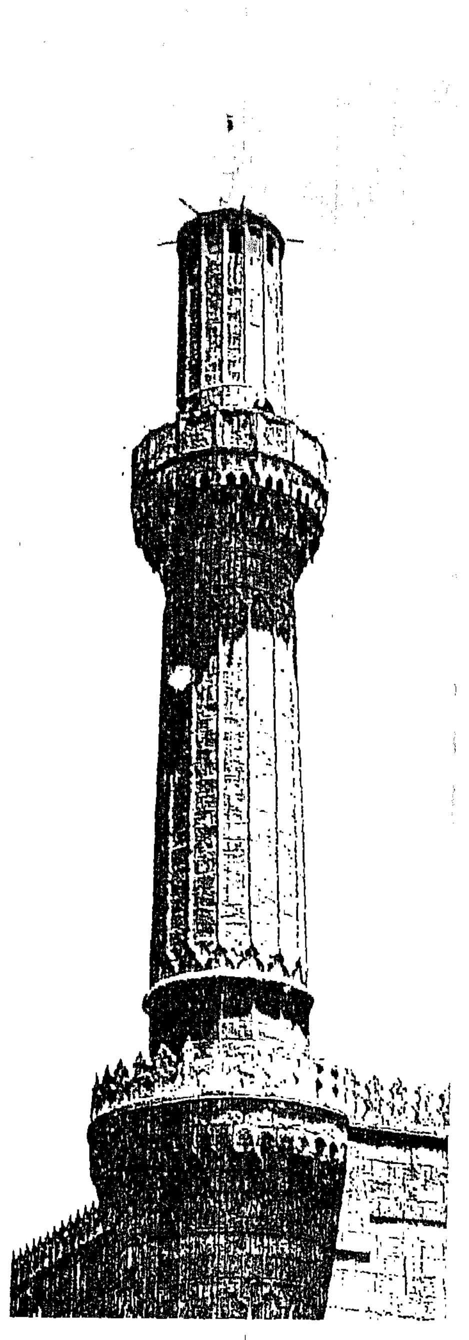
منارة مشربية مسجد الحسين



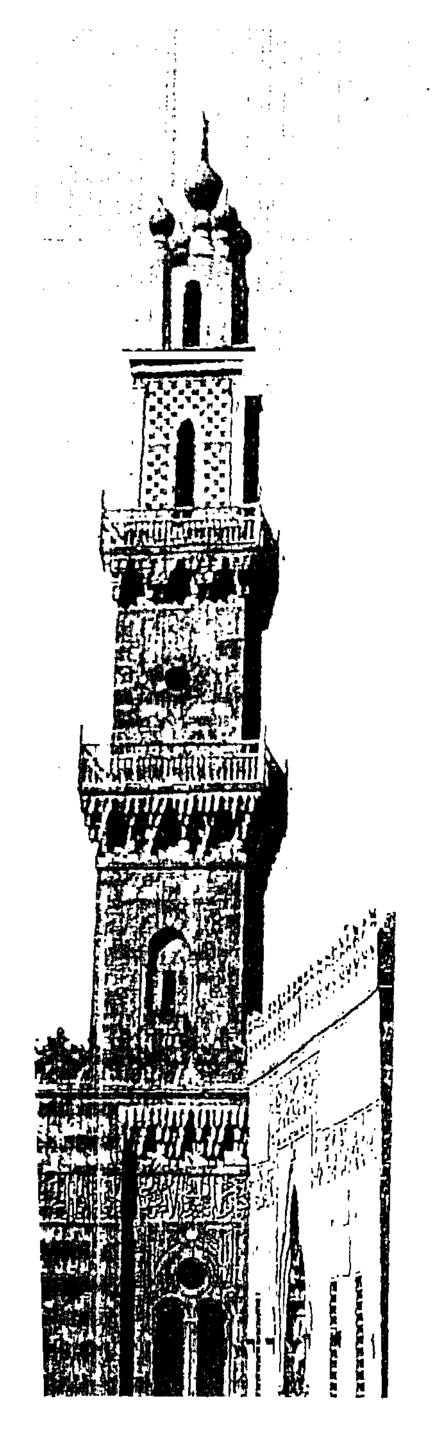
منارة مسجد قانى باى ـ ميدان صلاح الدين



منارة المحمدية ـ ميدان صلاح الدين



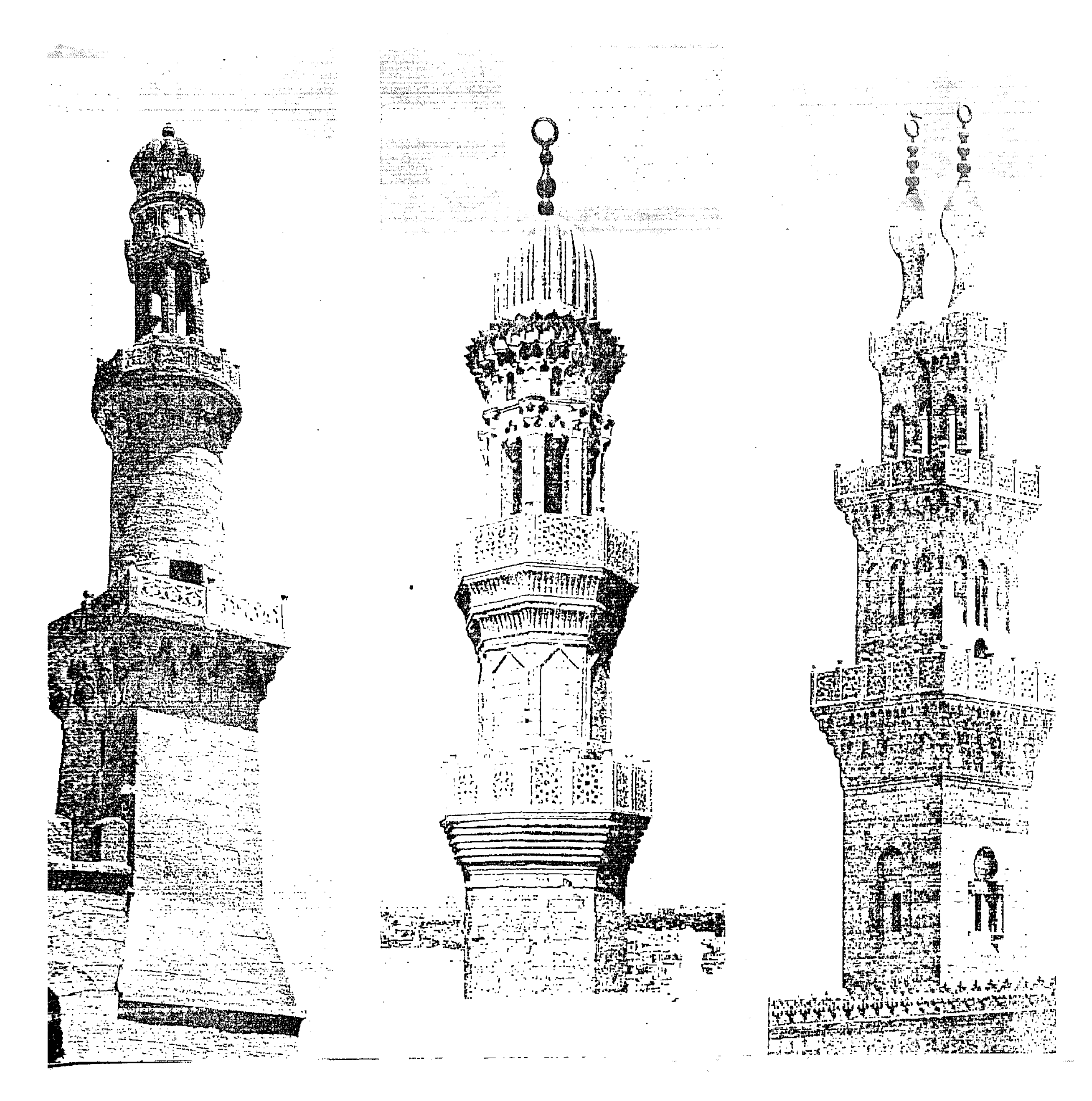
منارة مسجد الغورى



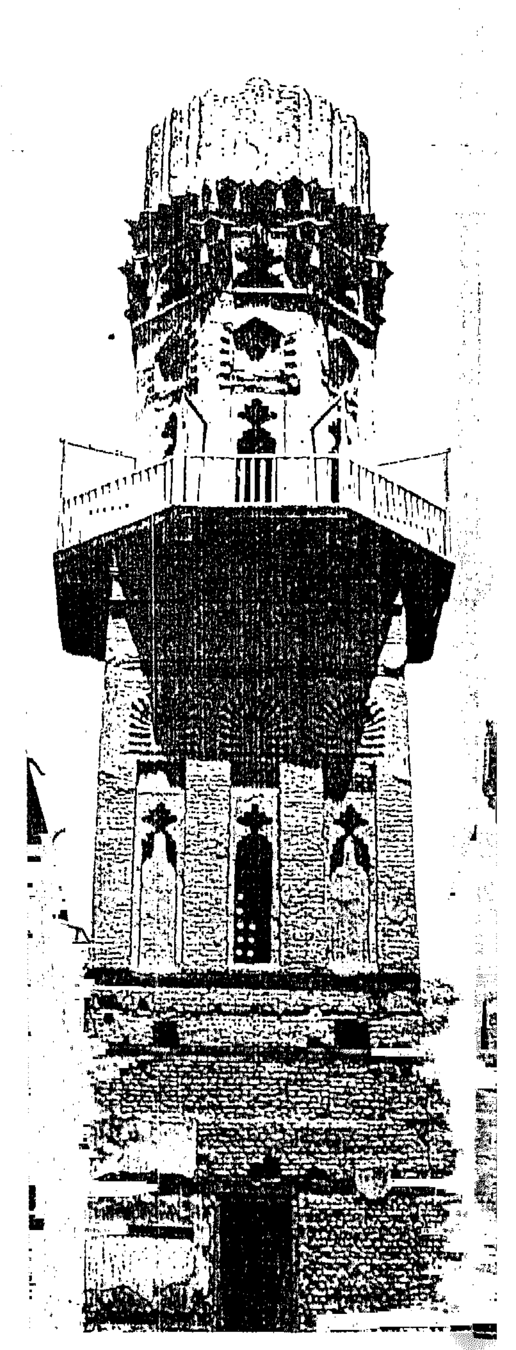
منارة مسجد قايتباى

منارة مشهد اليوسفى

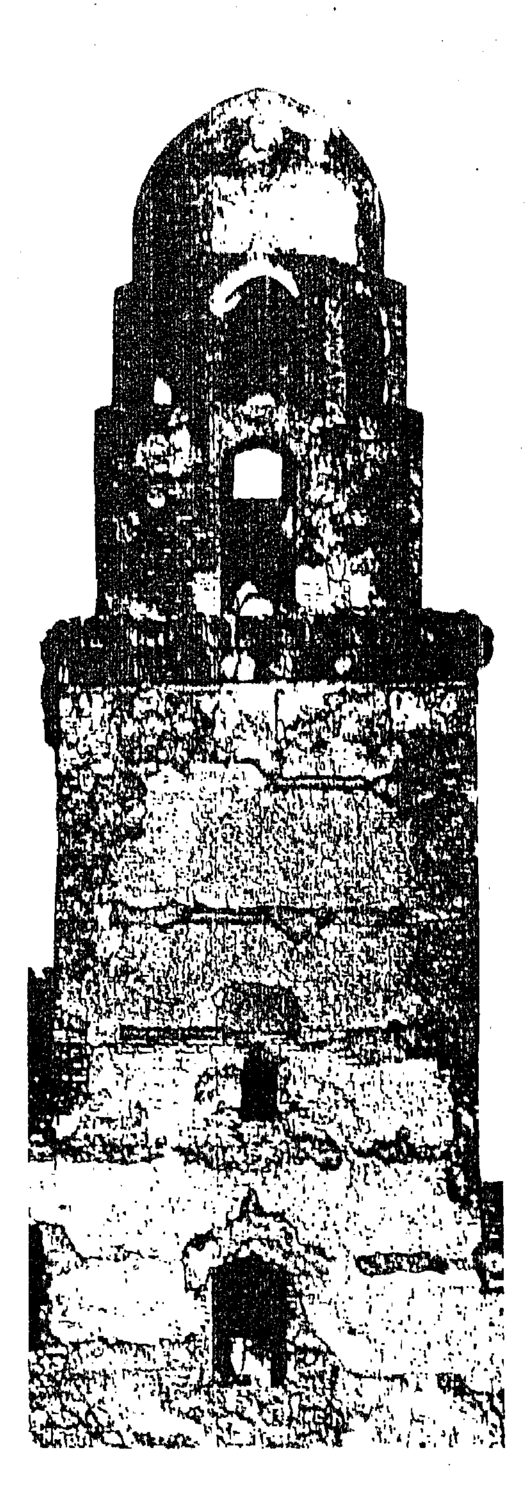
الناصر محمد بن قلاوون



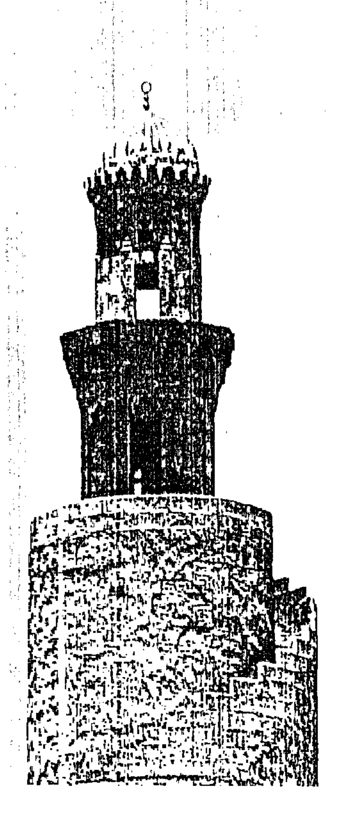
الصالح نجم الدين الأيوبى



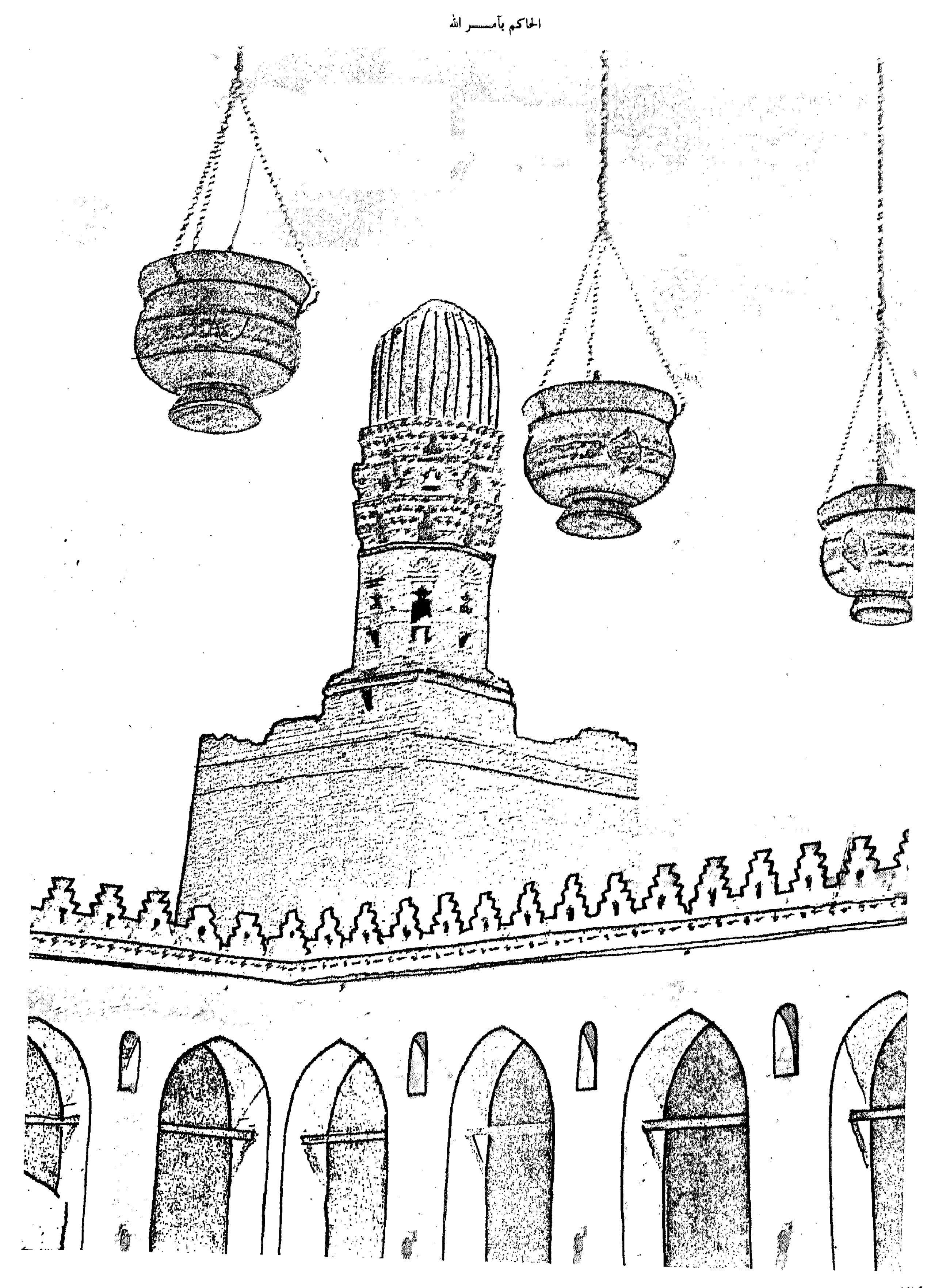
منارة مسجد الجيوشى



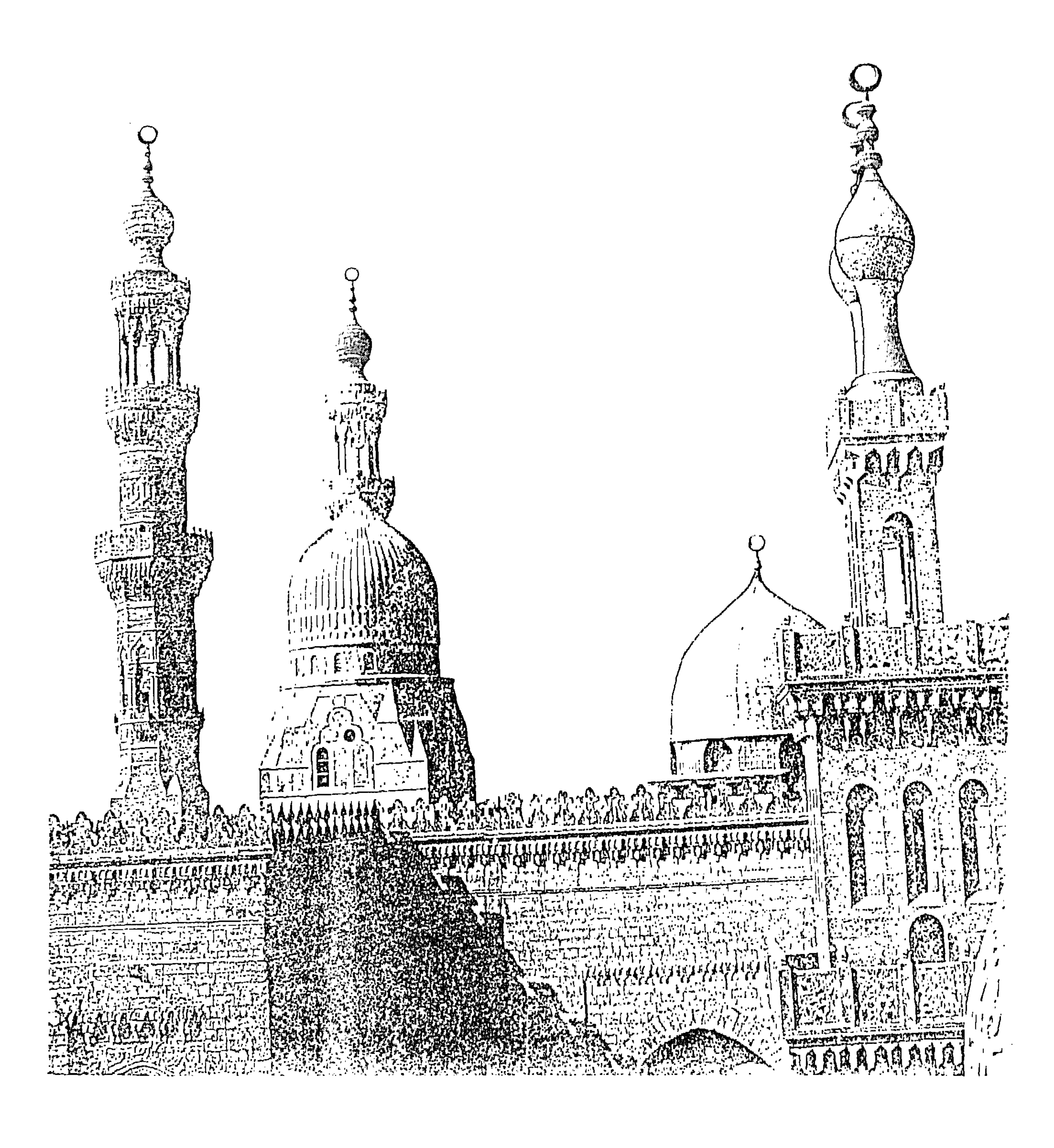
منارة مسجد أحمد بن طولون

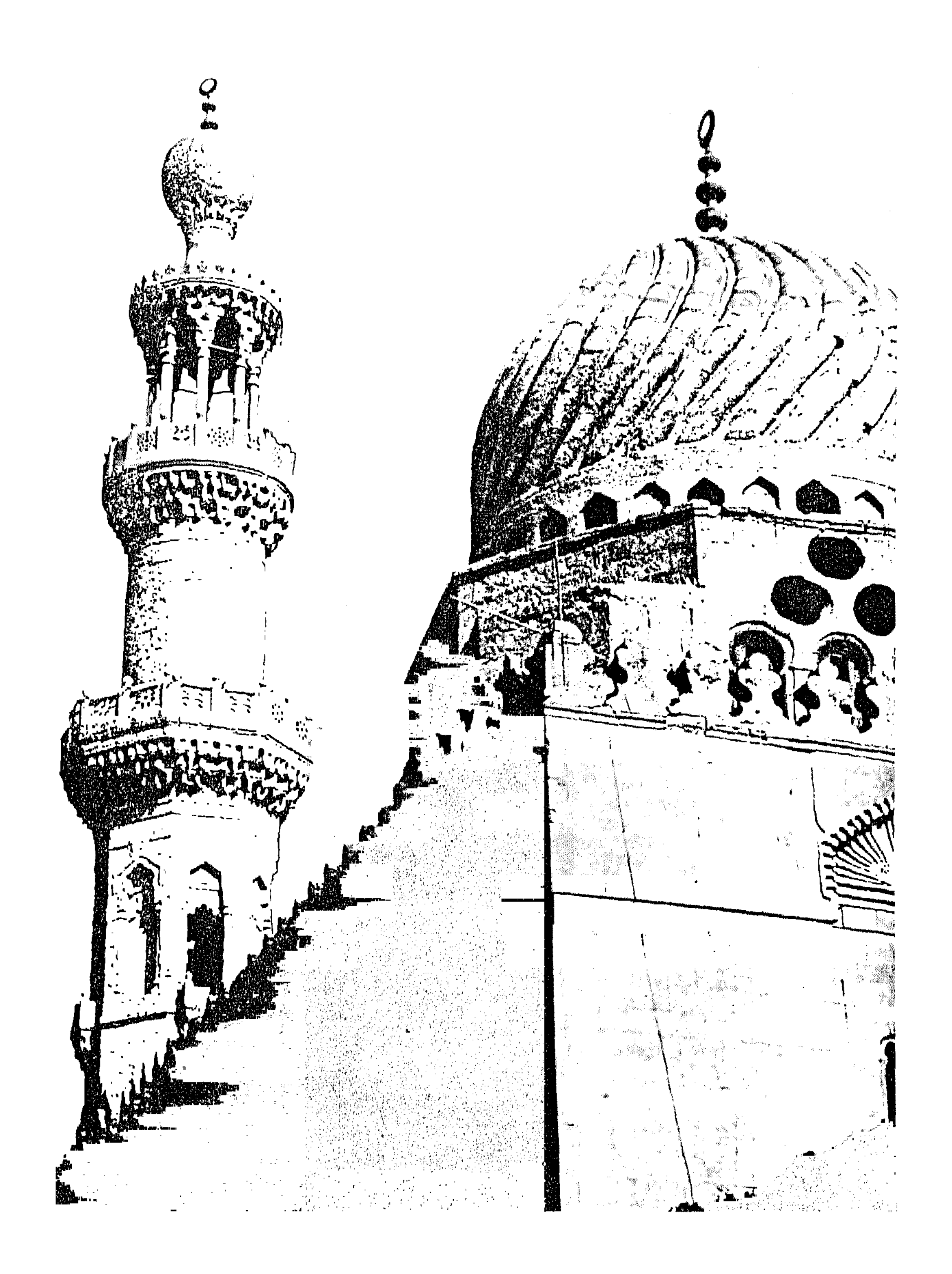


الحاكم بأمـــر الله

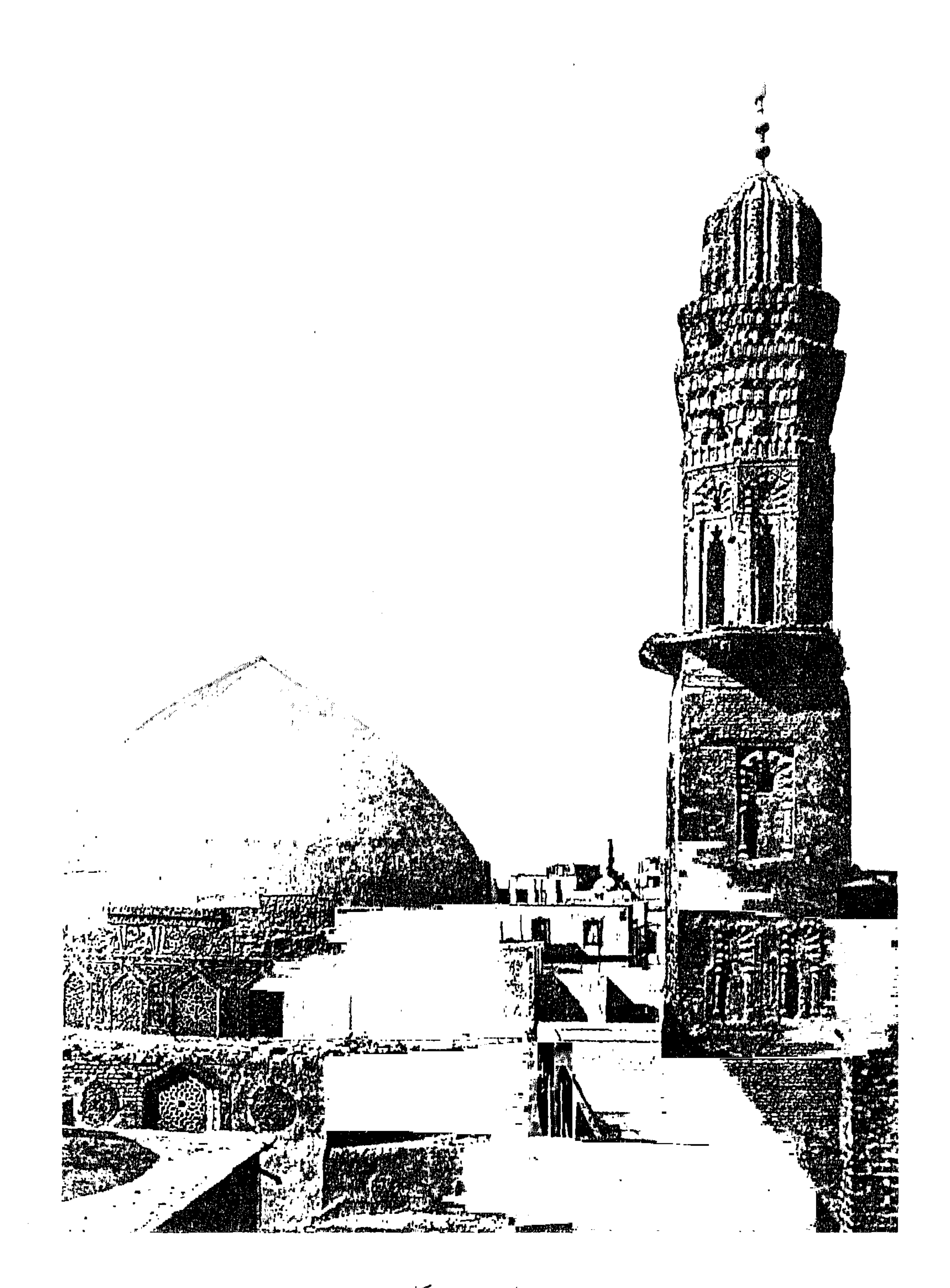


مئذنة قانی بای الرماح ١٥٠٣

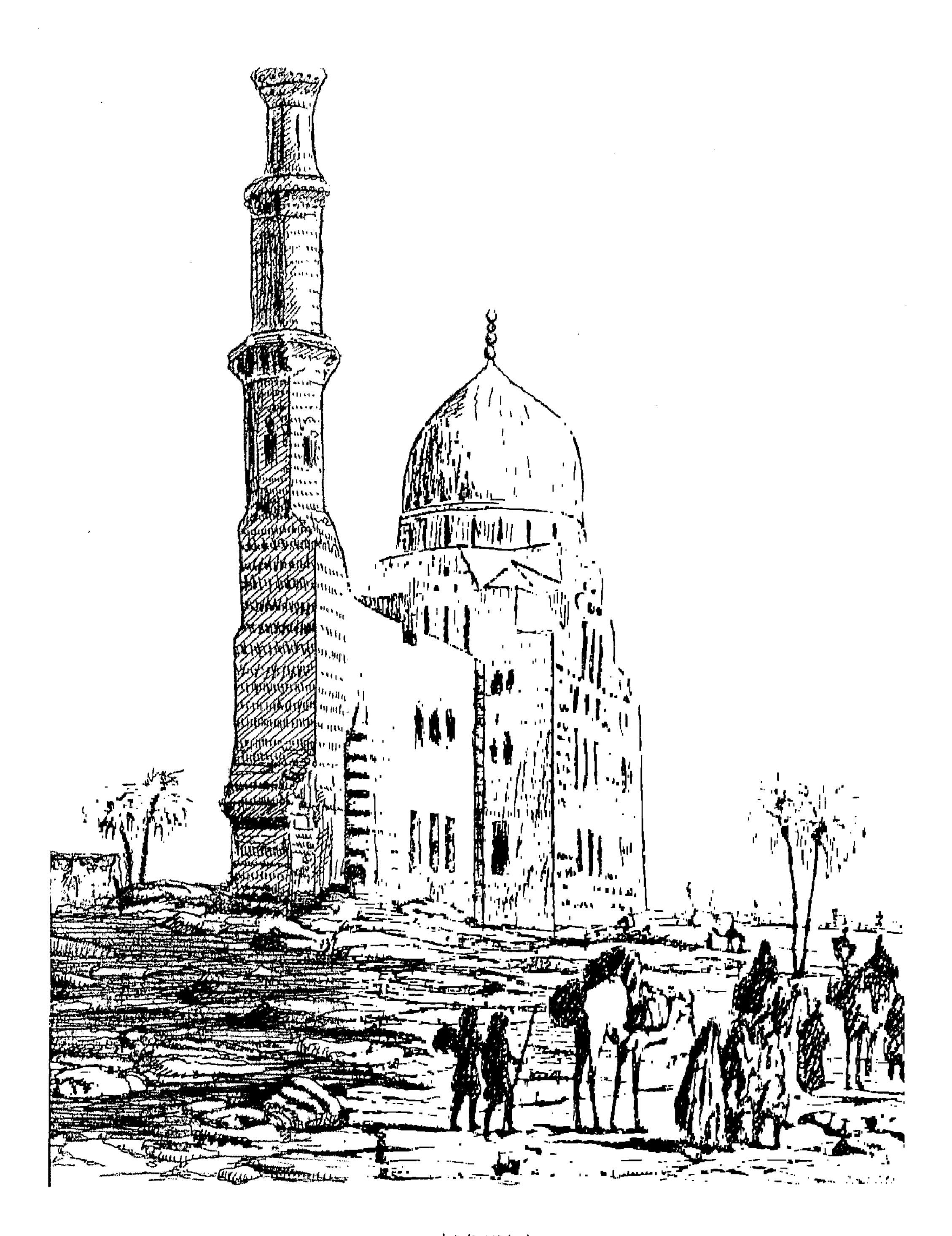




مسجد اليوسفى ١٣٧٣

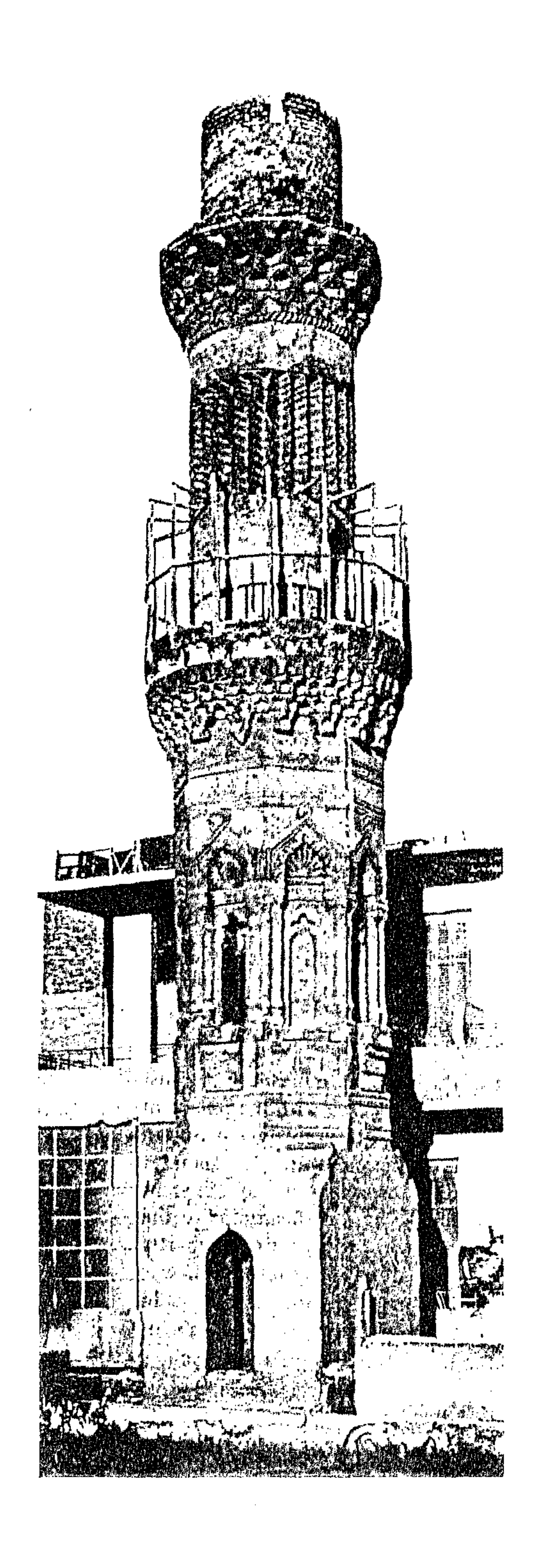


منارة حسن سوكا



مسجد السلطان العادل

مسجد موسكي القطرى





مآذن جامع محمد على

وتم بناء السور الجديد بأكمله من الحجر، وزوده بمجموعة من الأبواب الجديدة، أشهرها الأبواب الثلاثة الجديدة وهى النصر والفتوح وزويلة، كما أضيف للسور عدة أبواب جديدة منها باب الشعرية، وباب البحر، وباب المحروق وباب الوزير، والقنطرة الجديدة.

كما سميت المنطقة المحصورة بين السورين الجديد والقديم فى الجهة الغربية، بحى بين «الصورين»، وهو الاسم الذى يطلق عليها حتى الآن.

وفى سنة ١١٧٦م عندما وجد صلاح الدين الأيوبى، أن عدد السكان خارج السورين القديمين أصبح يساوى ما كان بداخلهما، قام ببناء سور جديد يضم القاهرة والقلعة والفسطاط، واستخدم فى بنائه وبناء القلعة نفسها أحجار الأهرام والمصاطب الصغيرة بالجيزة وبعض الأحجار المتخلفة من أسوار نابيلون القديمة، ومات قبل إتمام مشروع أسواره وأكمله السلطان العادل. واشتمل السور الجديد على مجموعة جديدة من الأبواب، كأبواب القرافة والقلعة، وأيوب بك، وباب الغريب، وباب طولون، وباب الخلق، وباب الحسينية.

وكلما توسعت القاهرة وامتد عمرانها خارج أسوارها، أضيفت إليها مداخل جديدة، وأبواب جديدة، كأبواب السيدة زينب، وباب الشيخ ريحان. وعندما دخلت السكة الحديد مصر، ظهر باب الحديد فى الشمال ثم باب اللوق فى الجنوب.

لقد اندثرت معظم الأسوار وآثارها وأبوابها، إلا أن الأحياء والمواقع التى كانت بها احتفظت بأسمائها لتسجل تاريخها.. أو تاريخ المدينة نفسها.

- من أسوار القاهرة الدفاعية وقلاعها، خرج رمسيس الثانى، ليصل بجيوشه إلى القدس وآسيا الصغرى.
- وخرج صلاح الدين الأيوبى بجيوشه، ليلتقى برتشارد قلب الأسد ويستخلص منه مدينة القدس.
- وبيبرس ومماليكه يكسرون شوكة الصليبيين ويفتحون عكا ويطردون لويس التاسع الملقب بالقديس.. كما نقل أحد أبواب عكا القوطى الطراز من كنيسة اندرو ونصبه فى القاهرة تخليدا لذكرى انتصاره.
- وخرج قنصوه الغورى ليصل إلى حلب، لمحاربة العثمانيين حيث انتصر عليهم واستشهد.

القاهرة مدينة الألف مئذنة

وصف مؤرخو القرن الرابع عشر ممن زاروا القاهرة بأنها «مدينة الألف مئذنة»، وهو الاسم الذى ما زال يطلق عليها حتى الآن فى كثير من مراجع الأعلام. فالقاهرة تعد فى الواقع متحفاً للمآذن يسجل تاريخ نشأة المئذنة وتطورها عبر تاريخ العمارة الإسلامية، كما تعتبر كل مئذنة بما ارتبط بها من ذكريات تاريخية صفحة فى مدينة القاهرة.

إن أول مئذنة فى تاريخ الإسلام والعالم الإسلامى بأكمله، ابتكرها المصريون وقاموا ببنائها سنة ٦٤٥م، وهى مئذنة جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وقد أطلق عليها اسم «المنارة» (ذكرت بعض المراجع التاريخية القديمة أنها كانت أربع منارات، أقيمت فوق أركان المسجد الأربعة).

وعندما وصلت أخبارها إلى الخليفة عمر بن الخطاب أمر بهدمها، لأنها بدعة لا تتفق مع الإسلام.

كما شهد مسجد عمرو أول منبر فى تاريخ المساجد الإسلامية ابتكره المصريون أيضاً، ولما علم الخليفة بأمره طلب إزالته.

وقد ذكر كل من ثيرشTHiersch وبتلرButler فى مراجع تاريخ العمارة، أن المآذن التى ابتكرها المصريون للمساجد الإسلامية نقل تصميمها وفكرتها من فنار الإسكندرية الفرعونى والذى كان سبباً فى إطلاق اسم المنارات على المآذن.

وقد أعيد بناء المنارة فى العصر الأموى عند توسعة جامع عمرو، كما ارتفعت فى سماء القاهرة منارة أخرى لمسجد مدينة العسكر، التى أقيمت سنة ٧٨٥م فى العصر العباسى، وتهدمت فى حريق الفسطاط الكبير.

وتعتبر منارة مسجد قيروان الذى أقامه هشام بن عبدالملك بن مروان، التى نقل تصميمها من منارة الإسكندرية الفرعونية أقدم مئذنة ما زالت قائمة فى العالم الإسلامى، وقد ذكر المؤرخ Rivoira، أنها تحاكى منارة جامع عمرو بن العاص القديمة أول منارات الإسلام.

أما أقدم مئذنة ترتفع فى سماء القاهرة، فهى مئذنة جامع ابن طولون الذى بناه فى مدينة القطائع سنة ٧٢٤م التى نقل تصميمها من ملوية مسجد سامراء.

لقد تطور شكل المئذنة وطرازها، وطريقة بنائها ونسب تكوينها،خلال مختلف العصور الإسلامية فى مصر، وما تبعها من تطور فى فن العمارة نفسه، فسجلت المآذن استعراضا معماريا رسم خط السماء لمدينة الألف مئذنة .

من أول المساجد التى بنيت فى قاهرة المعز داخل أسوارها الجديدة، جامع الأزهر الذى بناه جوهر الصقلى سنة ٩٧٠م، أما مآذنه الثلاث فترجع إلى ثلاثة عصور مختلفة ، الأولى بناها المهندس قايد بك فى القرن الخامس عشر، والثانية بناها الغورى فى بداية القرن السادس عشر والثالثة بناها كاتخدا فى القرن الثامن عشر .

أما جامع الحاكم فقد قام ببنائه الخليفة العزيز سنة ٩٩٠م، وقام بتكملته ابنه الحاكم بأمر الله سنة ١٠١٢م، وله مئذنتان تعتبران تحولا فى فن عمارة المآذن ، وقد تعرضت المآذن للتصدع فى زلزال سنة ١٢٠٢ وقام بيبرس الثانى بتدعيمها بواسطا البناء المربع الذى يخفى الجزء الأسفل من المئذنة ، ولو أن الكثير من المؤرخين يعارضون تلك النظرية، حيث أن معظم المساجد التى بنيت فى وقت معاصر أو فى العصر الفاطمى بأكمله (٩٦٨ - ١١٧١م) ، بنيت جميعها الأسلوب نفسه ذى القاعدة المربعة التى تعلوها المئذنة ومنصاتها المختلفة التكوين ، كمآذن الجيوشى والأقمر وأبو الغضنفر.

كما اشتهرت مآذن العصر الأيوبى (١١٧١ - ١٢٤٩م)، بكثرة الزخارف والمعلقات والمقرنصات والقباب التى تتوج المآذن ، ومن أشهرها ، مآذن مسجد سيدنا الحسين ١٢٣٧م، ومئذنة مدرسة الصالح نجم الدين أو الصالح أيوب ، وذكر ريفوارا Rivoira أن الأيوبيين نقلوا تلك الزخارف وخاصة المقرنصات من مسجد آنى فى أرمينيا الذى بنى سنة ١١٠٠م عن طريق الفنانين الذين أحضروهم معهم من أرمينيا، ولو أن كرسويل يكذب تلك النظرية حين أثبت أن زخارف مسجد أرمينيا ومقرنصاته وقبة مئذنته، ما هى إلا تطوير لزخارف وحليات مسجد الجيوشى الذى بنى قبل مسجد أرمينيا بخمس عشرة سنة.

وفى عهد المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٨١م)، أخذ تصميم المآذن طابعاً آخر تغيرت به نسب المآذن وأبعادها وظهر أثر الطراز السورى والمغربى فى كثير من تفاصيلها، ومن أشهر المآذن التى خلفها ذلك العصر، مئذنة زاوية الهنود التى بنيت عام ١٢٥٠م، ثم السلطان قلاوون ١٢٨٥م، وفاطمة خاتون ومدرسة الناصر قلاوون وسنجر الحاولى والماردانى.

ومن أشهر مآذن ذلك العصر مئذنتا جامع السلطان حسن ١٣٥٦م، التى تهدمت إحداهما فى زلزال القاهرة سنة ١٣٦١م، بعد إقامتها مباشرة والتى ذكر لين بول أن ارتفاعها كان مائة متر تقريبا، وأنها سقطت على مدرسة مجاورة وقتلت ٣٠٠ طفل.

وفى عهد المماليك الشراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧م)، أخذت المآذن طابعاً معماريا خاصا امتاز بدقة التفاصيل وكثرة الزخارف فى مختلف أدوار المئذنة ومنصاتها، ومن أشهر مآذن ذلك العصر، مئذنة جامع السلطان برقوق ١٣٤٨م، وفرج، والمؤيد، والقاضى يحيى، وقايد بك وابن مظهر .

مع الفتح العثمانى بقيادة سليم الأول (١٥١٧ - ١٨٠٥م)، تطورت المآذن لتأخذ الطابع التركى فى طراز المآذن الأسطوانية الشكل، والتى تمتاز بارتفاعها ونحافتها، ومن أحسن أمثلتها، مئذنة جامع عثمان كاتخدا ١٧٣٤م، وفى عهد أسرة محمد على، كان طراز المآذن امتدادا للطراز العثمانى، ومن أحسن الأمثلة التى خلفها ذلك العهد، مآذن قلعة محمد على، وقد تم فى العصر الحديث إقامة عشرات المآذن التى احتلت مكانها فى التطور العمرانى للمدينة لتعبر عن تطور المدينة وعمارتها .

التطور التاريخى لمدينة القاهرة

● **الفسطاط:** أنشأها عمرو بن العاص عام ٦٤١ ميلادية، لتكون عاصمة للولاية الإسلامية فى مصر. وقد اختير الموقع شمال شرق حصن بيلون الرومانى. وقد صادف اختيار هذا الموقع أهمية كبرى. سواء من الناحية الجغرافية أو السياسية أو الاقتصادية. باعتباره يتوسط الإقليم. ويقع على رأس دلتا النيل، علاوةً على أنه ملتقى طريقين دوليين بين الشرق والغرب وإن كان تخطيط المدينة بسيطًا فتعميرها أيضاً يمثل الاتجاه نفسه الذى يعبر عن بساطة سكانها. وقد أحرقت المدينة سنة ١١٦٩م خوفاً من سقوطها فى يد الصليبيين.

● **العسكر:** ظهرت هذه الضاحية سنة ٧٥١م، كعاصمة للدولة العباسية فى مصر فى الشمال الشرقى لمدينة الفسطاط. وتعتبر امتداداً لها أو حياً من أحيائها، يمكن اعتباره امتداداً للاتجاهات التخطيطية والعمرانية التى ظهرت فى مدينة الفسطاط، ويرجع ذلك إلى انتقال الحكم من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية.

● **القطائع:** أسسها أحمد بن طولون سنة ٨٦٨م فى الشمال الشرقى لمدينة العسكر وتعتبر القطائع الضاحية الثالثة بعد الفسطاط والعسكر. وقد سميت باسم القطائع نسبةً إلى تقسيم المدينة إلى قطع، أعطى لكل جماعة من الجنود قطعة خاصة بها. ويعتبر تخطيط مدينة القطائع أول استخدام لنظام تخطيطى محدد فى مدينة إسلامية بمصر. حيث أنشئت فيها الطرق المستقيمة المتقاطعة عمودياً مكونة ملامح تخطيط شبكى متعامد يتوسطه ميدان فسيح.

● **القاهرة الفاطمية:** تعتبر القاهرة الفاطمية الضاحية الرابعة التى أسسها جوهر الصقلى سنة ٩٦٩م، وقد أنشئت الضاحية الجديدة فى اتجاه امتداد المدينة السابق ومنفصلة عنها، يحيطها سور أنشئ حول المدينة لأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى السابق فى مصر ـ وقد جرى تخطيط المدينة على نحو مشابه لتخطيط المدن الرومانية، من حيث تعامد الشوارع مع بعض تحويرات أملتها الاستجابة الطوبوغرافية الموقع وارتباط المدينة بمخارجها بتأكيد المحور الشمالى الجنوبى.

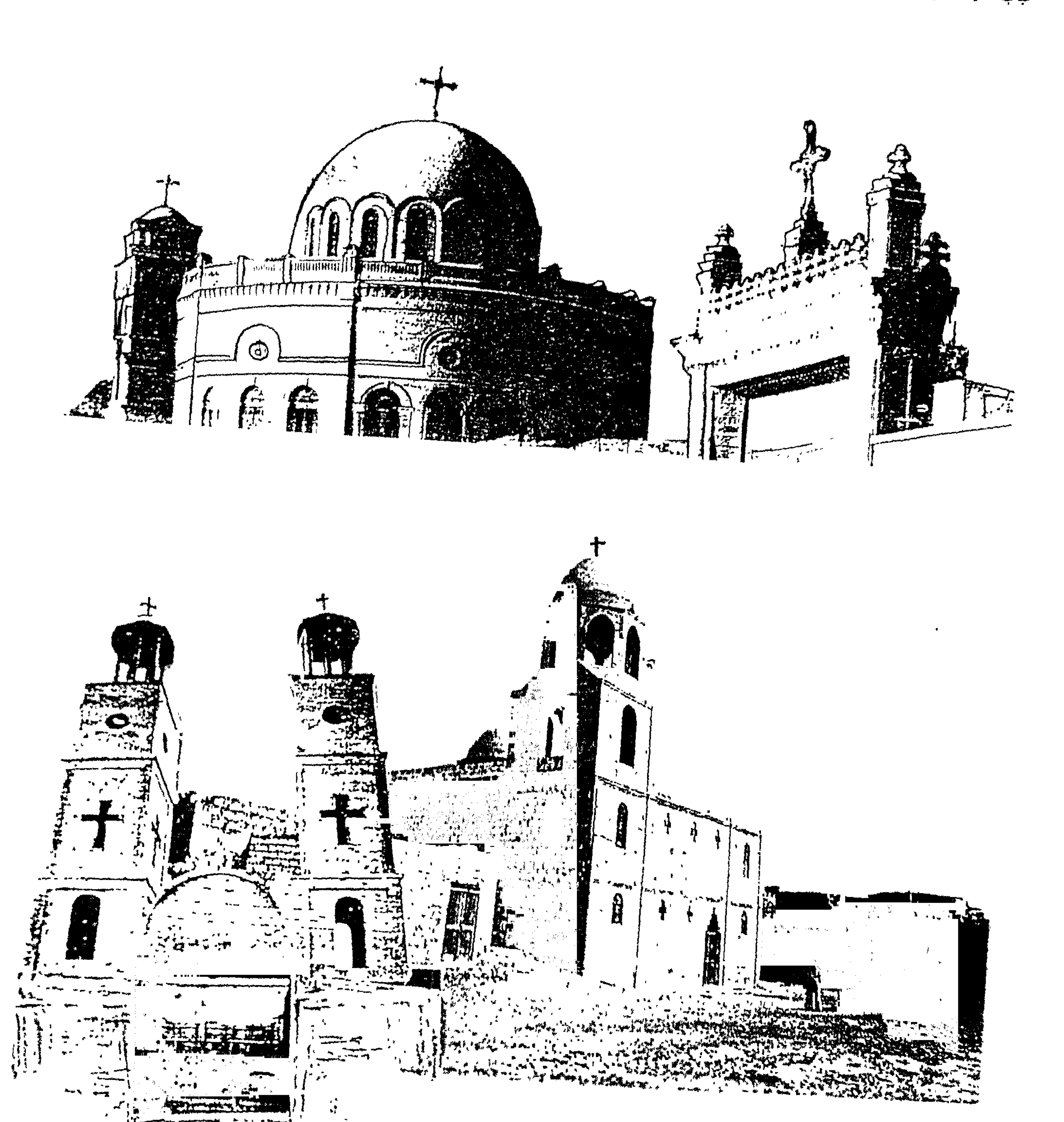
● **القاهرة الأيوبية: (١١٧١م):**

لم يتجه صلاح الدين الأيوبى إلى بناء عاصمة جديدة بل انضمت ضواحى المدينة الأربعة (الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة) فى وحدة واحدة، لتكون عاصمة للدولة الجديدة التى ضمت مصر والشام والعراق، ويتميز تخطيط المدينة فى هذا العصر بميزات خاصة تبعاً لظروف وأهداف منبثقة عن مقومات وجوده وحكمه الذى كان من أبرزها.

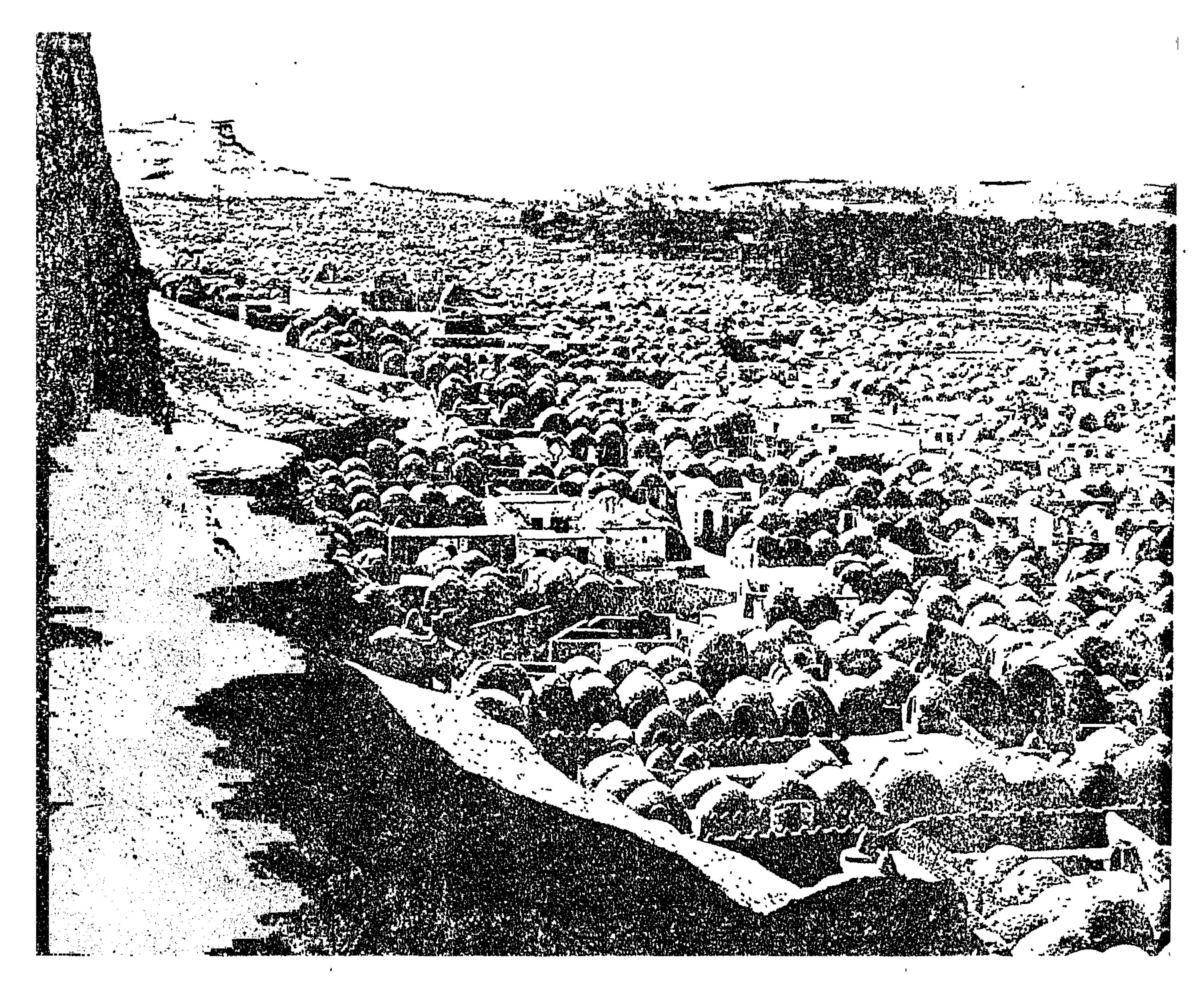
الظروف والأهداف الحربية، باعتبارها الدولة التى تحملت عبء الحروب الصليبية.

الظروف والأهداف الدينية، باعتبارها كانت مسئولة عن محاربة الأفكار الشيعية.

قباب كنيسة ابو سرجة ـ مصر القديمة



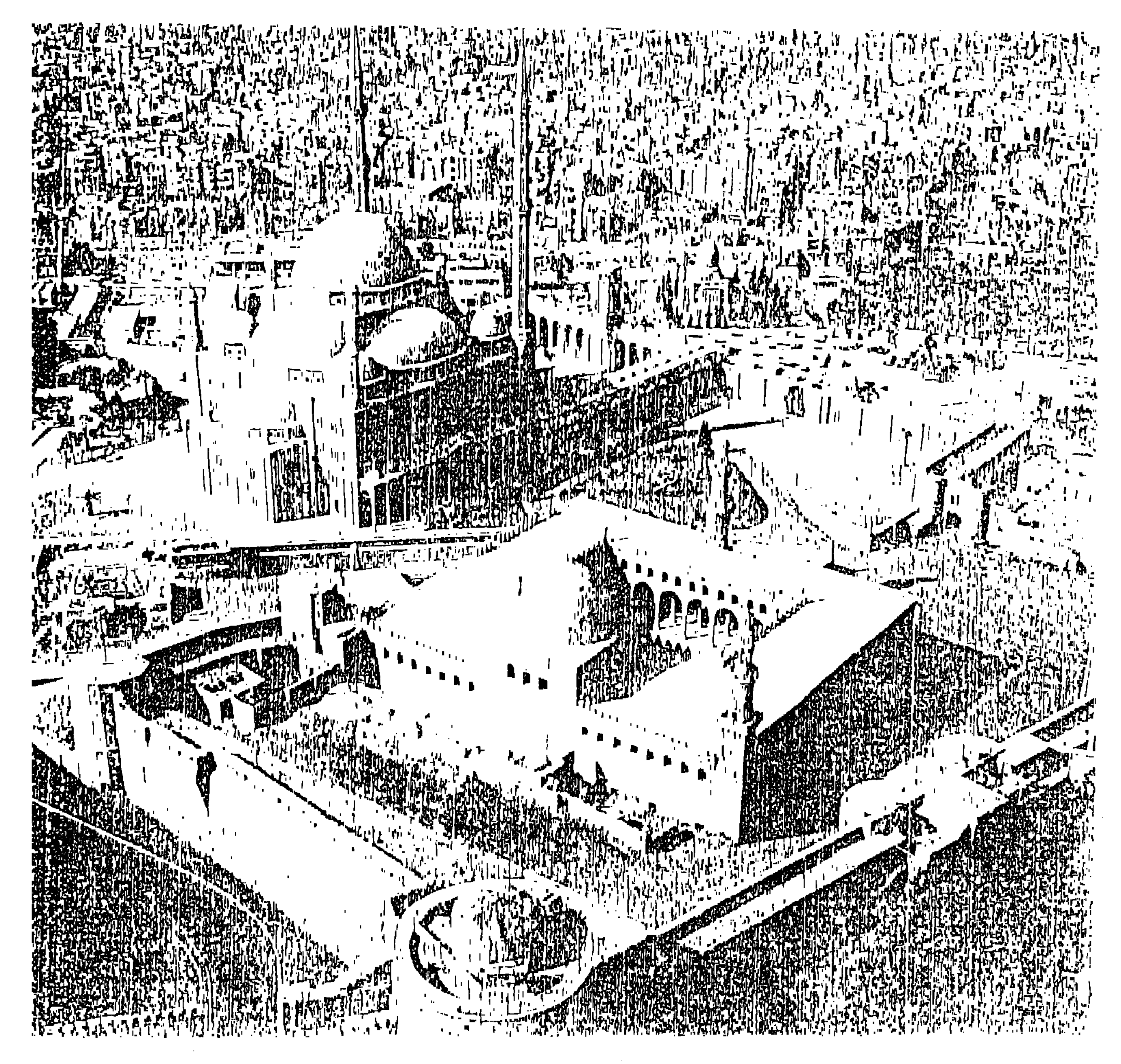
ابراج قباب الدير المحرق



إحدى قرى الصعيد القديمة وقد بنيت مساكنها بطريقة التسقيف بالقباب الفرعونية

أما القباب فلا تنسب نشأتها إلى القاهرة مدينة الآذن والقباب، فمصر عرفت القباب من آلاف السنين مع بداية الحضارة، صنعها المصرى القديم من قالب الطوب الذى صنعه من طمى النيل وقام بتغطية أسقف مدن بأكملها بالقباب وانتقلت القباب إلى عمارة بناء الأضرحه، ثم انتقلت منها إلى المعابد والمبانى الدينية لتخرج من مصر إلى العالم أجمع لتغطى المبانى الدينية من دور العبادة فى مختلف الأديان لتعلو الكنائس وتنتقل منها إلى الإسلام وتعود إلى مصر لتعلو المبانى الدينية من معابد وكنائس ومساجد

فخرجت القباب من مصر لتعود إليها ثانية وترتفع بدورها بجانب الألف مئذنة



• القاهرة مدينة المآذن والقباب :

اطلقوا على القاهرة اسم مدينة الألف مئذنة ليس لعدد المآذن التى ترتفع فى سمائها ففى سماء القاهرة يرتفع أكثر من ألف مئذنة ولكن نسبة المآذن إليها يرجع لأن أول مئذنة ارتفعت فى سماء الأسلام كانت فى القاهرة عندما أقام المصريون أول مآذن فى الإسلام، أقاموها فى مسجد عمر بن العاص وأطلقوا عليها اسم المنارات تشبها بمناراه الإسكندرية ولذا فقد أطلق على المآذن التى ارتفعت فوق مساجد العالم الإسلامى اسم المنارات، ثم انتقل اسمها إلى المآذن نظرا للدور الذى تقوم به فى الأذان للصلاه

• القاهرة المملوكية (١٢٥٠م) :

إذا كانت القاهرة تدين لصلاح الدين بتوحد ضواحيها فى عاصمة واحدة. فإن القاهرة تدين للعصر المملوكى بتعميرها وتجميلها وكثرة المنشآت التى بنيت بها، والتى فاقت جميع المنشآت السابقة.

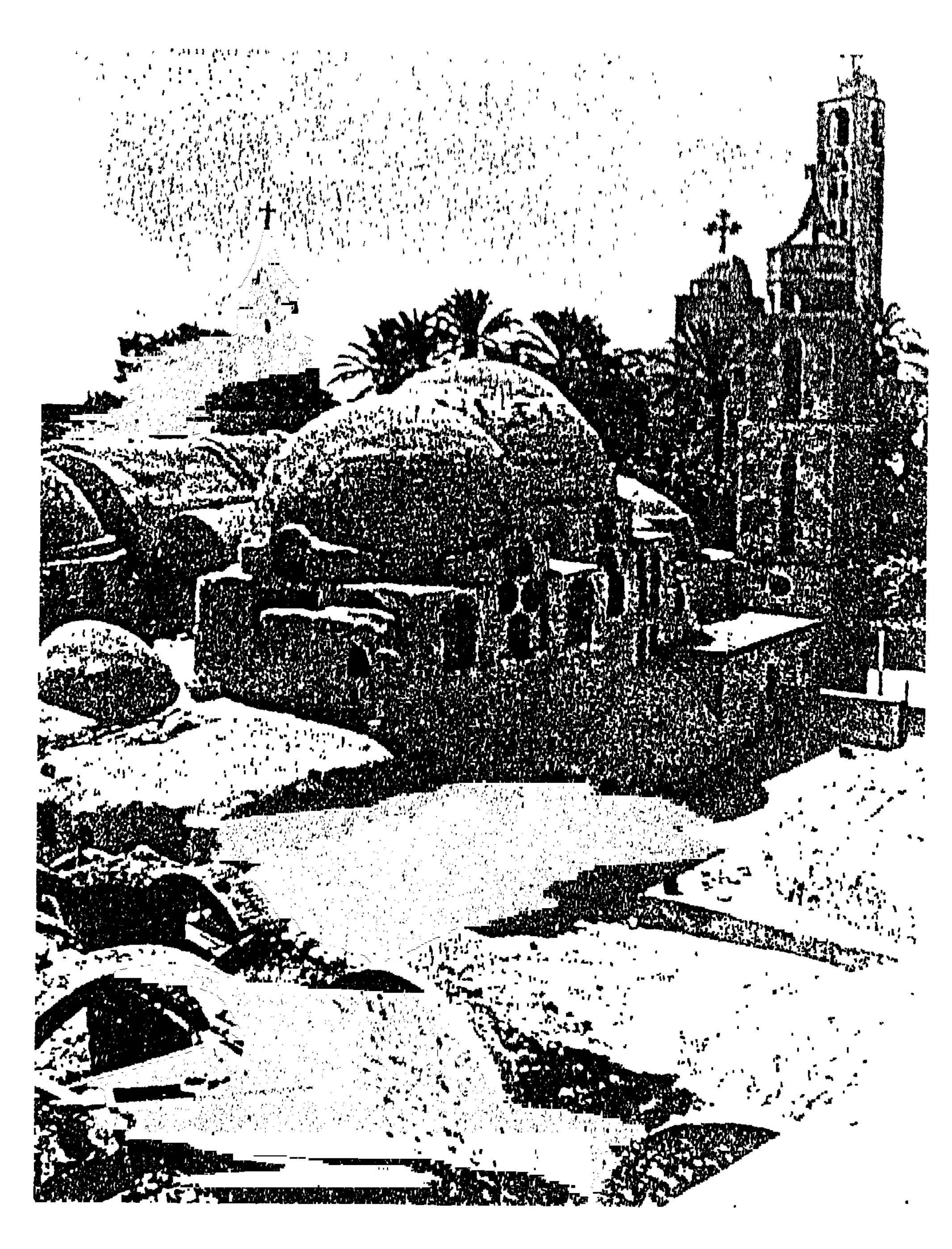
وقد ظهرت فى هذا العصر أغلب أحياء القاهرة الحالية، على شكل ضواح وبساتين وقصور صيفية جميلة على الشاطئ الغربى للخليج، حيث ظهرت أحياء الناصرية وباب الخلق، وباب اللوق، والموسكى، والأزبكية، وبولاق، إلا أن تركيز العمران ظل فى الأحياء القديمة.

• القاهرة فى العصر التركى (١٥١٧ ـ ١٨٠٥م):

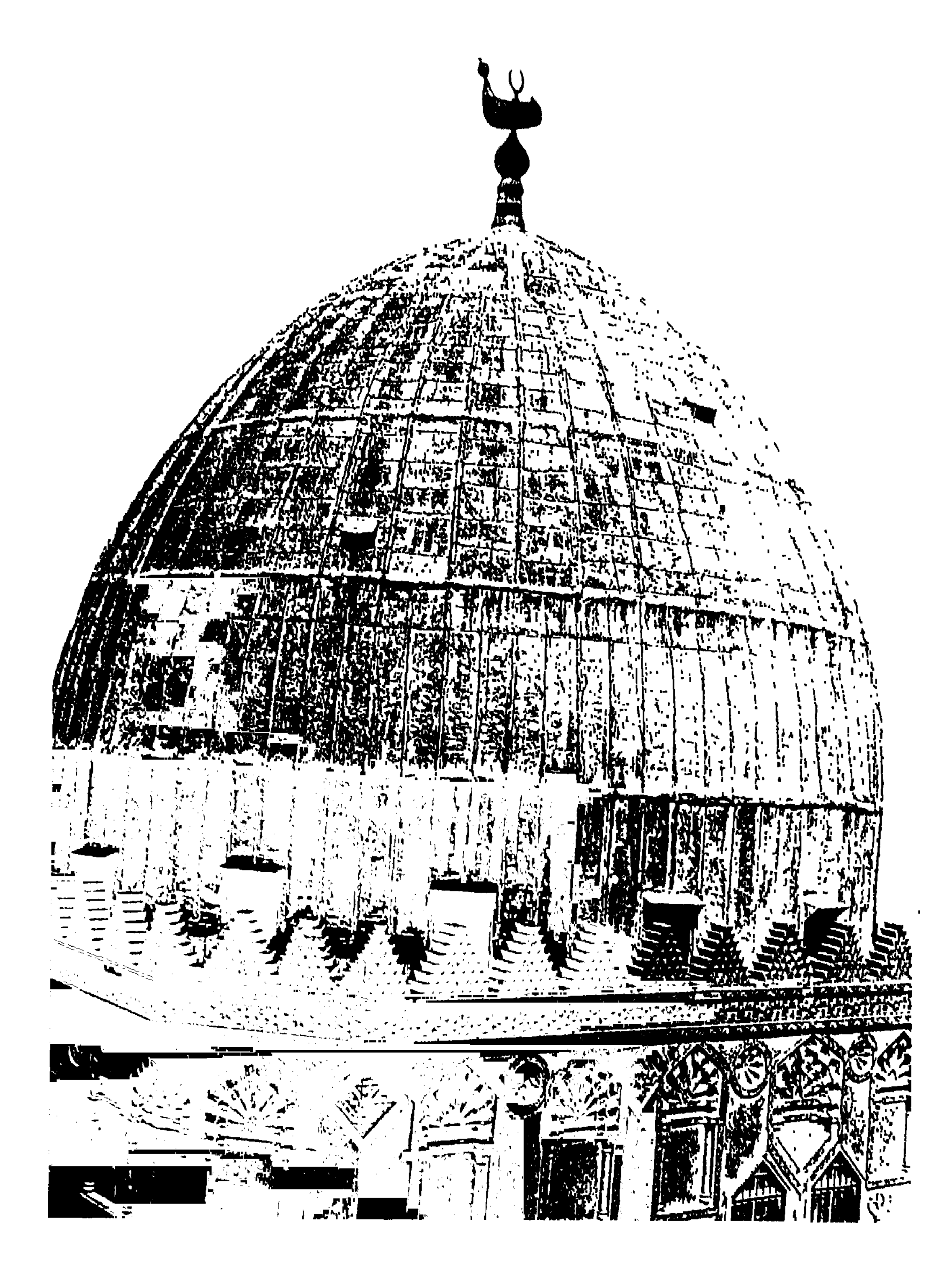
يمثل العصر التركى بالنسبة للتطور التاريخى والعمرانى للمدينة، مرحلة تأخر، نتيجة لاستيلاء العثمانيين على مصر التى فقدت فيها البلاد كل شىء، مركزها السياسى كدولة مستقلة وحريتها واستقرارها الداخلى وتجارتها، كما فقدت القاهرة مهرة صناعها وفنانيها، وقد تأثر عمران المدينة وتخطيطها إلى حد كبير بهذه الظروف.

• القاهرة الحديثة: القرن التاسع عشر ـ القرن العشرون)

تميز تطور المدينة فى هذا العصر بالسرعة والامتداد فى اتجاهات مختلفة، فاقت جميع الامتدادات السابقة والتى لم تكن مجرد اتساع الرقعة، فى فترة زمنية محدودة، ولكنها كانت مختلفة كلية فى تكوينها العام، من الناحية التطبيقية والعمرانية، وكان ذلك أثرا مباشرا للتطورات التى حدثت فى هذا العصر، بفضل المخترعات الحديثة والتطورات الصناعية الشاملة، وما ترتب عليها من تطور وسائل النقل ووسائل الخدمة، ووسائل التعمير، ومواد البناء وغيرها من الوسائل الحديثة.

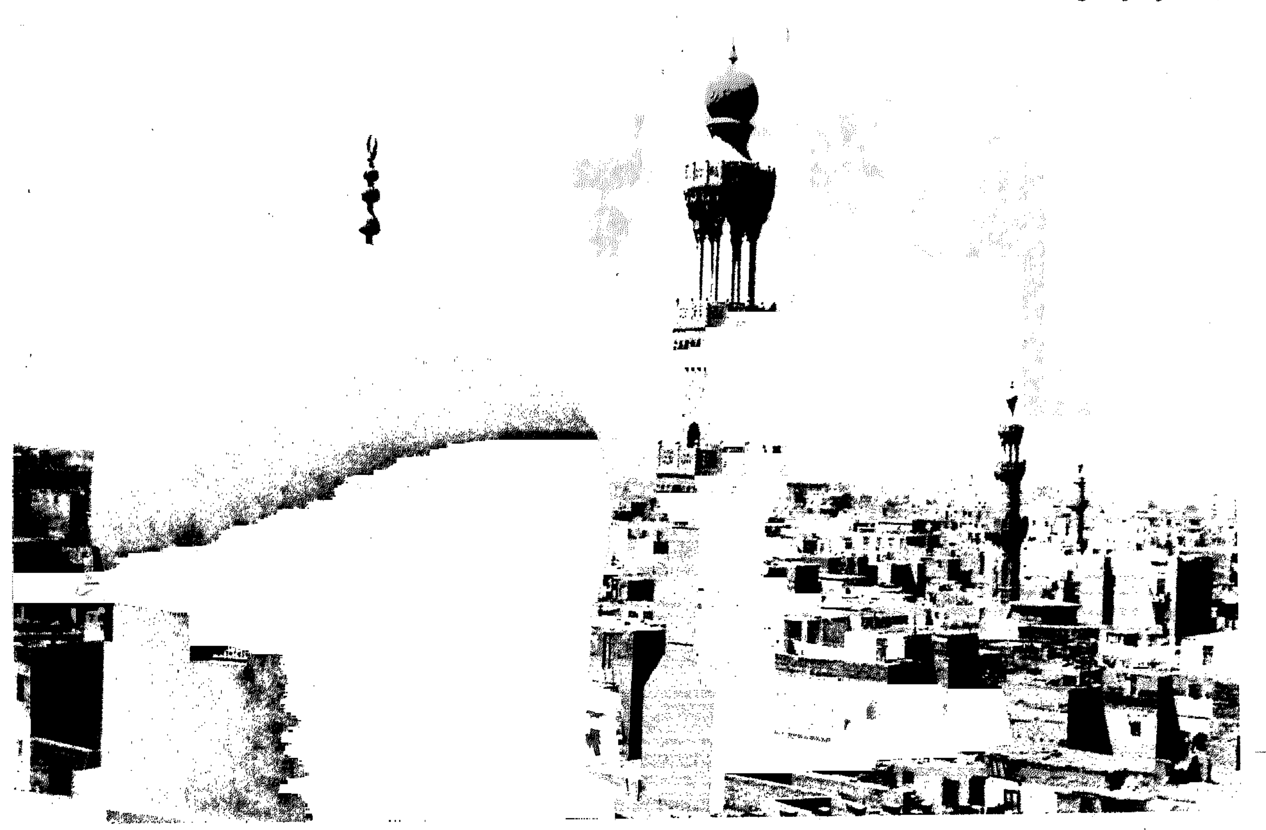


قبه كنيسة الانبايشيوى (الدير الأثرى)

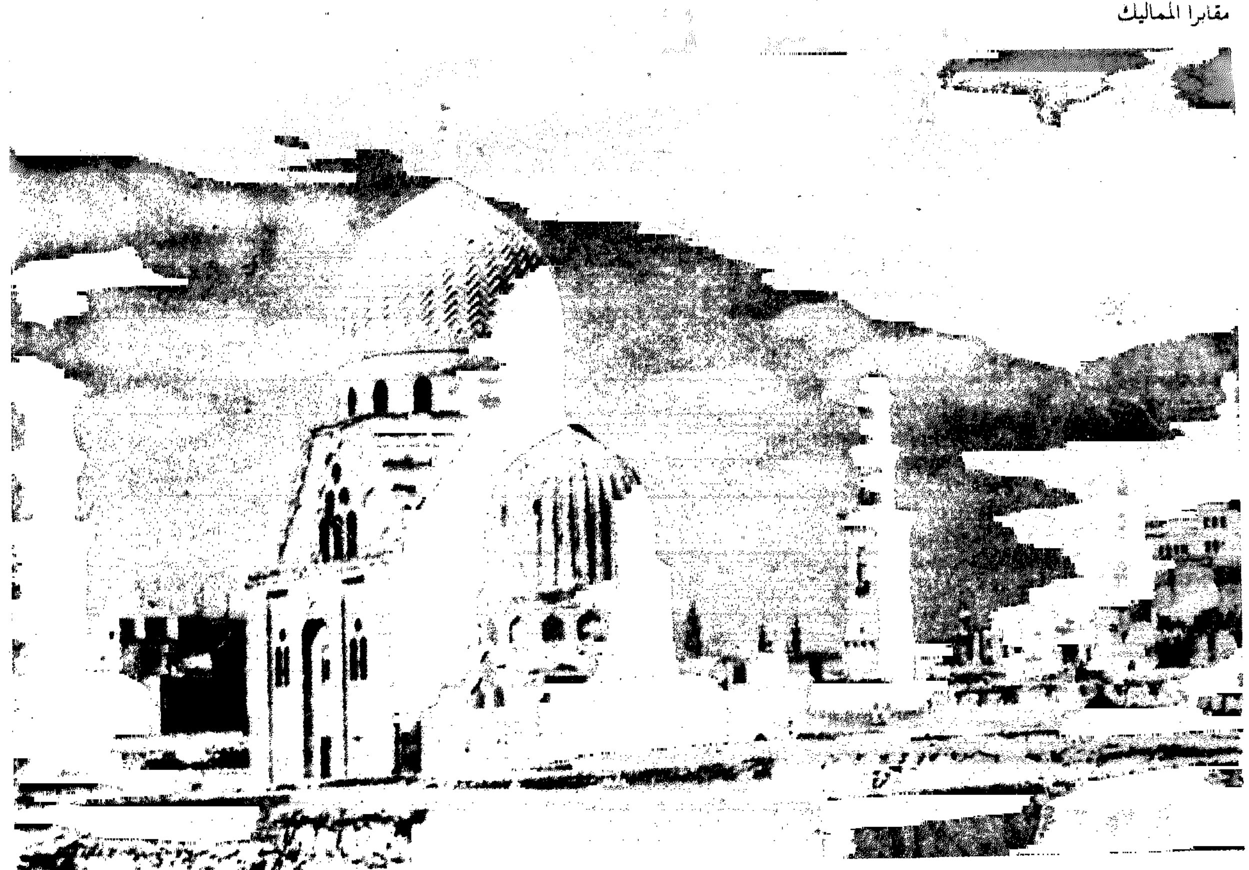


قبه مسجد الإمام الشافعى

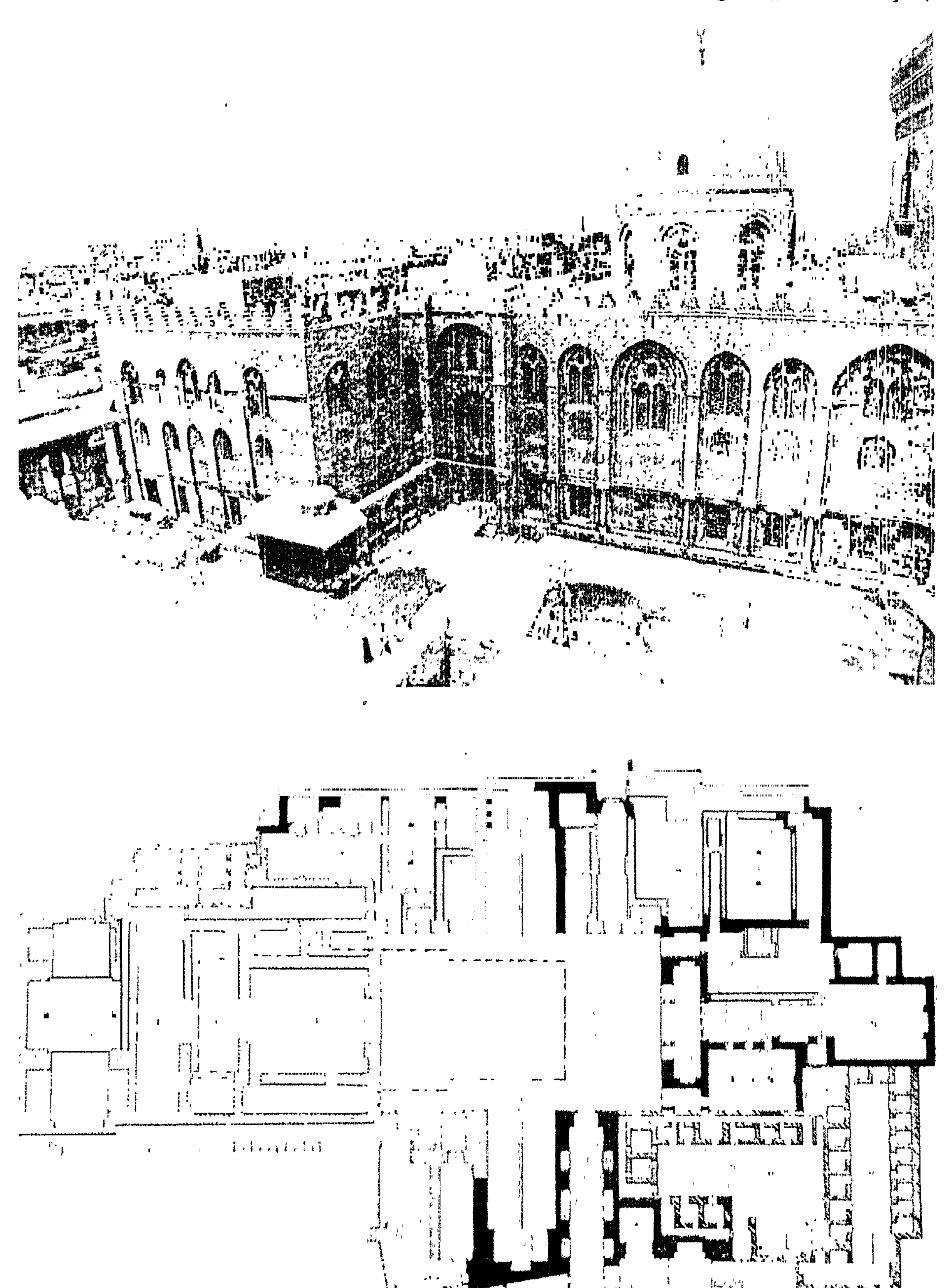
قبة الأمير صرغامش ١٣٥٦



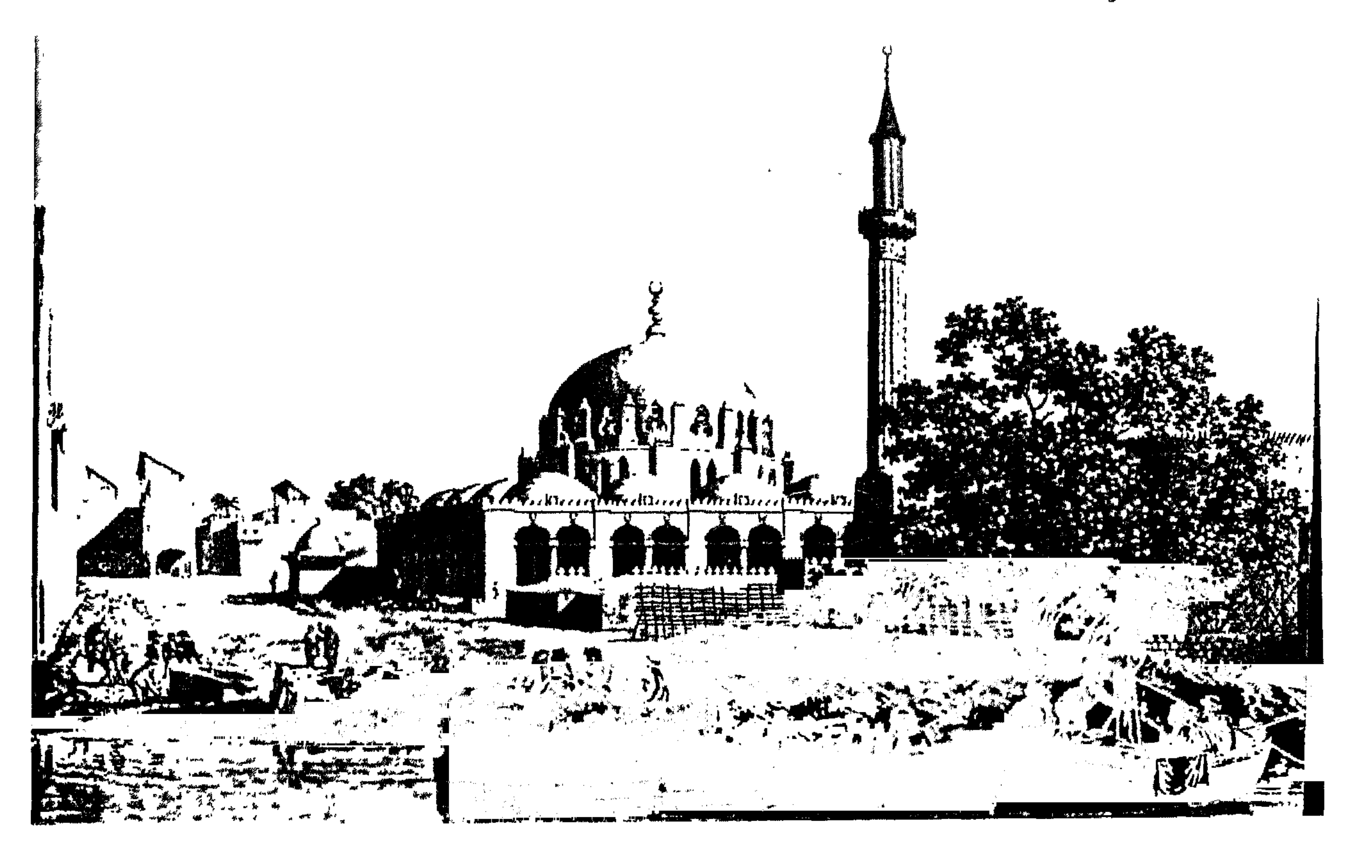
مقابر المماليك



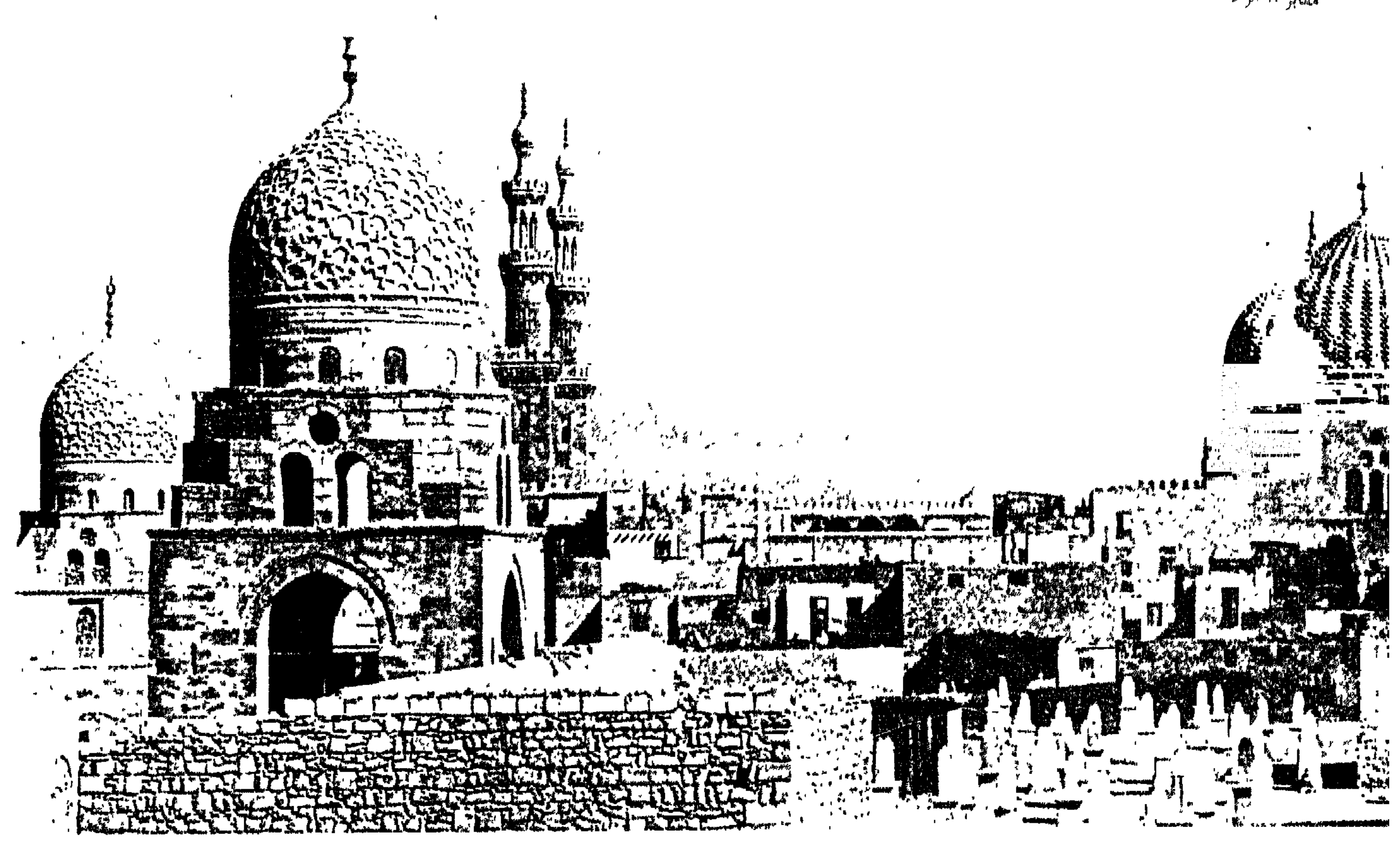
قبة مارستان السلطان قلاوون الألفى ١٢٨٥



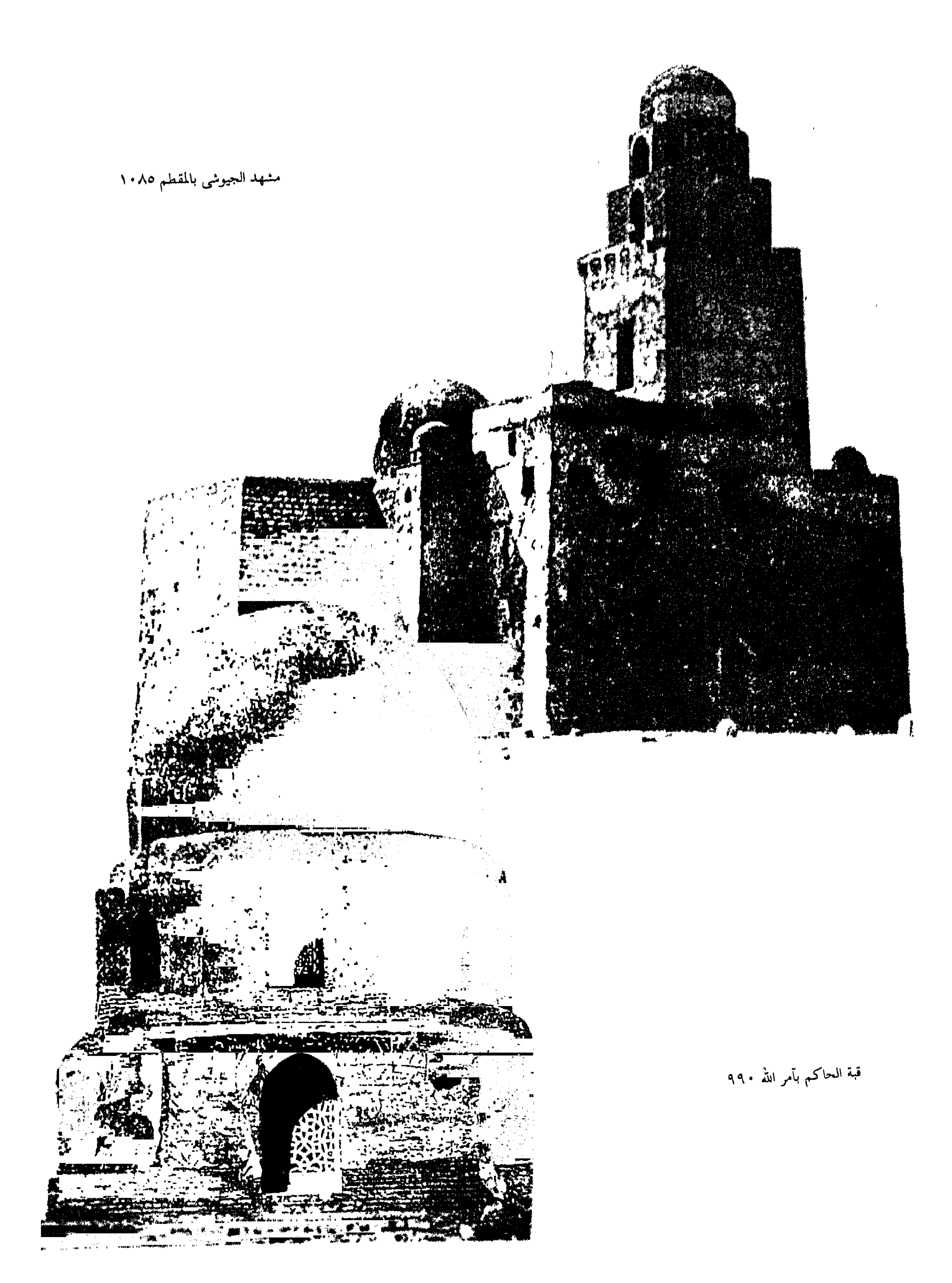
مسجد سنان باشا ـ بولاق ١٥٧٠



مقابر الامراء



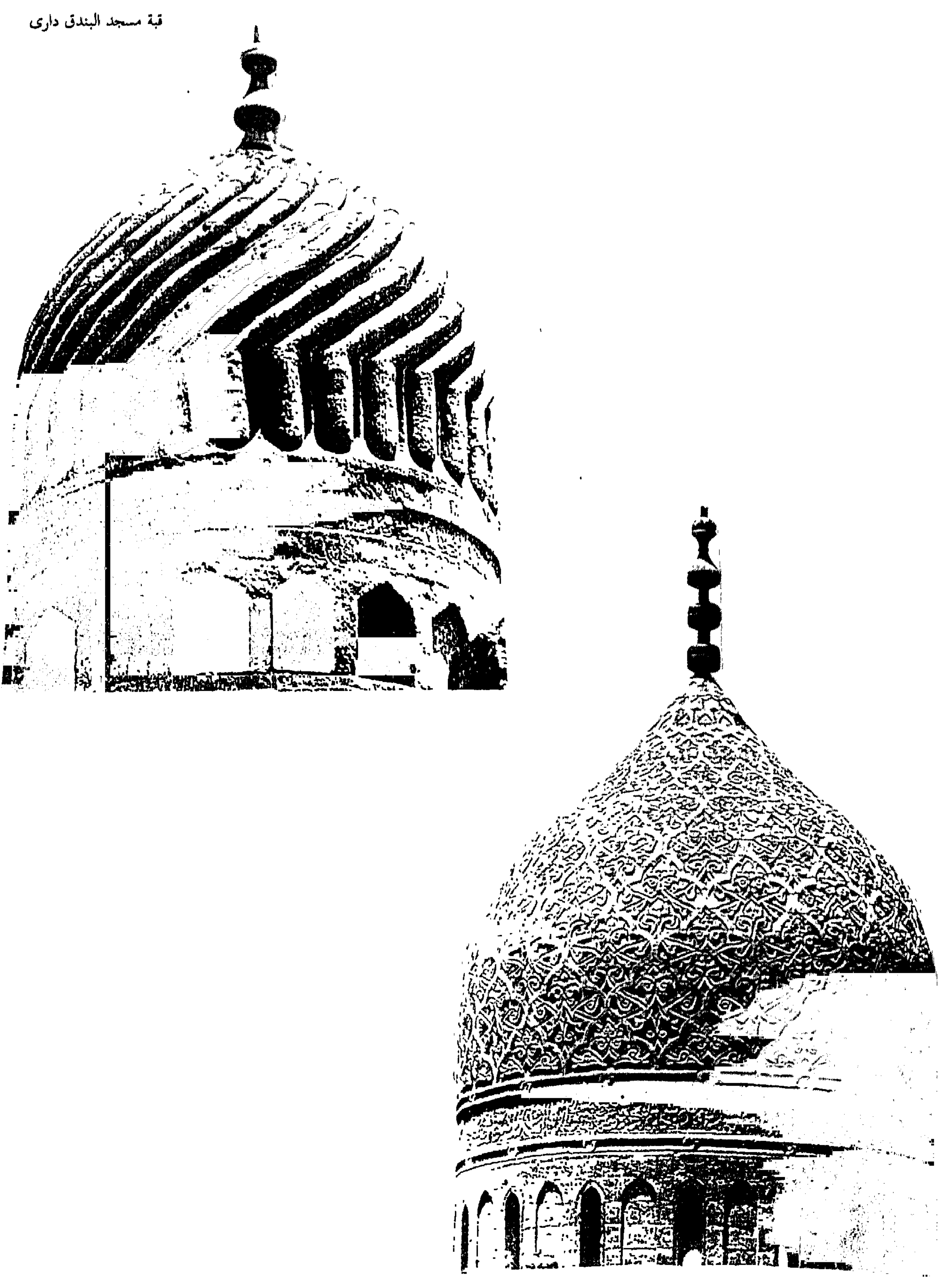
قبة السلطان حسن والرفاعي



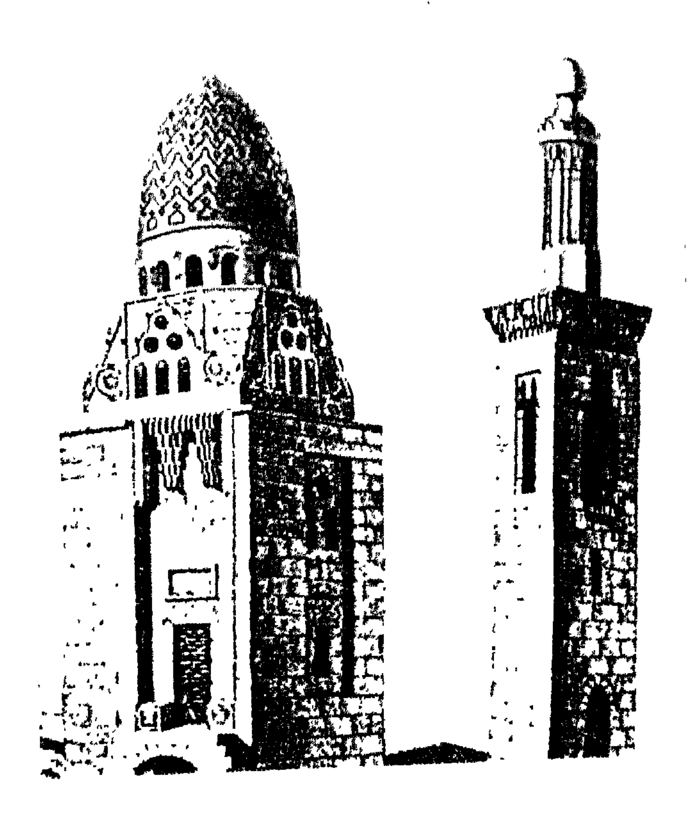
مشهد الجيوشى بالمقطم ١٠٨٥

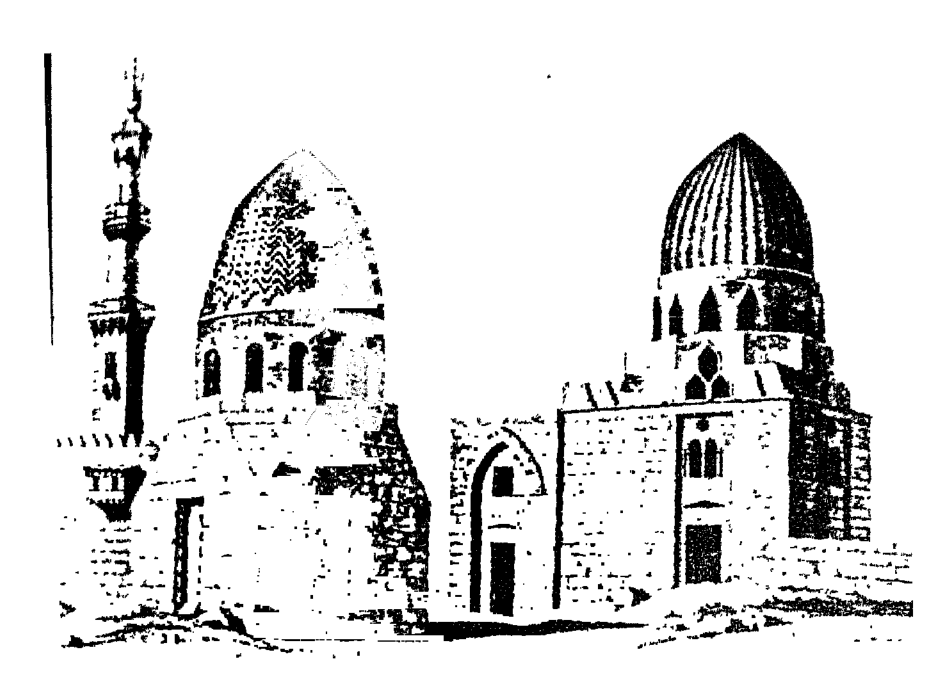
قبة الحاكم بأمر الله ٩٩٠

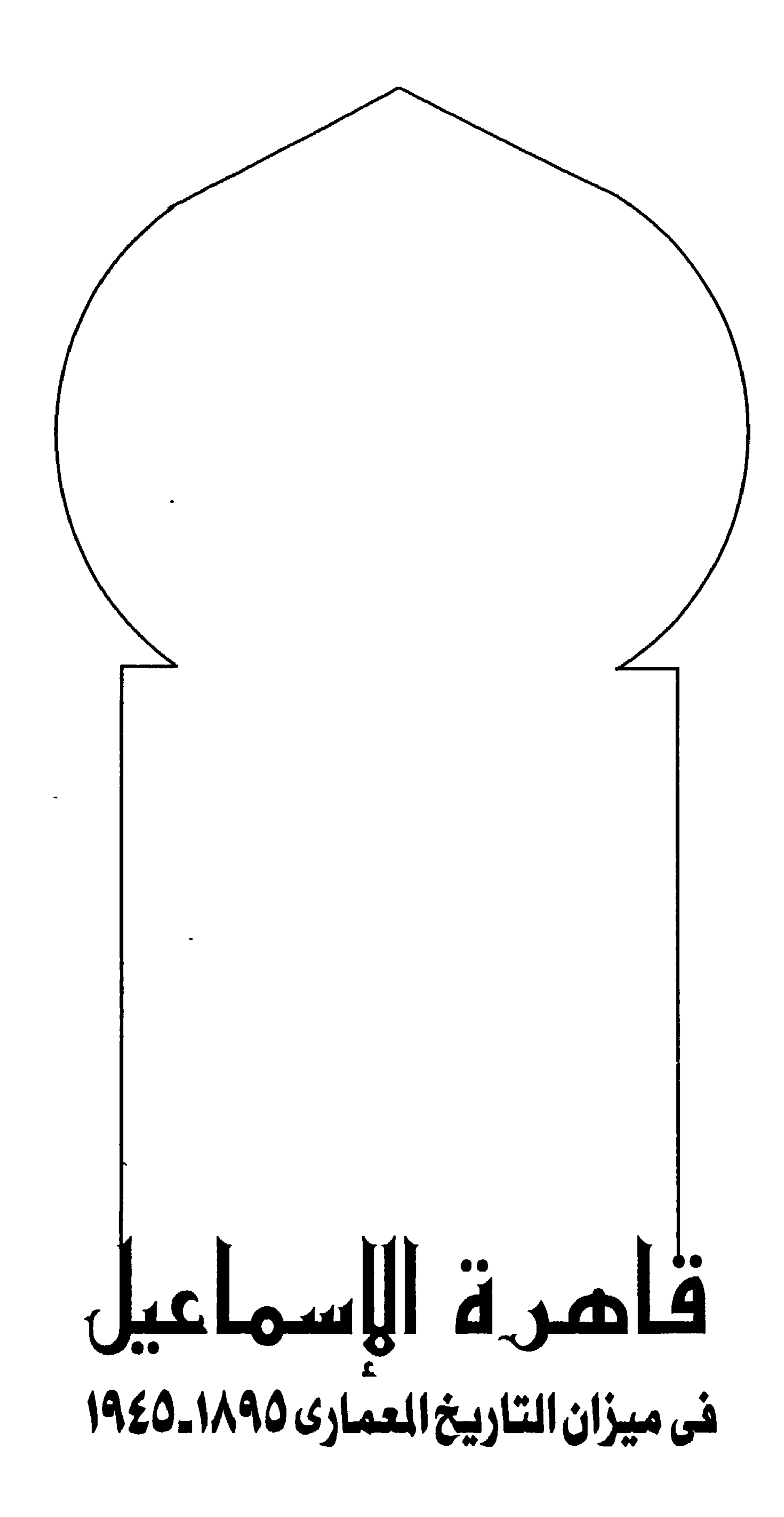
قبة مسجد البندق داری



قبة مسجد قایتبای ١٤٧٠







قاهرة الإسماعيل

فى ميزان التاريخ المعمارى ١٨٩٥-١٩٤٥

«إنى عقدت العزم على أن أكرس كل مجهودى لإسعاد شعبى الذى أسندت إلىّ إدارة شئونه ، ولقد عاهدت نفسى على تحقيق ذلك بكل وسيله ممكنة، وسأعمل على إبطال كل ما يحول دون اطراد تقدم البلاد»

تلك هى كلمة إسماعيل الخالدة، التى استهل بها برنامجه الإصلاحى عندما تولى عرش وادى النيل، وهى تمثل شخصيته أصدق تمثيل ،وتكشف القناع عن الدافع إلى تلك النهضة العمرانية التى وضعها نصب عينيه، وللرغبة الملحة فى تحقيق برامجها مهما كلفه ذلك من مجهودات وثمن، وفى مقدمتها المشروعات الحيوية التى تمت فى القرن التاسع عشر .

لقد هال إسماعيل عند ما تولى عرش مصر ما انحدرت إليه بلاده وأحزنه توقف عجلة الإصلاح التى أفنى محمد على زهرة العمر فى إدارتها ـ هاله أن يجد القاهرة عاصمة بلاده .. وقبلة أنظار العالم قد بدأت فى الانحلال .. أصبحت لا تزيد عن مدينة صغيرة تمتد من سفح المقطم والقلعة، وتنحدر غربا لتنتهى عند ميدان العتبة الخضراء ، لتحدها مجموعة من المدافن والخرائب والمستنقعات . آلمه عندما نادى «بأن مصر قطعة» من أوربا» ما قامت به الصحافة الأوربية من حملة مدبرة ضد السياحة إلى مصر بقولها خير لك أن تسمع عن القاهرة من أن تراها ، ووصف بعضهم إياها بقولهم عاصمة البعوض «والبلد الذى يقضى الزائر فيه طول العام تحت الناموسية» وغير ذلك من الانتقادات اللاذعة.

فبينما كانت صور القاهرة تضم مناظر القلعة والمآذن وهى تطل على النيل الساحر، كانت القاهرة نفسها تبعد عن شاطئ النيل ما يزيد على الأربعة كيلو مترات من البرك والمستنقعات الراكدة، والهضبات والتلال، تمتد من ميدان الملكة فريدة الحالى إلى شاطئ النيل والتى كانت مرتعا للبعوض .

كانت تلك البرك سببا فى انتشار وباء الملاريا الذى بدأ فى السنة الأولى من حكم الخديوى إسماعيل واستمرت مكافحته عدة سنوات، فتك فيها بعدد غير قليل من السكان .

لم يكن بالقاهرة مجار عامة، وكانت مبانيها تنقصها مبادئ الاشتراطات الصحية ، فكانت فضلات المساكن ومياهها العادمة تجمع فى مجارير أولية، وزيادة عن كون تلك المجارير قد تحول معظمها إلى مرعى خصب لتفريخ الناموس، وكانت مياهها تتسرب إلى البرك والمستنقعات، وكان الكثير من الأحياء الوطنية يستعمل هذه المياه للشرب والغسيل، مما ساعد على انتشار حمى التيفويد وغيرها من الحميات ـ وكثيرا ما كانت المجارى تطفح على سطح الشوارع والميادين حين ارتفاع مسنوب مياه الفيضان، فيضع الجمهور قوالب الطوب الأحمر ليمر فوقها فى ميادين المدينة، كما كان يحدث كثيرا فى ميدان قنطرة الدكه وميدان جامع أزبك، وكان من أثر تشبع الأرض بالمياه الجوفيه المرتفعة المنسوب، أن أصبح الارتفاع بالمبانى مستحيلا، كما ساعد ذلك على تصدع كثير من دور الأحياء الوطنية المنخفضة ـ وكان من أثر تسرب مياه المجارى إلى المستنقعات الراكدة انتشار الذباب فى معظم الأحياء انتشارا لم يسبق له مثيل، ولم يغفله كتاب ذلك العصر فى وصفهم للقاهرة فى ذلك الوقت.

أما نهر النيل فكان يبعد عن القاهرة وكان فرعه الرئيسى يمر بمنطقة الجيزة وبولاق الدكرور والدقى، ممتدا إلى إمبابه فى حين كان فرعه الآخر الذى تطل عليه القاهرة كان راكدا وتنحسر عنه المياه أكثر فصول السنة فكان السقاءون ينقلون الماء إلى المساكن من مائه الراكد الآسن.

كانت مداخل القاهرة من جميع نواحيها عنوانا سيئا لا يتفق مع كرامة المدينة وماضيها، فكانت تحاط شمالا عند مدخل المحطة بحقول الفجل وبعض القرى المخربة، وغربا بالمدافن والتلال الرملية ومستنقعاتها، والجهة القبلية بخرائب مصر العتيقة وتلال زينهم .

هكذا كانت القاهرة عندما تسلمها الخديوى إسماعيل .. تركة مثقلة .. ولكن حبه لشعبه زاده حماسا فى التضحية لإقالتها من عثرتها ودفعها لا لتقف على قدميها فحسب ، بل لتأخذ ما تصبوا إليه من مكانة بين كبريات عواصم دول الغرب. كان بعيد الأمل، حيوى التفكير، شديد الرغبة فى الابتكار والتجديد، فلم تزده الحملات المدبرة إلا عنادا فتغلب بإخلاصه العميق لشعبه على ما اعترضه من عقبات سياسية واقتصادية وضحى بنفسه بعد أن حقق بعض ما كان يصبو إليه، ليترك القاهرة تسير بقوة دفعه عشرات السنين .

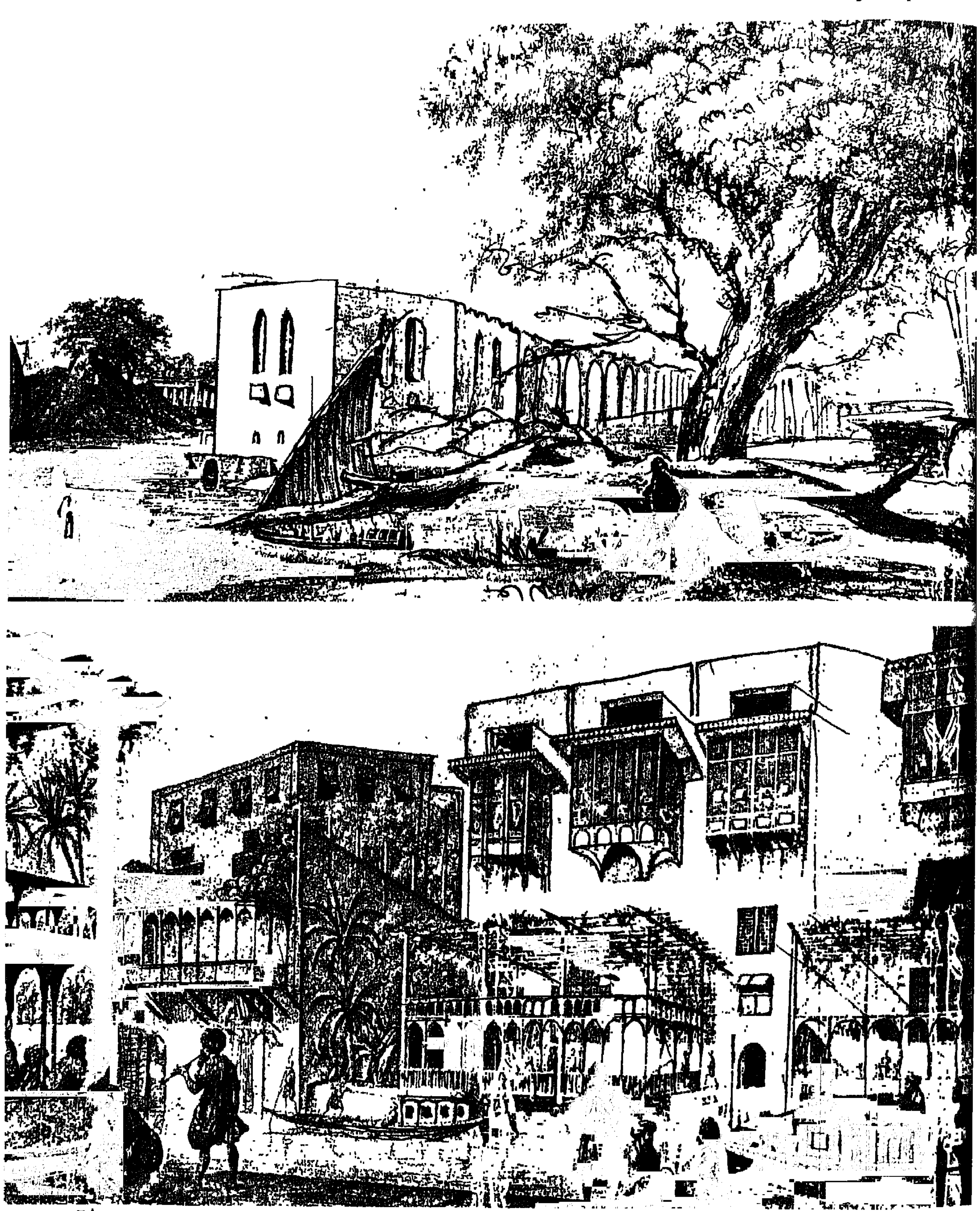
مشروع قاهرة إسماعيل «أو باريس الشرق» كما سماها الخديوى إسماعيل نفسه، متحديا بذلك تلك الحملات الانتقادية التى وجهتها صحافة الغرب إلى مشروعاته العمرانية . هو مشروع إصلاحى عام يحوى فى جوهره رسالة وطنية صادقة يتكون هيكلها من برنامج صحى واجتماعى وعمرانى واقتصادى واسع النطاق .. رسالة ألمت بجميع ما كان ينتاب القاهرة فى ذلك الوقت من علل وأدواء فعملت على تطهير القاهرة منها .

وتتكون خطوات الإصلاح التى اشتمل عليها ذلك البرنامج مما يلى :

(١) إزالة التلول والخرائب التى كانت تحيط بالقاهرة من جميع نواحيها وتمهيد أراضيها وإعدادها للبناء .

(٢) ردم البرك والمستنقعات التى كانت منتشرة فى جميع أحياء القاهرة ، والتى كانت تفصلها عن نهر النيل ، وكان معظمها مرتعا خصباً لانتشار البعوض ، وقد بلغ ما قام بردمه من البرك ما لا يقل عن العشرين بركة ومستنقعا تبلغ مساحتها ما يزيد عن المائتى فدان .

(٣) نقل المدافن التى كانت تقع فى وسط القاهرة وتحويل مواضعها إلى ميادين وأحياء للسكن .




المجرى الجديد
المتحف المصري
مجرى النيل القديم
بولاق

(٤) تزويد القاهرة بالماء الصالح للشرب ووقاية الشعب من استعمال المياه الراكدة والآسنه وذلك بردم البرك من ناحية وتعديل مجرى النيل ووضع مشروع تزويد القاهرة بالمياه المرشحة من ناحية أخرى.

(٥) تجفيف الأراضى وعمل مشروع مجارى القاهرة ولم يتحقق تنفيذ الجزء الأخير منه إلا فى سنة ١٩٠٩ على يد كاركت جيمس .

(٦) رصف الطرق وغرسها بالأشجار ووقايتها من القاذورات .

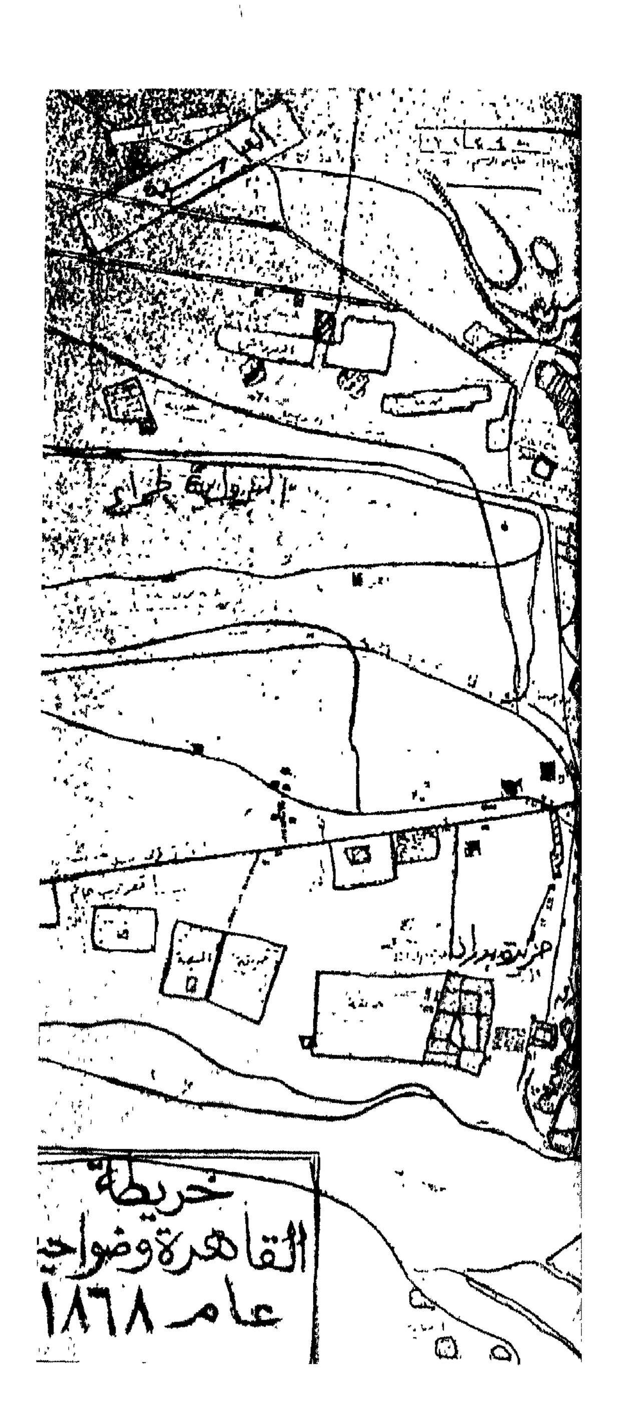
(٧) تزويد القاهرة بالحدائق العامة التى تعد بمثابة رئتى التنفس للمدينة لما تقوم به من دور أساسى فى الصحة العامة للشعب .

(٨) تعمير الأحياء الفقيرة وإصلاحها وتزويدها بمياه الشرب والغسيل.

(٩) إصلاح مداخل القاهرة وإزالة مايشوبها من خرائب.

(١٠) إعداد طرق النقل والمواصلات داخل المدينة ورصف الشوارع بعد تجفيفها.

وليحقق هذا البرنامج الإصلاحى المتشعب النواحى، أجمله الخديوى إسماعيل فى مشروع تخطيطى كامل لبعث القاهرة وإعادة تعميرها يسمى ببرنامج المشروعات السبع، لأنه يتكون فى تخطيطه المدنى من سبعة مشروعات حيوية ضخمة يسيطر كل منها على منطقة بأكملها، وضم بين طياته ناحية مهمة من نواحى الإصلاح، واتصلت



تلك المشروعات السبع ببعضها البعض، لتكون أكبر مشروع تخطيطي مهد لأوسع تطور عمراني مرت به القاهرة خلال تاريخها المعمارى الطويل... ويمكن تلخيص تلك المشروعات فيما يلى:

(١) مشروع تحويل مجرى النيل:

كان المجرى الرئيسى يمر فى الجهة الغربية محاذياً لشارع الدقى الحالى مارا ببولاق الدكرور وامبابة، فى حين كان الفرع الشرقى أو النيل الحالى عبارة عن سيالة ضيقة تنحسر عنها المياه أكثر فصول السنة لارتفاع منسوب قاعها وكان السقاءون ينقلون المياه منها إلى أحياء القاهرة فكانت سبباً فى انتشار كثير من الأمراض كما كانت تلك السيالة فى الوقت نفسه موطناً للبعوض.

فلما تولى الخديوى إسماعيل عرش مصر فى سنة ١٨٦٣، وضع فى مقدمة مشروعاته الإصلاحية لتعمير مدينة القاهرة مشروع تحويل مجرى النيل الأصلى من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية محاذياً لمدينة القاهرة.

وقد بدأ ديوان الهندسة بإجراء عملية التحويل بإقامة جسر فى النيل فى أواخر سنة ١٨٦٣ يبدأ من مدينة الجيزة ويمتد إلى امبابة، وقد تمت تلك العملية فى سنة ١٨٦٥، وأخذ النيل يسير فى مجراه الحالى الذى حفره بنفسه بفضل قوة فيضانه العظيم وبذلك تم أول مشروع حيوى كان له أكبر أثر فى تكوين قاهرة اليوم.

(٢) مدخل القاهرة ومنطقة الفجالة:

كان أول ما يستقبل الزائر أو السائح الأجنبى عند وصوله إلى مدينة القاهرة عن طريق السكة الحديد، منطقة الفجالة التى اشتهرت بمزارع الفجل وحقوله التى تغذى أحياء القاهرة الفقيرة، وكان يصفه الأجانب فى حملاتهم المدبرة لمهاجمة الخديوى إسماعيل ومشاريعه التعميرية بأنه الغذاء القومى للمصريين، ولذا أطلق على تلك المنطقة اسم الفجالة نسبةً إلى زراعة الفجل، وكانوا يسكنون فى قرية خربة تسمى قرية كوم ريش، تحولت إلى مجموعة من الخرائب والأطلال، تعد أقبح دعاية للقاهرة عاصمة البلاد ،وكان ميدان المحطة الحالى عبارة عن مجموعة من التلال والكثبان، فقام الخديوى إسماعيل بإزالة تلك الخرائب والتلال واستعمل أتربتها فى ردم البرك والمستنقعات المنتشرة فى المنطقة الممتدة بين حى الفجالة والسكاكينى، وتسوية المنطقة بأكملها بما فى ذلك ميدان المحطة الحالى، وقسمت أرضها وزرعت فيها الحدائق وخطت فيها الشوارع، وبنيت مجموعة من القصور الفاخرة (لا يزال بعضها قائماً إلى الآن)، حتى تحولت المنطقة إلى حى من أجمل أحياء السكن بالقاهرة، وكثرت الرغبة فى سكناها حتى ارتفعت قيمتها، ووصل سعر المتر المسطح فيها مالا يقل عن الجنية بعد ما كان سعره لا يزيد عن بضعة قروش ـ كما قام الخديوى إسماعيل بإصلاح مدخل القاهرة الزراعى وهو طريق شبرا الرئيسى، وكذلك مدخلها الصحراوى من طريق الأهرام.

(٣) منطقة عابدين:

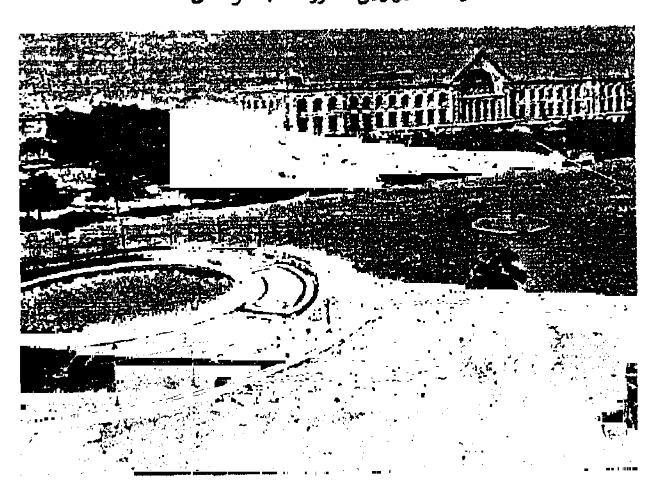
كانت منطقة عابدين «قلب القاهرة»، عبارة عن مجموعة من البرك الراكدة، منها بركة الفراعين، وكانت تقع مكان ميدان سراى عابدين الحالى، ثم بركة السقايين، وبركة الفوالة، وبركة الناصرية، ومجموعة كبيرة من البرك الصغيرة والمستنقعات، تتخللها سلسلة من الهضبات وكثبان الرمال والقلاع الفرنسية، تمتد من منطقة السيدة زينب الحالية، إلى نهاية شارع المبتديان، فقام الخديوى إسماعيل بتسوية تلك الهضبات والمرتفعات، وردم البرك بأتربتها فأصبحت تلك

المنطقة بعد تخطيطها من أجمل أخطاط القاهرة الحديثة، ونقل إليها مقر الوالى، بعد أن كان فى القلعة وقصر الجوهرة فى عهد محمد على باشا الكبير وخلفائه، فأنشأ الخديوى إسماعيل سراى عابدين مقر الملك الرسمى إلى الآن بناها فى سنة ١٨٧٤ على أطلال قصر عابدين بك أحد المماليك وكان يطل على بحيرة الفراعين التى أنشأ إسماعيل باشا مكانها ميدان عابدين الحالى، والذى تبلغ مساحته ما يقرب من التسعة أفدنة، وأقام على أحد جوانبه قشلاقات الحرس، ثم قام بتخطيط المنطقة بأكملها بعد ما ردم ما كان حولها من البرك مثل: بركة الناصرية، وبركة السقايين، وبركة الفوالة، ومجموعة من المستنقعات، كما أزال ما كان يتخلل المنطقة من الأكوام والتلال، وخط عدة شوارع أهمها شارع عابدين الحالى، وشارع عبدالعزيز الذى سمى بهذا الاسم نسبةً إلى السلطان عبدالعزيز التركى، بمناسبة زيارته لمصر فى عهد إسماعيل، حتى أصبح هذا الحى من أجمل أحياء القاهرة وأجدرها بمقر الملك.

لوكانده الشرق كما كانت سنة ١٨٦٤ وبجوارها جامع الأمير أزبك وقد هدم هذا الجامع عند تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٧٥



ميدان التياترو (ميدان الأوبرا) كما كان فى عهد اسماعيل وقد ظهر فى مؤخرته لوكندة نيوأوتيل المعروف (بالكونتنتال)

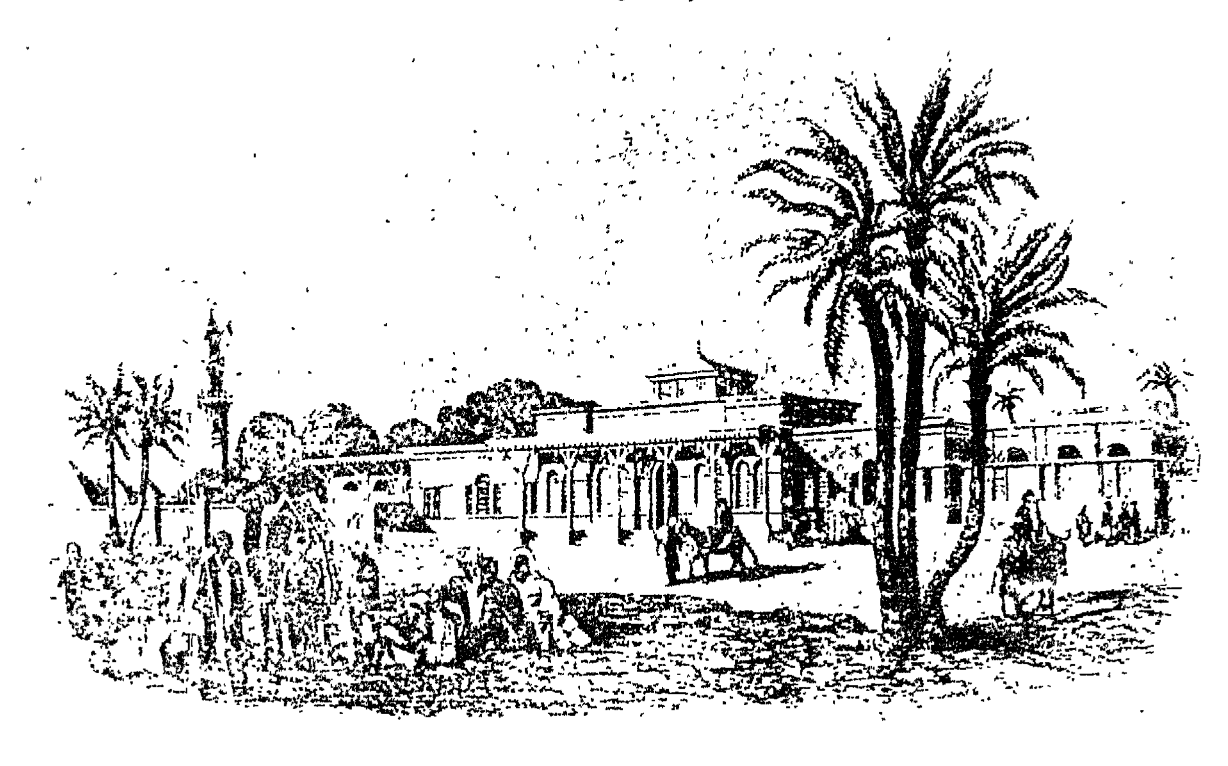


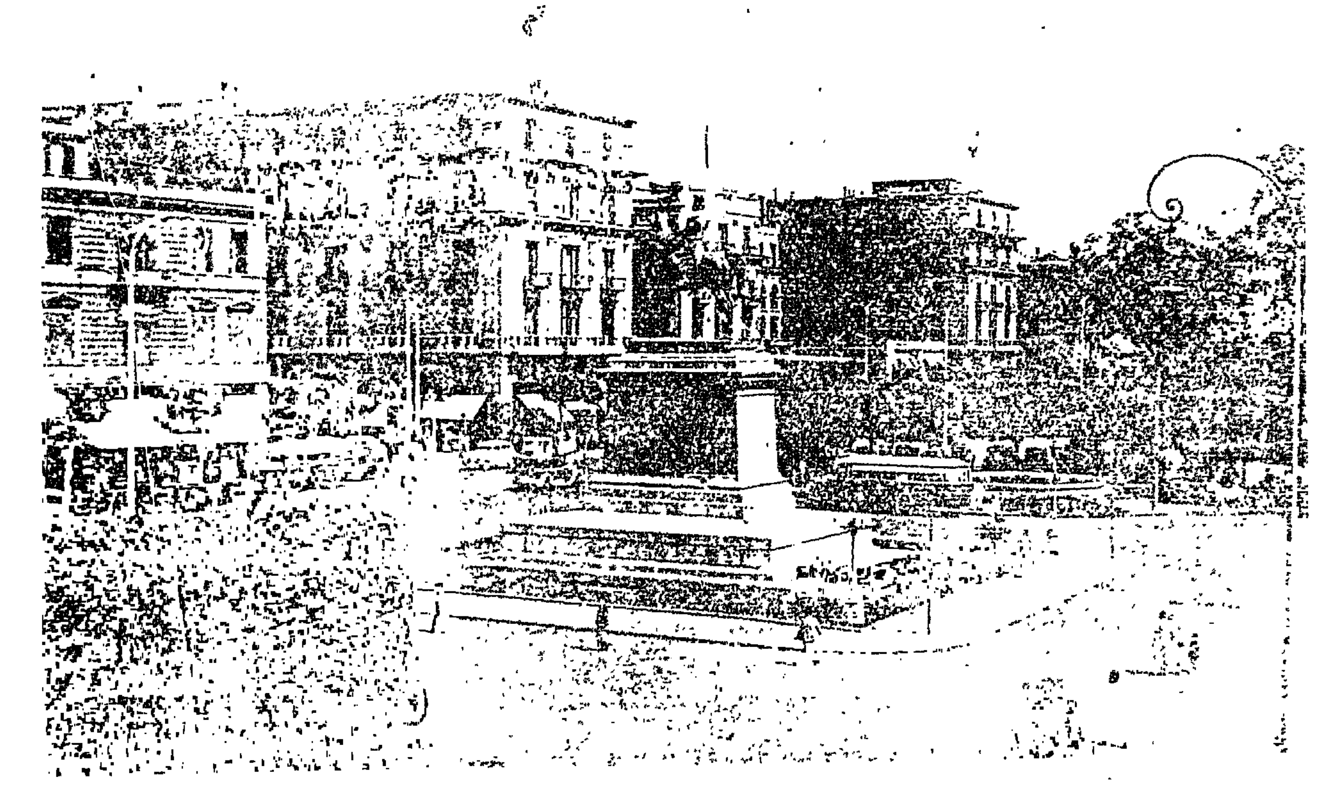
(٤) منطقة الأزبكية:

أمر الخديوى إسماعيل فى سنة ١٨٦٧ بردم بركة الأزبكية وما كان يحيط بها من مستنقعات وتحويل جزء منها إلى حديقة عامة، تحت إشراف المهندس الفرنسى باريل بك، وغرست فيها الأشجار النادرة التى جلبت من جميع بقاع العالم، وحولت إلى منتزه عام تبلغ مساحته ٢٠ فداناً لتكون بمثابة رئتى التنفس لأحياء القاهرة المكتظة بالسكان، وامتد تخطيط المنطقة إلى الجزء المعروف حاليا بشارع وجه البركة شمالا، والأجزاء الجنوبية منها تحولت إلى ميدان التياترو الذى سمى فيما بعد بميدان الأوبرا.

وبعد إنشاء حديقة الأزبكية خططت المنطقة بأكملها بما فى ذلك شارع كلوت بك وميدا العتبة الخضراء، وأقيم بها تمثال إبراهيم باشا الذى نقل فيما بعد إلى ميدان الأوبرا، وكانت منطقة العتبة الخضراء قبل أن يقوم الخديوى إسماعيل بتخطيطها عبارة عن مجموعة من المرافق والمقابر المعروفة باسم ترب المناصرة، وترب الأزبكية، وجامع السلطان

وسطة القاهرة كما كانت أيام الخديوى اسماعيل وقد نسفت عقب الاحتلال الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٦ بسبب مخزن الرخيرة الذى وضع فى إحدى غرف المحطة





ميدان ابراهيم باشا وبه تمثاله

أزبك الذى سميت المنطقة على اسمه فشمل التخطيط إزالة الجامع والترب فى سنة ١٨٧٠، وشق شوارع رئيسية مكانها، وهى شوارع محمد على والموسكى، لتخترق الأحياء القديمة، وتصل قلب القاهرة الحديثة بكل من حى القلعة وقصورها، وميدان المحطة وعن طريق شارعى كلوت بك وإبراهيم باشا ووصلة بحى عابدين بإنشاء شارعى عبدالعزيز وعابدين.

(٥) الشاطئ الشرقى:

وتعتبر تلك المنطقة أكبر اتساعا فى مشروعات التعمير والتخطيط، حيث وصلت القاهرة القديمة بشاطئ النيل الشرقى، وتشمل إزالة جميع التلال والهضبات واستعمال أتربتها فى ردم البرك والمستنقعات التى كانت تمتد من شارع عمادالدين الحالى وامتداده المعروف حالياً بشارع محمد بك فريد، وبين شارع الملكة نازلى ومريت باشا، وجنوبا إلى القصر العينى وتشمل أخطاط الإسماعيلية والتوفيقية ومعروف وباب اللوق والدواوين والحوياتى والقاصد والإنشاء والمنيرة ـ وبدأ الخديوى إسماعيل بوضع مشروع تخطيطى لها بعد إصلاحها يتوسطه ميدان الإسماعيلية الذى تمتد منه الشوارع الرئيسية المتسعة، وقسمت إلى مجموعة من الأحياء أنشئت فيها مجموعة من الميادين الرئيسية الموجودة بالقاهرة حالياً، وقد وصف على مبارك باشا ذلك المشروع فى كتاب الخطط التوفيقيةبقوله:

«وكان بهذه المنطقة قبل عهد إسماعيل كثبان أتربة وبرك ومياه وأراضى سباخ، فلما جاء الخديوى إسماعيل أمر بإزالة هذه الكثبان وردم هذه البرك وتمهيد جميع الأرض وتخطيطها إلى شوارع وميادين، وجعلت منازلها متفردة عن بعضها ودكت أرض شوارعها بالدقشوم، وأنشئت الأرصفة على جانبى كل شارع منها، وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات، ومرت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها، ونصبت فيها فوانيس الغاز لإضاءتها وتنويرها، فأصبح خط الإسماعيلية من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها».

وعندما وصل التخطيط إلى شاطئ النيل أقام الخديوى إسماعيل سراى الإسماعيلية على الضلع الجنوبى للميدان، وقد هدمت هذه السراى فى عهد الاحتلال الإنجليزى، ولم يبق من هذه السراى الضخمة إلا المسجد الذى كان ملحقاً بها، ويقع فى الجنوب الغربى من السور الخارجى القديم، وجنوب سراى الإسماعيلية كانت مجموعة من القصور الملكية أهمها قصر الدوبارة، والقصر العالى، وكانا يطلان على النيل من الغرب وشارع قصر العينى شرقاً، وكان يضمها سور واحد مرتفع وقد هدما حوالى سنة ١٩٠٠ وقسمت أراضيها وتحولت إلى المنطقة المعروفة حالياً باسم جاردن سيتى.

(٦) الشاطئ الغربى:

عندما تم تحويل مجرى النيل، تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء أراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وشارع فاروق الأول (البحر الأعمى سابقاً)، تمتد بين الجيزة وإمبابة، فقامت إحدى الشركات الفرنسية بردم القسم الجنوبى بمعاونة رجال المعونة فى المسافة بين مدينة الجيزة وشارع ثروت، وبلغ ارتفاع الردم فى معظم أجزائها ما يزيد على المترين، أما المنطقة البحرية أى من شارع ثروت إلى إمبابة فقد طمت أرضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ما تحمله من طمى. وقام إسماعيل باشا بتحويل القسم الجنوبى منها إلى أورمان أى غابة، جلب إليها أنواع الأشجار من آسيا وأوربا وأمريكا، وقام برسمها وتخطيطها المهندس باريل بك الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية وتبلغ مساحة تلك الغابة ٤٦٥ فداناً وكانت تشمل حدائق الأورمان الحالية، وحدائق الحيوان، وتمتد حتى تصل إلى سراى الجيزة (مبانيها الفخمة) والتى كانت تقع موضع مخازن الترام بشارع المدارس.

(٧)منطقة الزمالك ووصل الشاطئين:

لقد ترتب على تحول مجرى النيل الرئيسى من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية أن تسلط تيار النهر على الجزء الجنوبى من الجزيرة الكبيرة، وكان ساحلها الجنوبى قريب الاتصال من جزيرة الروضة ـ كذلك أثر فى الساحل الشرقى للجزيرة فتآكل جزء كبير منه عند توسيع مجراه خصوصاً فى المنطقة المواجهة لحى بولاق، وكان الشاطئ البحرى للجزيرة ينتهى عند شارع فؤاد الأول الحالى، حيث تبدأ المنطقة المعروفة حالياً باسم الزمالك، ولم يكن موجود بها فى ذلك الوقت سوى قصر للتنزهة أنشأه محمد على مكان نادى الضباط الحالى.

وقد نقل النهر ما تآكل من جنوب الجزيرة وشاطئها الشرقى إلى ساحلها الشمالى، وبذلك تم تكوين منطقة الزمالك الحالية ـ والزمالك لفظ ألبانى معناه الخص أو العشة، وقد وصفها محمد بك رمزى رحمه الله بقوله «وكان بالقرب من قصر محمد على، زمالك ويصطاف فيها رجال الحاشية وعساكر الحرس، فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك» ثم أطلق فيما بعد على الجزيرة بأكملها فسميت بجزيرة الزمالك، وقام الخديوى إسماعيل بتخطيط الجزيرة وأقام على ساحلها الشرقى سراى الجزيرة سنة ١٨٦٨ (فى مكانها المعروف الآن باسم سراى لطف الله)، لنزول الإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث، بمناسبة زيارتها لمصر، لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس وأمر الخديوى إسماعيل المهندس باريل بك بتحويل الأراضى الزراعية المحيطة بهذه السراى إلى حدائق ملكية تبلغ مساحتها ٦٠ فداناً.

كما أنشأ أول كوبرى بالقاهرة على النيل، وهو كوبرى قصر النيل سنة ١٨٧١، وهو أول كوبرى نشأ على النيل من منبعه إلى مصبه، وأمكن بواسطته ربط شاطئى النيل ببعضهما، وتمكين سكان القاهرة من اجتياز النيل إلى الجزيرة والشاطئ الغربى، وأقام على الفرع الغربى (البحر الأعمى) للنيل، قنطرة صغيرة قبل أن يطهر الفرع ويجرى فيه الماء، وقد استبدل كوبرى قصر النيل سنة ١٩٣٣ فى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله بكوبرى الخديوى إسماعيل الحالى، كما استبدلت القنطرة الصغيرة بكوبرى الإنجليز الحالى سنة ١٩١٤.

عندما أتم الخديوى إسماعيل وضع ذلك البرنامج الإصلاحى الشامل، وأعد خطوات تنفيذه كان المهندس العالمى هاوسمان قد أتم مشروعه الذى قدمه إلى الإمبراطور نابليون الثالث، ذلك المشروع المشهور لإعادة تخطيط مدينة باريس، والذى عمت شهرته الآفاق وانتشرت على أثره فكرة إعادة تخطيط المدن القديمة فى جميع أنحاء العالم.

فكان من الطبيعى أن يتأثر مشروع قاهرة إسماعيل، بمشروع هاوسمان الزخرفى رغم اختلاف الداقع لكل منهما، وقد ظهر أثر ذلك الاتجاه واضحاً فى المساحات الواسعة التى تحولت من برك ومستنقعات، إلى شوارع وميادين واسعة النطاق التى ما يزال يطلق عليها الأحياء الأوربية، كذلك فى الطرقات والشوارع المستقيمة التى تخترق الأحياء الوطنية لتصل أطراف المدينة ببعضها.

كما كانت رغبة الخديوى إسماعيل فى اقتفاء خطوات باريس، أن تحتضن القاهرة غابة أو «أورمان»، كما يطلق عليها باللغة التركية أسوة بغابة بولونى، فأنشأ غابات الجزيرة والشاطئ الغربى، والتى أطلق عليها فيما بعد حدائق الأورمان أو حدائق الغابة.

كما شمل برنامج قاهرة إسماعيل، ما كانت تحتاجه المدينة من القصور والمبانى العامة والإدارية التى كانت فى أشد الحاجة إليها كعاصمة للشرق، فأخفى ذلك المظهر الواسع النطاق ما كان يخفيه جوهر المشروع من نواحى الإصلاح فكان أساساً للخطأ الذى وقع فيه كثير من المؤرخين المعاصرين، عند نقدهم لمشاريع الخديوى إسماعيل وبرامجه

الإنشائية، كما أنها أعطت الفرصة لمن افتروا عليه أن يركزوا تحليلهم لقاهرة الإسماعيل على ناحية المظهر الشكلى، مع تجاهلهم الجوهر الإصلاحى أو الهيكل الأساسى، الذى بنى حوله المشروع بأكمله

خطت القاهرة بذلك المشروع الإصلاحى مئات السنين إلى الأمام، ولكن تلك النهضة العمرانية لم تعجب مؤرخى الغرب ووصفها أرتور رونيه بقوله:

«إن القاهرة قد تطورت إلى مدينة حديثة فحلت الملابس الأمريكية محل القفاطين الشرقية المريحة، واختفت المبانى المنخفضة والطرقات الضيقة بسحرها الشرقى ومشربياتها الخشبية، لتحل محلها العمارات العالية والنوافذ الزجاجية المتسعة، فمن الآن فصاعداً، سوف لا يرى السائح بالقاهرة إلا طرقاً واسعة مستقيمة وميادين رحبة عظيمة الطول والعرض، تقوم على جوانبها تلك المبانى الضخمة التافهة التى يسمونها بالمبانى الرومية» .. هكذا ثار مؤرخو الفرنسيين وغيرهم على قاهرة الإسماعيل وتطورها العمرانى، لأنها تحولت من أطلال وآثار يعيش أهلها بين أنقاضها، ليجد السائح الأجنبى شيئاً يستلفت نظره بالتفرج إليه.. تحولت إلى عاصمة حديثة ليس فيها ما يلفت نظر الأجنبى، لأنها أصبحت لا تختلف عن أى عاصمة من عواصم دول العالم المتمدينة الكبرى.

ففى مثل هذا العام من نصف قرن من الزمان، انتقل الخديوى إسماعيل باشا إلى جوار ربه فى منفاه المطل على البسفور، بعدما حقق للقاهرة ما أراده لها من مكانة بين كبريات عواصم العالم، وأمكنه فى تلك المدة القصيرة أن يخرج برنامجه إلى حيز الوجود ، فبذلك تحققت أمنيته الأولى، وكانت أمنيته الأخيرة التى رددها على فراش الموت، أن يرى القاهرة فى زيها الجديد الذى أفنى زهرة العمر فى نسجه بيديه.

وها هى قاهرة إسماعيل، ما زالت تختال بذلك الزى بأحيائها وشوارعها وميادينها التى تسيطر على تخطيطها المدنى بأكمله، وتزينها مجموعة كبيرة من التماثيل، تمثل إبراهيم باشا ولاظ أوغلى، وسليمان باشا إلخ... ومع ذلك فهى تفتقر إلى تمثال من كان له الفضل الأول فى إنشائها، وهو تمثال إسماعيل، ولكن التاريخ المعمارى الذى سجل نهضته العمرانية قد أقام تمثالاً خالداً من أعماله الخالدة.

قاهرة الإسماعيل بصمات التخطيط وسر الأسماء

شاءت همة إسماعيل العظيم عندما ولى أمر مصر إلا أن ينهض بعاصمة ملكه. ورأى أن ينشئ قاهرة أخرى بروح أخرى يدعوها العضنزان الحاضر والمستقبل «قاهرة إسماعيل» ، تمتاز بشوارعها الفسيحة وميادينها الواسعة، ذات القصور الأنيقة، والنافورات الجميلة، والبساتين الزاهية، والأحياء الممتعة.

فأمر بإزالة ما فى شمال القاهرة من أكوام الأنقاض، وردم ما لم يطهر من المستنقعات والبرك، وتنظيف ما بين بابى الفتوح والنصر، وقلعة الكبش، والسيدة زينب، من شوارع وأزقة ودروب، بتعميم الكنس والرش. ثم خط ما بين الظاهر وباب الحديد الشارع المسمى الآن بشارع الفجالة. وخط أيضاً بين باب الحديد والأزبكية، الشارع الذى أطلق عليه اسم كلوت بك، ثم خط جنوبى الأزبكية بشرق إلى القلعة الطريق الفخم الذى أطلق عليه اسم جده العظيم فأصبح السبيل إلى القلعة سهلاً أميناً، بعد أن كان الوصول إليها عن الطريق التى يتبعها المحمل منه إلى الحسينية وعراً كثير التعرجات والمنعطفات.

وفى أيام إسماعيل العظيم، تم امتداد شارع السكة الجديدة إلى جهة الغريب. وكان قد بدئ فى عهد محمد على باشا. كذلك خط شارع عابدين الذى ابتدأ من منزل راغب باشا إلى شارع غيط العدة. وهدم فى سبيله الكثير من المنازل والزوايا الصغيرة.

الأزبكية والإسماعيلية:

ثم أقدم على الأزبكية يريد تحويلها على شاكلة حدائق باريز. فخرج إلى الوجود بستان من أبهج المنتزهات، تنيره الأنوار الغازية وتزينه النافورات والمنائر الصناعية. وتتلوى فيه البحيرات الصافية، تبلغ مساحته ثمانية عشر فداناً، وأحاطه بسور جعل له أربعة أبواب كبيرة ما زلنا نراها لليوم. وجيء لهذا البستان بأشجار من الصين والهند والسودان، والمناطق الاستوائية، وغرست فيه الأحراش الغزيرة والأنواع المختلفة من الأزهار. ووضعت فى بركه أنواع عديدة من الطيور المائية والأسماك.

وفى عام ١٨٧٢ احتفل بافتتاح البستان رسمياً. وحضر الاحتفال الخديوى إسماعيل، وكبار رجال حاشيته، وأعيان القاهرة. وأطلق على هذا البستان حديقة الأزبكية.

ثم أقبل على الحى المحيط بالمتنزه ينتزع ملكية منازله الخشبية وأزالها. ووهب الأرض التى كانت قائمةً عليها، هبة لمن شاء التعهد بإقامة مبان فخمة عليها تتفق مع القاهرة الإسماعيلية التى رغب إنشاؤها. وجعل ميدان الأزبكية مركزاً للأحياء الجديدة التى وضع تصميمها. فأوصله بالموسكى شرقاً واتجه إلى غربيه فأزال ما كان يعرف بباب الجنينة. وخط إلى جنوبه بميل نحو جهة الغرب الأحياء البديعة المعروفة إلى اليوم بأحياء التوفيقية وعابدين والإسماعيلية، بعد أن أقام فى طرف الأزبكية الجنوبى المسرحين الفخمين وهما المسرح الجديد والأوبرا.

واختط فى تلك الأحياء الطرق العريضة الظليلة الواصلة بين جهاتها المختلفة، تلك الطرق التى بالرغم عن كل ما استحدث بعدها، ما تزال من أهم مسالك القاهرة، وأكبر شرايين مواصلاتها. وأهمها شارع عبدالعزيز ـ والشارع الذى أقام نوبار باشا فيه قصره الفخم، فسمى باسمه من ناحيته الشمالية (شارع إبراهيم باشا)، وشارع كوبرى قصر النيل، وشارع سراى الإسماعيلية غرباً وغيرها مما امتازت به القاهرة الإسماعيلية.

أما جنوباً فخطت طرق جديدة وفتحت دروب وأزقة كثيرة، فاتصلت أحياء السيدة زينب بحى عابدين. وأقام ذلك الميدان الفسيح الأرجاء أمام قصره الذى أنشأه بعابدين، ليكون مقراً للملك بدل قصور القلعة.

وفى عهد إسماعيل نشأ حى الإسماعيلية ـ وكانت أرضها تغطى أرض اللوق وميدانى الصالح نجم الدين والناصر محمد بن قلاوون وبستان الفاضل ـ وكانت إلى قبيل أيام إسماعيل قد تحولت إلى كثبان أتربة، وبرك مياه، وأراض سبخة، حتى قيض الله لمصر إسماعيل، فنظمها وأصبحت من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها. وأنشئت فيها الشوارع والحارات على خطوط مستقيمة، وأغلبها متقاطع على زوايا قائمة، ودكت شوارعها وحاراتها بالحجر. ونظمت على إنبها الأفاريز ومدت فى أرضها أنابيب المياه، وأقيمت عليها أعمدة المصابيح الغازية. وسكن حى الإسماعيلية الأمراء ان.

؛ الأورمان :

وأنشأ الخديوى إسماعيل بستان الأورمان، بعد ما ردمت أرضه بطمى النيل على ارتفاع مترين، وعهد برسم البساتين للمهندس «باريل بك»، المشهور فى تنظيم الحدائق. وهو الذى نظم حديقة الأزبكية، فبدع فى رسوم حديقة الأورمان، وجعل بها مناظر مختلفة وتلالا عليها جسور فوق وديان، وكان نحو خمسمائة عامل يشتغلون فى تلك البساتين.

فصارت بساتين الجيزة والجزيرة فريدة فى نوعها. وبلغت مساحة الأراضى المشغولة بتلك الحدائق أربعمائة وخمسة وستين فداناً.

شارع محمد على:

أصبح شارع محمد على أطول شوارع القاهرة. كانت بأوله المقبرة المعروفة «بترب المناصرة». ولما شرعت حكومة إسماعيل فى إنشاء هذا الشارع جاء مروره فى وسطها تقريباً. فاشتريت الأملاك الداخلة فيه. وهدمت المقابر، ونقل منها بعض العظام إلى قرافة الإمام الشافعى. وأودع البعض الآخر فى صهريج بنى عليه المسجد المعروف بمسجد العظام فى شارع عبدالعزيز. وقد أزيلت مبان كثيرة منها جامع أزبك. وأقيم فى محله تمثال إبراهيم باشا، قبل نقله إلى محله الحال فى ميدان إبراهيم باشا، وأزيل أيضاً جامع إسكندر باشا. كما أزيلت مجموعة من البيوت القديمة. وامتازت الأحياء التى مر بها بطابع خاص، وارتفع إيجار سكنها. وشيدت على ضفتيه عمارات كبيرة كالتى أنشأها الحاج محمد أبوجبل من التجار المشهورين. وقصر حسن باشا الشريعى، وقصر نعمانى باشا، وسراى الأمير رستم باشا وغيرها.

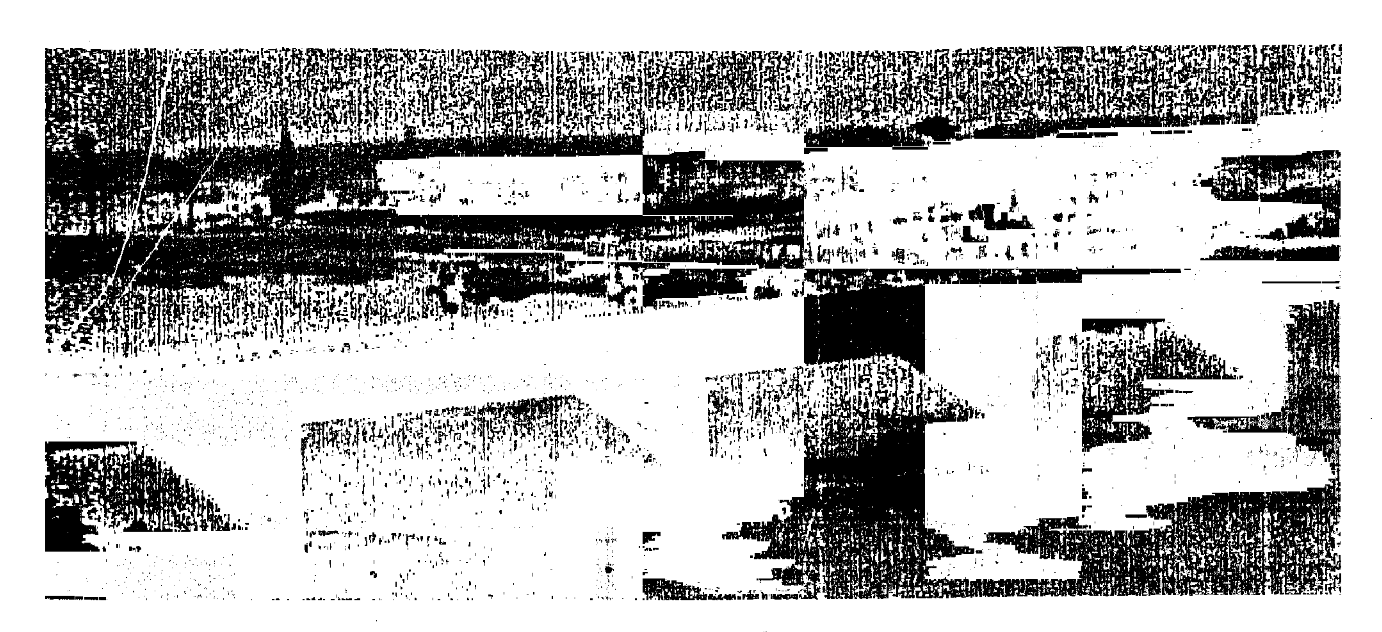
شبرا والفجالة:

وكانت جهة شبرا بمزارعها النضرة مكاناً للتنزه والرياضة. يقصدها المرتاضون مشاة وركباناً. وكان المار يرى الدواب المطهمة تغدو وتروح، أو واقفة فى انتظار سيدها. ويرى العربات الفخمة تجرها الجياد المجرية المطهمة، تحمل أفراد الأسرة الخديوية والسراة والأعيان، ويتقدم تلك العربات القمشجية (السواس)، لإفساح الطريق وإتماماً لمظاهر الأبهة. وكانت شبرا مقر الكثيرين من الأسر الكبيرة، فيها قصر زينب هانم بنت محمد على باشا، وقصر إينجة هانم أرملة سعيد باشا، وقصر شيكولانى البديع الحافل بالتماثيل النادرة، وقصر النزهة الذى كان يقصده إسماعيل باشا للراحة. وغيرها من البيوت الأنيقة التى تحيط بها الحدائق الغناء.

وكانت أرض الطبالة أرضاً غير معبدة. فحولها الفرنسيون إلى شارع يمتد من قنطرة باب الحديد إلى قنطرة العدوى. وكان السالك فى ذلك الشارع يجد عن يمينه فى جهة باب الشعرية القرية التى عرفت بقرية كوم الريش ـ وقد تحولت إلى تلال عالية حتى أمر بإزالتها الخديو إسماعيل. وبدأ هذا الحى ينمو وينتظم. وعرف بحى الفجالة ابتداء من ترعة الإسماعيلية إلى سور القاهرة عرضاً. ومن جامع أولاد عنان إلى بوابة الحسينية طولاً. وبنيت الأرض المملوكة للحكومة. وبنى فيها كما شيد على غيرها من أراضى الأهالى مبان عظيمة،.وقصور فاخرة تحيط بها الحدائق.

قصور إسماعيل:

وفى زمن الخديوى إسماعيل إزدهرت القاهرة بتلك القصور البديعة التى أنشئت فى جهتى الجزيرة والجيزة. فقد شُيد قصران كانا من أعظم المبانى الفخمة. وامتازا بما كان فى بستانيهما من الأشجار والأزهار والقنوات والبرك والقناطر ـ فهنا قصر الجزيرة ببستانه الزاهر، يشغل ستين فداناً. قد اشتمل على قصر للحريم وسلاملكين أحدهما كبير والآخر صغير. وكانا من تصميم فرانز باشا (Franz Pasha) النمسوى. وقد رسمها على الطراز العربى القديم ـ وأحاط البستان بسور من الحديد جعل فيه محلات للحيوانات المتنوعة كالفيلة والسباع والقردة وأنواع الطير المختلفة الألوان. ووزع فيه المصابيح. فكان بديعاً أن تراه ليلاً ـ وهناك قصر الجزيرة الذى بناه المرحوم سعيد باشا، وكان يتألف من قصر صغير وحمام. وبعد وفاته اشتراه إسماعيل باشا. وما يتبعهما من الأرض ومساحته نحو ثلاثين فداناً من ابنه المرحوم «طوسون باشا»، وهدمهما وبناهما وفرشهما. وبعد قليل أخذ فى توسيع القصر من ناحية النيل. وزاد فى المبانى واستدعى من الآستانة أحد المهندسين لرسم المبانى الجديدة. كما استدعى له مشاهير الصناع ورجال الحدائق، فنظموا بستانها، وفرشوا طرقانه بالزلط الملون المجلوب من رودس. وجعلوا فيه جبلايات وبحيرات متسعة. وغدرانا عليها قناطر، وأكشاكا للجلوس. وأقفاصا واسعة للطيور. وأوصلوا له المياه النيلية المرفوعة بطولمبة خاصة. وأنير بمصابيح الغاز وأقام فيه سلاملكاً شيده من الحجر المنحوت.


أول صورة ضوئية أخذت لكوبرى قصر النيل سنة ١٩١٠


شارع الهرم كما كان فى عهد اسماعيل

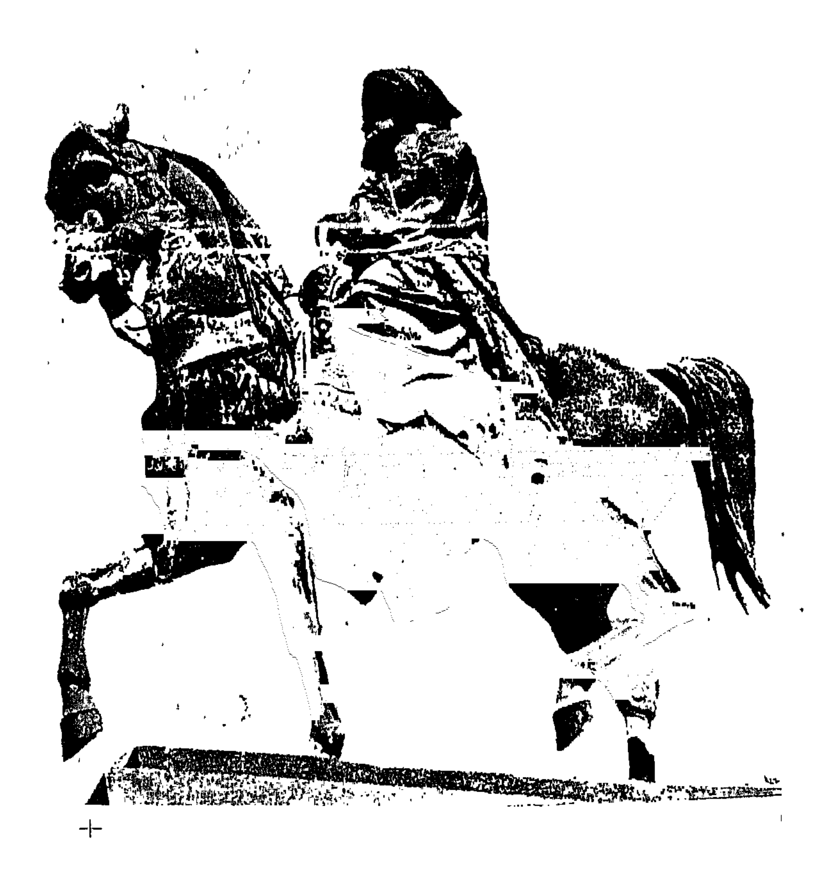

شارع شبرا فى ذات الوقت



آحد مداخل القاهرة الرئيسية ـ شارع شبرا



العمران وشق الطرق ـــ شارع الجلاء



تمثال اسماعيل باشا

ثم شيد قصر عابدين.

وقد تفنن فى تنسيقه وتزيينه بالأثاث. وقصر الإسماعيلية الصغير. وقصر بولاق التكرور. وسراى فاطمة هانم. والقصر العالى وقصر الزعفران بالعباسية للوالدة. كما شيد قصراً كبيراً بالعباسية احترق فيما بعد. واتخذ جانب منه مستشفى للأمراض العقلية. وكانت جميع جدران هذه القصور محلاة من الداخل، وسقوفها مكسوة بالأقمشة المتنوعة.

وبلغت تكاليف تشييد تلك القصور وما صرف عليها، من صناع ومفروشات ونقوش مليوناً وثلثمائة وتسعين ألفاً وخمسمائة وسبعين جنيهاً: وقصر الجزيرة ٦٩١ و٨٩٨ جنيهاً. وقصر الإسماعيلية الصغير ٢٨٧، ٢٠١ جنيهاً الخ.

وفى أيام إسماعيل باشا شيد الأمراء وكبار رجال الدولة. كثيراً من المبانى الكبيرة. ولاسيما فى أحياء الإسماعيلية والفجالة وشبرا. وبلغ تعدادها مئات، وامتدت العمارة إلى طريق السبتية بين محطة السكة الحديدية وبولاق. ونتج عن هذه الأعمال اختفاء التلال والبرك الآسنة التى كانت بأراضى الإسماعيلية. وبجانبى طريق بولاق وطريق السبتية والفجالة. وصارت تلك الجهات من أجمل أحياء القاهرة عمارة وتخطيطاً وتنسيقاً.

ومن تلك المنشآت قصر وزير الدولة رياض باشا، وقصر ناظر المعارف على مبارك باشا، وسراى شريف باشا والمناسترلى والفرنساوى.. وغيرهم.

النيل وإسماعيل:

وفى أيام إسماعيل تعدت عمارة القاهرة إلى شاطئ النيل الغربى، تشييد القصور، وأناقة الحدائق التى ذكرناها، فرأى إسماعيل بثاقب بصره، أنه لم يعد يحسن إبقاء العبور من شاطئ إلى شاطئ على قنطرة من القوارب المصفوفة بعضها

بجانب بعض. والممدودة عليها ألواح الخشب، أو فى معديات صغيرة. فأمر بإقامة كوبرى قصر النيل. وكان فى ذلك الحين من أجمل قناطر العالم من حيث هندسته وجماله. وقامت بصنعه شركة «فيف ليل» الفرنسية، التى بدأت العمل فيه عام ١٨٦٩ . وأتمته فى خلال سنة ونصف. ثم سلمت القنطرة للحكومة فى منتصف عام ١٨٧١ . وبلغت نفقات إنشائه مائة وثمانين ألفاً من الجنيهات.

ولما استحضر الخديو إسماعيل المثالين اللذين صنعا تماثيل محمد على باشا وإبراهيم باشا وسليمان الفرنساوى باشا، كلف أحدهما بعمل أربعة تماثيل لأربعة من السباع الضخمة. فصنعها أجمل صنع من معدن البرونز. ثم أقيم كل اثنين منها على طرفى القنطرة من جهتيها المتقابلتين. فزادت هذه التماثيل الفخمة فى أبهة القنطرة ورونقها وجعلت لها منظراً رائعاً.

ورأى إسماعيل فيما بعد حاجة القاهرة إلى ربط الجزيرة بالجيزة، فكلف شركة إنجليزية لتصل بينهما فأنجزت قنطرة أخرى عام ١٨٧١ ، وهى القنطرة التى تعرف اليوم باسم «كوبرى الإنجليز» وبلغت نفقاتها نيفا وأربعين ألف جنيه.

وكان الخديوى إسماعيل أول من شرع فى إقامة تماثيل العظماء فى الميادين العامة تخليداً لذكراهم، فأمر بصنع التمثالين الكبيرين اللذين يزينان أهم ميادين القاهرة والإسكندرية ـ الأول لمحمد على ـ وقد أقيم فى الإسكندرية ـ والثانى لإبراهيم باشا ـ وقد نصب فى القاهرة عام ١٨٧٢ ، بميدان العتبة الخضراء. ثم نقل فيما بعد إلى ميدان الأوبرا (إبراهيم باشا) .

الآثار العربية والفرعونية:

ولم تهمل العناية بالآثار فى عصر إسماعيل. فجدد أسوار قلعة صلاح الدين. وللمرة الأولى منذ الاحتلال العثمانى كتبت باللغة العربية على جدرانها العبارة الآتية:

«إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» .

أمر بإنشاء وتجديد هذا السور المبارك خديو مصر الحاج إسماعيل بن الحاج إبراهيم بن الحاج محمد على، فى تاريخ شهر رجب سنة (١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٨م)، وقد أصلح إسماعيل ميدان الرميلة ووسعه وغرس به الأشجار ـ وأوصله بشارع محمد على. فصار من أفسح ميادين القاهرة.

وأمر إسماعيل بتجديد مسجد «سيدنا الحسين» . فندب المرحوم على مبارك باشا لعمل رسم يكون وافياً، فعمل له رسماً لائقاً فوسعه كثيراً عن ذى قبل. وكلف راتب باشا الكبير. وهو يومئذ على نظارة الأوقاف المصرية بإجراء العمارة على أساس ذلك الرسم، وشرع فى هدم البناء القديم ما عدا القبة والضريح. وبدأ فى البناء (١٥ المحرم ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦٥ م) . وتم العمل فيه بعد ثمانية أعوام ما عدا المئذنة. فقد انتهت بعد خمس سنوات. وفى عهد إسماعيل شيدت الأبواب الثلاثة الرخامية للمسجد إلى جهة خان الخليلى.

وقد أنشأ الخديوى إسماعيل فى الجهة القبلية لقصر عابدين جامعاً له بابان عظيمان مرتفعان بدرج فى واجهته. وكان يصلى فيه صلاة الجمعة.

وفى أيام إسماعيل، صدر أمره بإنشاء دار الآثار العربية سنة ١٨٦٩م، وعهد بإنفاذ المشروع إلى فرانز بك كبير مهندسى الأوقاف ليجمع فيها ما كان مبعثراً فى المساجد من الآثار الإسلامية.

ومن أهم مؤسسات إسماعيل ـ الجمعية الجغرافية الخديوية ـ أسسها عام ١٨٧٥ . وكان رئيسها العالم الدكتور «شرينفرث» ـ ووكيلاه العلامة محمود باشا الفلكي والجنرال «ستون باشا» رئيس أركان حرب الجيش المصرى.

وفى القاهرة الإسماعيلية ـ أسست أول جمعية علمية ظهرت فى مصر الحديثة، مهمتها نشر الثقافة بوساطة التأليف والطباعة والنشر، وكان اسمها جمعية المعارف. وقد أسست سنة ١٨٦٨ وجعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق باشا، ورئاسة محمد عارف باشا.

دار كتب ودار رصد:

ورأى إسماعيل أن ينشئ مكتبة عامة تجمع الكتب المتفرقة فى مخازن الحكومة ومكاتب الأوقاف. وفى المساجد ونحوها. فأمر على باشا مبارك عام ١٨٧٠ بتحقيق فكرته. فجعل مقرها فى الدور الأسفل من قصر الأمير مصطفى باشا فاضل، بدرب الجماميز، بجوار معظم المدارس. وجمع فيها ما تشتت من الكتب. وأضاف إليها إسماعيل نحو ألفى مجلد من المخطوطات العربية والفارسية ابتاعها من تركة حسن باشا المناسترلى. كما اشترى مجموعة الكتب القيمة التى تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل، بعد وفاته وأهداها إلى دار الكتب. وفى عام ١٨٨٩ ، نقلت المكتبة إلى السلاملك الذى كان به ديوان وزارة المعارف العمومية فى سراى الأمير المشار إليها نفسها، ولما انتهى بناء الدار التى خصصت لها ولدار الآثار العربية بميدان باب الخلق عام ١٩٠٤ نقلت إليها.

وأنشأ إسماعيل دار الرصد بالعباسية، وعهد برئاستها إلى إسماعيل بك الفلكى (باشا فيما بعد) العالم المشهور. وأنشأ أيضاً مصلحة للإحصاء تولاها المسيو «دى رينى» ثم المسيو «أميشى بك».

المؤسسات العسكرية:

وفى عهد إسماعيل أكمل بناء ثكنات قصر النيل، وكان قد بدأ تشييدها فى أيام سعيد باشا، وأصبحت مقر نظارة الحربية ورئاسة الجيش وبعض وحدات الجيش.

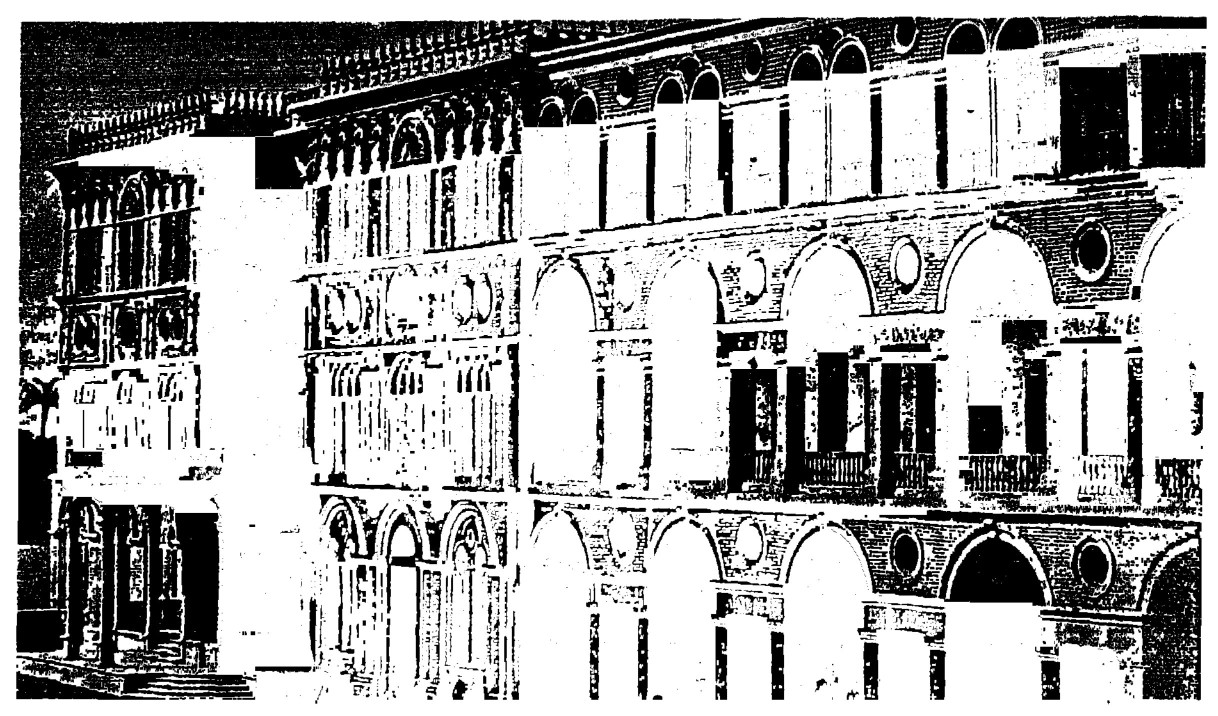
وفى تلك الأيام وحدت المعاهد العسكرية فى مناطق القاهرة، بعد أن كانت مبعثرة فى ضواحيها بالخانقاه والقناطر الخيرية وأبى زعبل وطره. وجعلها فى العباسية وقصر النيل وأنشأ بالعباسية ـ وهى الحى الذى أحياه عباس الأول ـ عدة مدارس عسكرية، وجعل مقرها فى القصر الفخم الذى شيده الأمير المذكور.

دار الأوبرا:

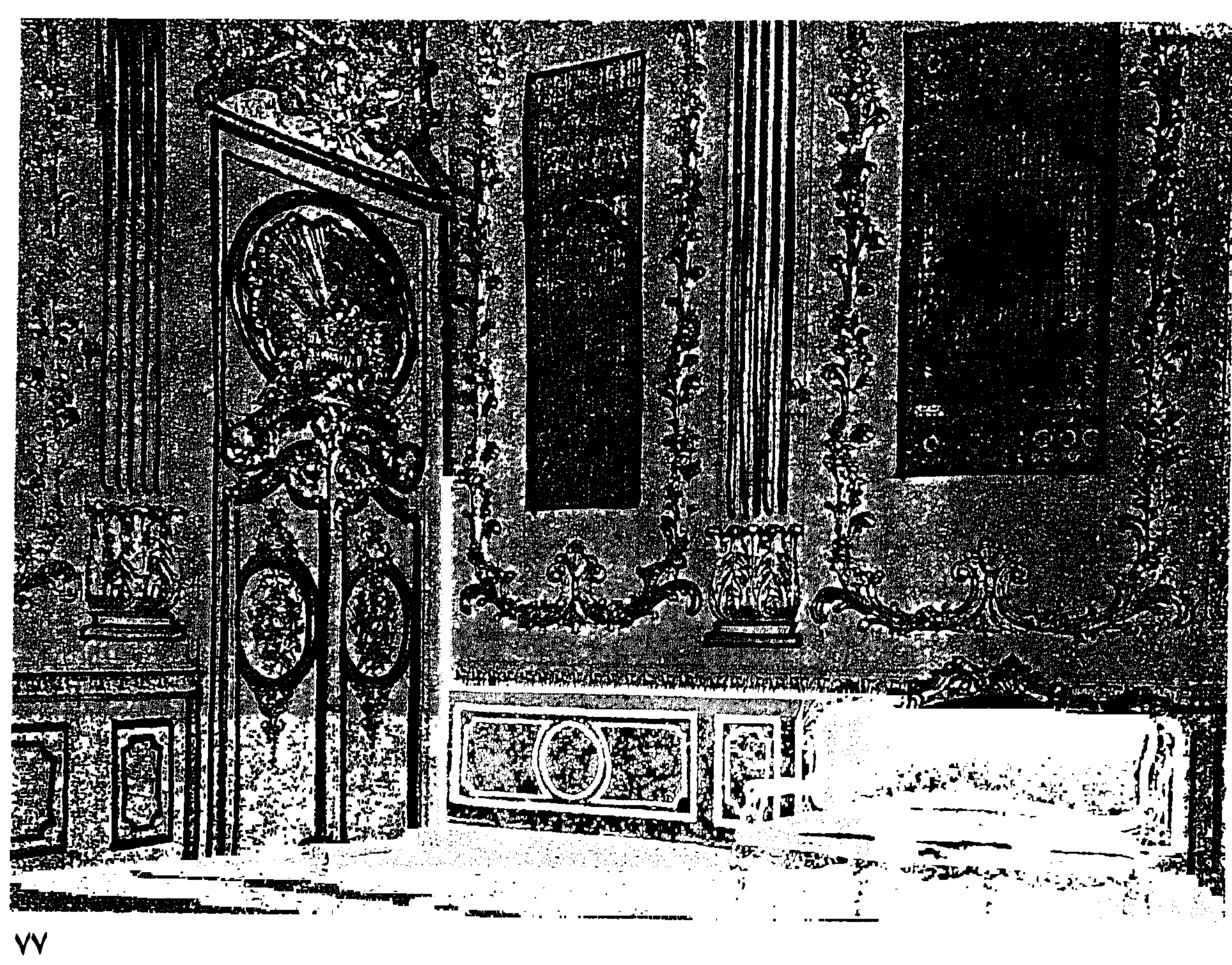
وفى أيام إسماعيل أنشئ «الكوميدى فرانسيز»، وكان موقعه مكان دار البريد الحالية. وقد شرع فى بنائه فى نوفمبر عام ١٨٦٧ . واحتفل بافتتاحه فى ٤ يناير سنة ١٨٦٨ . ثم أمر بتشييد دار الأوبرا التى فتحت عام ١٨٦٩ ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ ألفاً من الجنيهات. ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر ١٨٦٩ أوبرا «ريجوليتو» ـ وقد حضرت الحفلة الإمبراطور «أوجينى» عقيلة نابليون الثالث. وعهد إسماعيل إلى الموسيقى الإيطالى «ڤردى» أن يضع أول أوبرا مصرية لتمثل بدار الأوبرا. فوضع العلامة الفرنسى مارييت باشا» موضوع رواية «عايدة»، ولحنها الموسيقى المشهور «ڤردى» ، ومثلت فى الأوبرا للمرة الأولى فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ . فنالت نجاحاً عظيماً.

ومما لا ريب فيه أن كل هذه الإصلاحات زادت فى عمران القاهرة، مما أدى إلى زيادة عدد سكانها. ففى أثناء الاحتلال الفرنسى لمصر بلغ تعداد سكان القاهرة ٢٦٠,٠٠٠ ، ثم وصل هذا العدد قبيل وفاة محمد على إلى ٣٠٠,٠٠٠ ، حتى إذا أجرى آخر إحصاء رسمى عام ١٨٧٢ ارتفع عدد سكانها إلى ٣٥٠,٠٠٠ نفس.

إحدى الوجهات الداخلية فى ثكنة قصر النيل كما كان فى عام ١٨٧٠



ردهة من ردهات ثكنة قصر النيل بزخارفها



وزادت مساحة القاهرة فى خلال تولى الأسرة المحمدية العلوية إلى قبيل القرن العشرين نحو ألف فدان. وجميع ذلك إلا القليل منه حدث فى عهد الخديوى إسماعيل. والأمر الذى كمل به نظام القاهرة وضواحيها هو شيئان ـ مد الطرق وتوزيع المياه والغاز فيها.

وكان المرحوم محمد على باشا قصد أن يحفر ترعة فمها من شرق إطفيح وتصب فى الخليج المصرى ليجرى الماء صيفاً وشتاءً داخل القاهرة فلم يتم له ذلك. ثم قصد المرحوم عباس الأول إتمام المشروع باستعمال آلات رافعة للمياه وتوزيعها بأنابيب، وشرع المهندسون فى الأعمال الهندسية. ثم فرض عليه التكاليف وهو مائة وثلاثون ألف جنيه فاستكثره وأعرض عن ذلك. فلما آل الأمر إلى الخديوى إسماعيل، كلف به شركة مساهمة. فأخذت فى العمل وأتمته ـ ووزعت الماء والغاز فى القاهرة وضواحيها.

لقد كان الخديوى إسماعيل، يود تنظيم ما بقى فى القاهرة على أسلوب تنظيم حى الإسماعيلية، وصدرت أوامره بذلك. وعملت رسوم طبق رغبته. فكان من أهم أغراضه، جعل قصر عابدين مركزاً يتفرع منه عدة شوارع إلى الإسماعيلية وإلى الأزبكية وإلى ميدان السيدة زينب وآخر من قبلى قصر عابدين ـ وتمتد فى جهاتها. وتقطع حارات المدينة مع عطفها وأزقتها لتجديد الهواء..

وآخر يمتد من ميدان السيدة زينب إلى بركة الفيل إلى شارع محمد على .. إلخ ـ وقد أتمه خلفاؤه، لأن أمنيتهم كانت واحدة ـ وهى أن يجعلوا القاهرة عروس الشرق.

قاهرة الإسماعيل

المنشآت والمبانى العامة

* المبانى العامة *

- دار الآثار المصرية (الأنتفيكخانة)
- دار الآثار العربية
- دار المعارف
- دار الرصد (المرصدخانة)
- دار الجغرافيا (الجمعية الجغرافية)
- دار القضاء العالى
- مدرسة المهندسخانة
- مدرسة الصنائع
- المدرسة الحربية بالعباسية
- مدرسة الأركان (قصر النيل)

● المسارح ودور التمثيل ●

- مسرح الأوبرا
- مسرح الكوميديا
- القصوره
- قصر عابدين
- قصر القبة
- قصر الجزيرة
- قصر الدبارة
- قصر الزعفران
- قصر بولاق
- قصر حلوان

● المساجد ●

- مسجد وميدان الحسين
- مسجد السيدة زينب
- مسجد بولاق
- مسجد العظام

(شارع محمد على)

● الميادين ●

- ميدان عابدين
- ميدان سليمان باشا
- ميدان الأوبرا
- ميدان الإسماعيلية
- ميدان الأنتيكخانة
- ميدان باب اللوق
- ميدان العتبة الخضراء
- ميدان القصر العينى
- ميدان باب الحديد

● الحدائق ●

- حديقة الأورمان
- حديقة الأزبكية
- حدائق الحيوان
- حدائق الجزيرة
- حدائق الروضة
- حدائق شبرا

● البرك والمستنقعات ●

١ ـ ● بركة الأزبكية

نسبة إلى القائد أزبك قائد السلطان قائد بك. كان له الفضل فى تعمير البركة وبناء قصره ومسجد حولها.

٢ ـ ● بركة الفراعين

ردمت وتحولت إلى حى عابدين نسبة إلى عابدين بك صاحب القصر الذى يطل على البركة واشتراه إسماعيل باشا ليقيم مكانه قصر عابدين.

٣ ـ ● بركة بولاق

● البحيرة الجميلة ـ أقامها الفرنسيون فى أثناء الحملة الفرنسية كمنطقة للترفيه، وشاليهات للصيد والسباحة. تم ردمها فى برنامج التخطيط وتحولت إلى حى سكنى يحمل اسم البحيرة.

٤ ـ ● بركة الفيل

٥ ـ ● بركة الرطل

٦ ـ ● بركة السقايين

٧ ـ ● بركة الفوالة

٨ ـ ● بركة الناصرية

ردمت جميعها لتتحول إلى أحياء سكنية، يحمل كل حى اسم البركة التى أقيم فوقها، كما تحولت الترع التى كانت تغذيها بالمياه إلى شوارع يحمل كل شارع اسم الترعة.

الترعة البولاقية ـ ترعة جزيرة بدران ـ فم الخليج ـ شارع الخليج.

● الأكوام ●

● كوم الريش

● كوم الشقافة

● كوم الدكة

● كوم المناصرة

● كوم البغالة

استخدمت تلال الأكوام فى ردم البرك، وحملت الأحياء السكنية التى أقيمت مكانها أسماء الأكوام.

● الموسكى

قنطرة وقصر موسك بك.

● الزمالك

كبائن استحمام الشاطئ.

● شبرا

الحدائق (فرعونية).

* الفجالة

● مزارع الفجل.

القاهرة باريس الشرق
و باريس مصر الغرب

أطلق على قاهرة الإسماعيل، التى وضع تخطيطها المهندس الفرنسى هاوسمان، الذى قام بتخطيط باريس الكبرى، والذى طلب منه الخديوى إسماعيل، أن يضع تخطيطا للقاهرة كصورة من تخطيط باريس، التى تحتضن نهر السين، على أن ينتقل نهر النيل من مكانه ليتوسط تخطيط القاهرة الجديد، الذى ينقل فى الوقت نفسه الكثير من معالم باريس المعروفة.

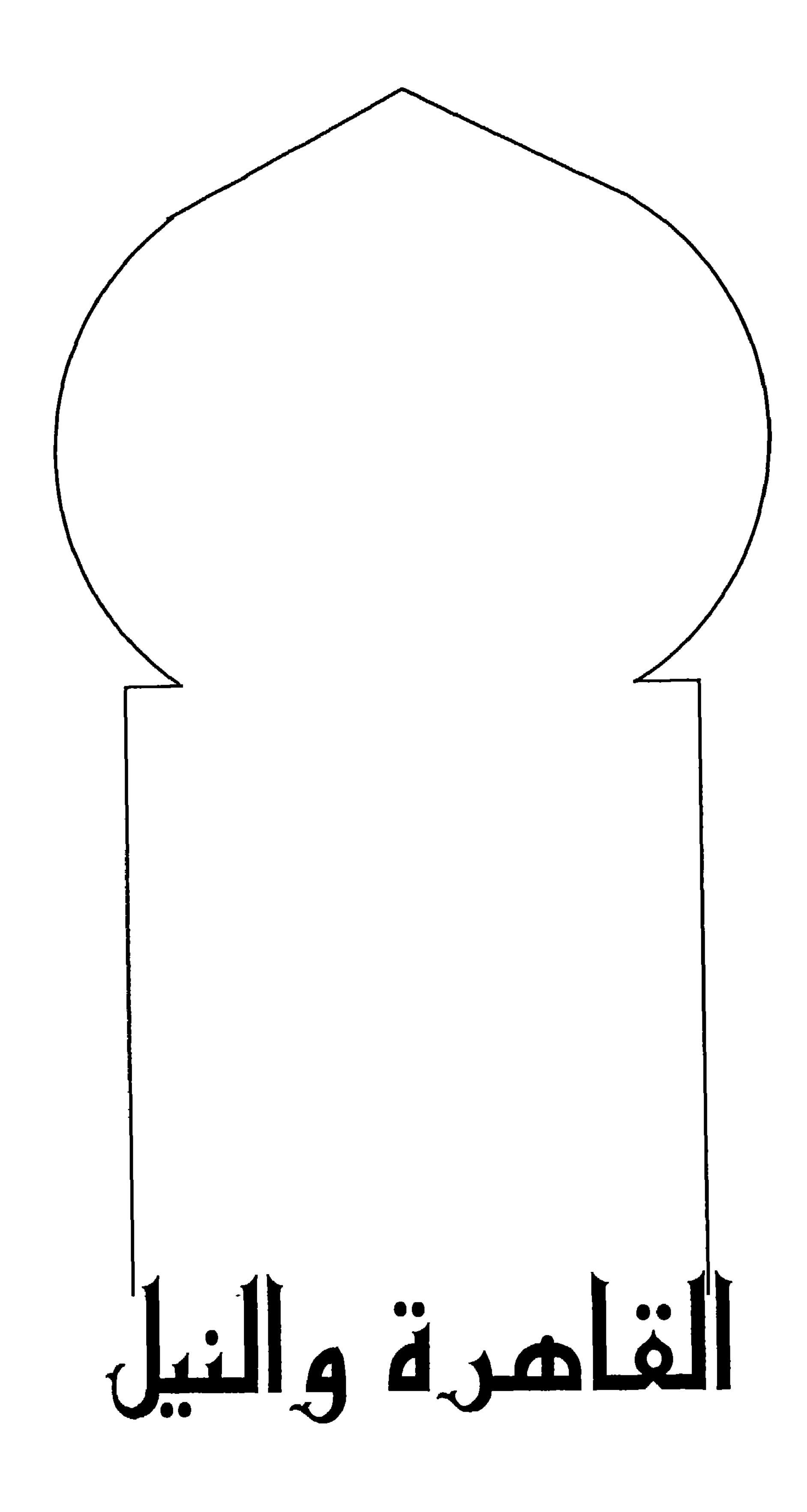
فأمكن هوسمان تحقيق حلم الخديوى إسماعيل ورغباته، فخرج التخطيط إلى حيز الوجود وأطلق العالم على قاهرة الإسماعيل «باريس الشرق».

إن اسم باريس نفسها اسم مصرى وليس فرنسى أو لاتينى. ويرجع اسم باريس إلى الغزو الرومانى لبلاد أوربا الغربية المطلة على شواطئ البحر الأبيض، بعد عودة قواتهم من مصر ووصلت إلى شواطئ نهر السين، فأقام أحد قوادهم معسكرا وحصنا فى موقع إحدى القرى على شاطئ النهر الذى وصلوا إليه.

لما كان قواد الرومان الذين عاشوا فى مصر يؤمنون بمعبودات قدماء المصريين، ويقومون بطقوس الاستخارة فى معابدهم، وخاصة معبد زيوس آمون فى سيوة، قبل ذهابهم إلى ميادين القتال، واتخذوا من المعبودة «إيزيس» رمزا يتبركون به لتحميهم فى الحرب، فأقاموا لها أكثر من معبد فى روما عند عودتهم وكانوا يحملون تمائمها فى الميادين، فكانوا يطلقون اسمها على معسكراتهم وحصونهم وهو «برايزيس» أو بيت إيزيس وهبة إيزيس، ومازالت إحدى قرى الواحات التى أقاموها فى مصر إلى الآن وهى قرية باريس.

فعندما وصلت قواتهم إلى شواطئ نهر السين، حيث أقاموا معسكرهم، أطلقوا عليه الاسم نفسه «برايزيس»، الذى حرف إلى اسم «باريس»، وهو الاسم الذى أطلق على العاصمة الفرنسية التى أقيمت فى موقع قرية «برايزيس» الرومانية، وما زالت تحتفظ بهذا الاسم المصرى إلى اليوم.

وتتمثل بصمات مصر فى باريس بالإضافة إلى اسمها الذى منحته إياها المعبودة إيزيس. تتمثل فى مسلة رمسيس الثانى التى تتوسط ميدان الكونكورد قلب باريس، والتى نقلت إليها من معبد الكرنك عام ١٨٣٦.



القاهرة والنيل

لا يعرف الكثيرون أنه تم تغيّير مسار نهر النيل فى القرن الماضى، كجزء من تجميل القاهرة، عندما نجح المهندسون فى نقل الخيال إلى واقع حى، ونقل مجرى النهر من موقعه منذ آلاف السنين، إلى موقع جديد يخترق القاهرة وتحتضنه القاهرة ويكتب تاريخها الحديث.

ومن يومها عاش النيل فى القاهرة، فاحتضنته وارتبط بتخطيطها، وأصبح جزءاً منها. يهبها الحياة. وتزدحم عمارتها على ضفتيه، فكما يشق نهر السين باريس، أصبح نهر النيل يشق القاهرة...

تبدأ قصة تحويل مجرى نهر النيل من عام ١٨٦٣ ، عندما تولى الخديوى إسماعيل الحكم. كانت القاهرة عاصمة البلاد نموذجا لمدينة من مدن العصور الوسطى التى تطوقها الأسوار وتحاصرها البوابات، يبلغ عدد سكانها ٢٧٠ ألف ساكن تمتد حدودها من سفح المقطم والقلعة شرقا، وتنتهى حدودها الغربية عندمدافن العتبة الخضراء والأزبكية والمناصرة، التى حاصرت امتدادها وحرمتها من الاتصال بالنيل أو الوصول إليه. كانت المنطقة التى تفصلها عن مجرى النيل ، تتكون من سلسلة من المستنقعات ومجموعة من التلال، تمتد عدة كيلو مترات حتى تصل إلى شاطئه.

لم يكن النيل فى موضعه الحالى، بل كان مجراه الرئيسى يشق طريقه فى المنطقة الغربية، ممتدا من قرية الجيزة القديمة التى تقع عند نهاية كوبرى عباس الحالى، ويسير محازيا لشارع الدقى مارا ببولاق الدكرور والعجوزة وإمبابة.

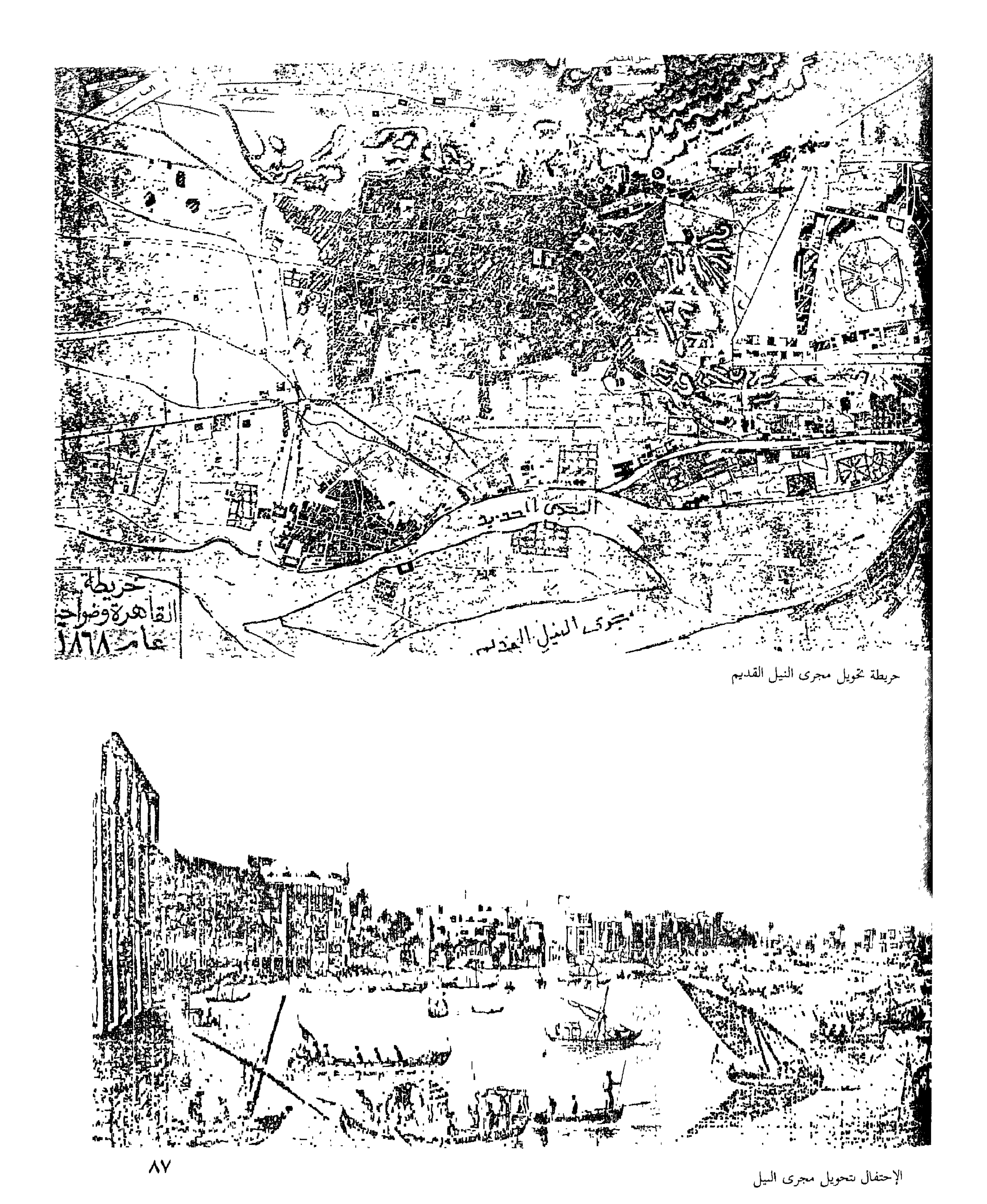
● كان لنشأة إسماعيل باشا فى باريس وتشبعه أسباب الحياة الأوروبية، بل أشدها تطرفا وفى الحياة الفرنسية الباريسية، الأثر الأكبر فى توجيه تفكيره، فكانت رائده فى كل ماقام به من مشروعات إصلاحية وعمرانية .

كانت باريس مدينة النور التى تعلم فيها وقضى فترة شبابه فى أجواء أرجائها، قد أصبحت حديث العالم، عندما وضع المهندس العالمى «هاوسمان» تخطيطها الجديد. ذلك التخطيط الذى جذب أنظار العالم، واقتدى به خبراء التخطيط فى إعادة تخطيط كثير من العواصم والمدن الكبرى فى أوربا وأمريكا.

عندما عاد إسماعيل باشا إلى مصر، هاله ماوصلت إليه عاصمة بلاده من الانحلال، وما تعرضت له القاهرة من حملة ضارية ومغرضة تبنتها صحافة الغرب، عندما انتشر وباء الملاريا وحميات الأمراض المعوية، لاعتماد القاهرة على مياه الشرب التى ينقلها «السقاءون» من البرك والمستنقعات الراكدة، والتى تختلط بمياه المجارى. فاستهدفت الحملة نهر النيل الذى يتغنى المصريون بالشعار الذى وصف به أميل لودفيج النيل بقوله:



خريطة توضح تحويل مجرى نهر النيل ـ للحملة الفرنسية مبيناً عليها التعديلات التى أدخلها إسماعيل باشا سنة ١٨٦٨



حريطة تحويل مجرى النيل القديم

الإحتفال بتحويل مجرى النيل

من شرب من ماء النيل مرة عاد إليه ثانية» ، فحرفوه فى حملة دعايتهم بقولهم من شرب من ماء النيل مرة عاد إلى بلده للعلاج. كما وصفوا مدينة القاهرة بأنها المدينة التى يعيش سكانها داخل الناموسيات.

كان لتلك الحملة التى استمرت بضع سنوات آثارها فى امتناع الكثير من زيارة مصر، سواء للسياحة أو للتجارة.

فعندما تولى إسماعيل باشا الحكم ،كان أول عمل فكر فيه ليبدأ به حكمه، هو إعادة تخطيط القاهرة وتعميرها من جهة، ثم رد الاعتبار لنهر النيل الخالد الذى أطلق عليه المصريون القدماء نهر الحياة، ليعيد الحياة لتخطيطها الجديد.

ولكى يحقق الحلم الذى طالما راوده، أن يرى فى القاهرة صورة باريس، التجأ إسماعيل باشا إلى صديق شبابه الإمبراطور نابليون الثالث، طالباً منه أن يعاونه فى إعادة تخطيط القاهرة وإعادة تعميرها، بتكليف المهندس (هاوسمان) الذى قام بتخطيط باريس، ليصنع تخطيط القاهرة الجديدة. وطلب إسماعيل باشا من (هاوسمان) أن يعكس تخطيط القاهرة وتعميرها صورة باريس أجمل عواصم العالم. فحقق هاوسمان له حلم أمنيته، وتظهر القاهرة فى زيها الجديد الذى يعكس معالم باريس بتخطيطها وعمارتها وحدائقها وميادينها وقصورها، بل زودها التخطيط بالمرافق العامة، من شبكات للمجارى ومياه الشرب ورى الحدائق والإنارة بالغاز لأول مرة فى تاريخها العمرانى، وأطلق عليها العالم اسم «باريس الشرق». كانت فكرة نقل النيل ليشترك فى تخطيط القاهرة وتعميرها ضمن قائمة الرغبات التى قدمها إسماعيل باشا لمهندس التخطيط والمحفوظة بالمكتبة العامة بباريس.. وصفها أحد الكتاب المعاصرين بأنها «ألبوم الذكريات» ذكريات شبابه المرتبطة بأماكن خاصة ومعالمها العمرانية، وطلب أن يخصص لكل منها مكانا تحتله فى التخطيط الجديد، منها على سبيل المثال حديقة لوكسمبرج الباريسية الشهيرة، لتصبح حديقة الأزبكية بجميع معالمها وأسوارها وأشجارها، ومسرحى الأوبرا والكوميدى فرانسيز (الأوبرا والكوميديا وميدان كل منهما وغابة بولونيا (حدائق الأومان) وغيرها مما ورد فى قائمة الرغبات).

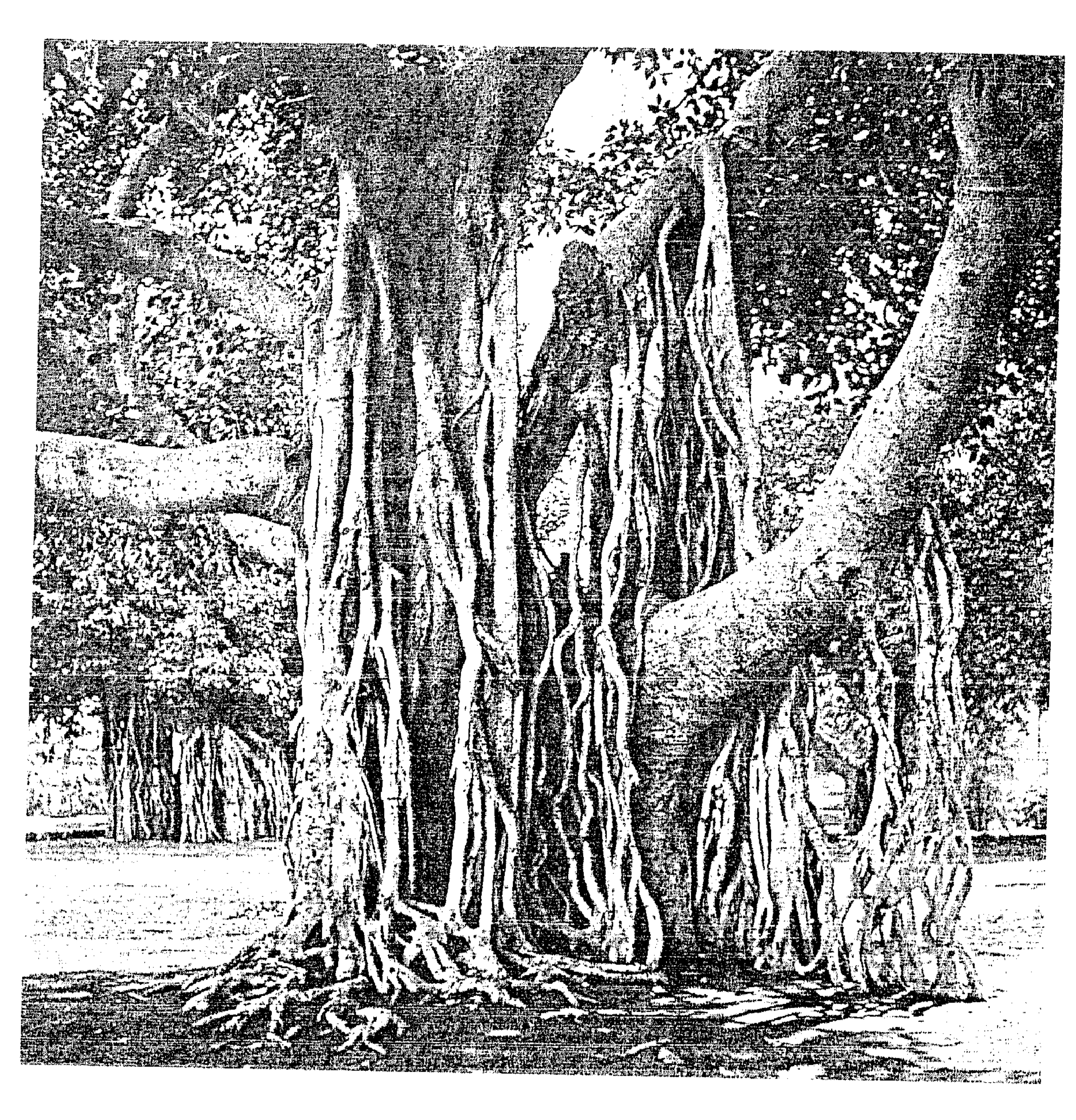
كان على رأس قائمة الرغبات نقل نهر النيل ليتوسط تخطيط القاهرة الجديدة أسوة بنهر السين الذى يخترق باريس، وتحتضنه المدينة بجناحيها وأصبح جزءاً منها تتعانق أحياء المدينة وعمرانها على ضفتيه.

فحقق تخطيط القاهرة معجزة نقل مجرى نهر النيل من موضعه النهائى لينبض بالحياة فى قلب القاهرة الجديدة فيتوسط تخطيطها، كما يتوسط نهر السين تخطيط باريس.

كان نهر النيل كما هو مبين فى إحدى خرائط الحملة الفرنسية القديمة ويظهر بها مجراه القديم الذى يمتد من مدينة الجيزة القديمة بمحازاة شارع الدقى الحالى ماراً بمناطق حدائق الأورمان والجامعة والدقى والعجوزة وبولاق الدكرور وإمبابة.

بينما المنطقة الشرقية منه ومن شواطئه كانت عبارة عن سيالة ضيقة تنحسر عنها المياه أكثر فصول السنة لارتفاع منسوب قاعها. وقد بدا العمل فى إجراء عملية التحويل مع البدء فى تخطيط المدينة نفسها فى أواخر عام ١٨٦٣.

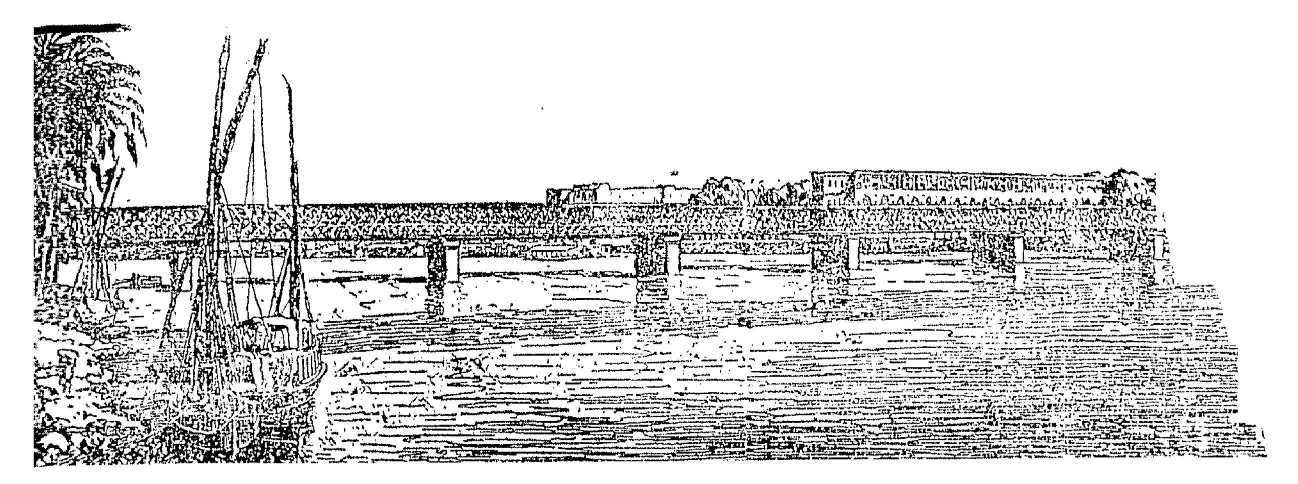
اشتمل التخطيط لعملية التحويل إقامة حاجز خرسانى بالقرب من مدخل كوبرى عباس الحالى كمصدر لتغيير اتجاه تيار مياه الفيضان، ليتجه إلى الشرق فى اتجاه مدينة القاهرة ،وأقيم جسر ترابى بامتداده ليسد جزءاً من مدخل المجرى القديم، كما أقيم حاجز خرسانى أو مصد مماثل فى موقع فندق شبرد الحالى، ليغير اتجاهه مرة أخرى ليعود إلى مجراه الأصلى عند منطقة إمبابة وبولاق وما تزال آثار تلك المصدات الخرسانية موجودة إلى الآن.



بعض أشجار حديقة الأورمان النادرة

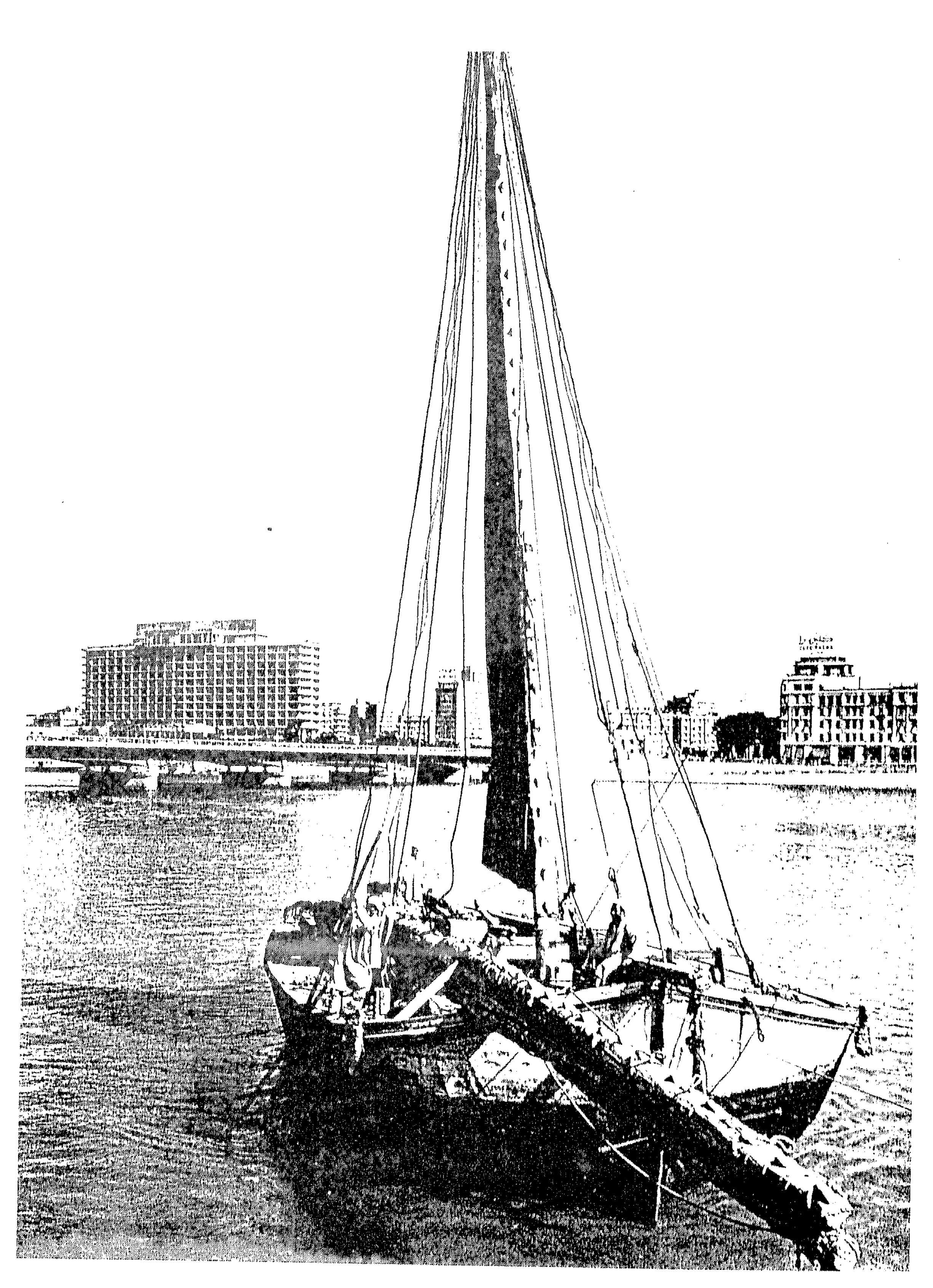
لقد ساعد ارتفاع منسوب الفيضان المفاجئ وقوة اندفاع مياه تياره، ساعد على تحقيق المعجزة، فحفر النيل مجراه بنفسه فى عام واحد، وتمت عملية التحويل، واتخذ نهر النيل موقعه الجديد فى التخطيط المرسوم له فى أواخر عام ١٨٦٥ ، أى أن عملية التحويل بالكامل استغرقت ١٨ شهراً.

عندما تم تحويل مجرى النيل تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء، أراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وكورنيش النيل، بخلاف المجرى نفسه، فتقدمت إحدى الشركات القومية بالاشتراك مع إحدى الشركات الفرنسية التى أسهمت فى تحويل مجرى النيل. تقدمت باستعدادها لردم المجرى القديم والمستنقعات المتخلفة عنه، وبلغ ارتفاع الردم فى معظم الأجزاء ما يزيد على الثلاثة أمتار، أما المنطقة فقد طمت أرضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ما تحمله من طمى.



رسم توضيحي لكوبرى قصر النيل ١٨٦٩

صورة ضوئية للكوبرى عام ١٩٤٠

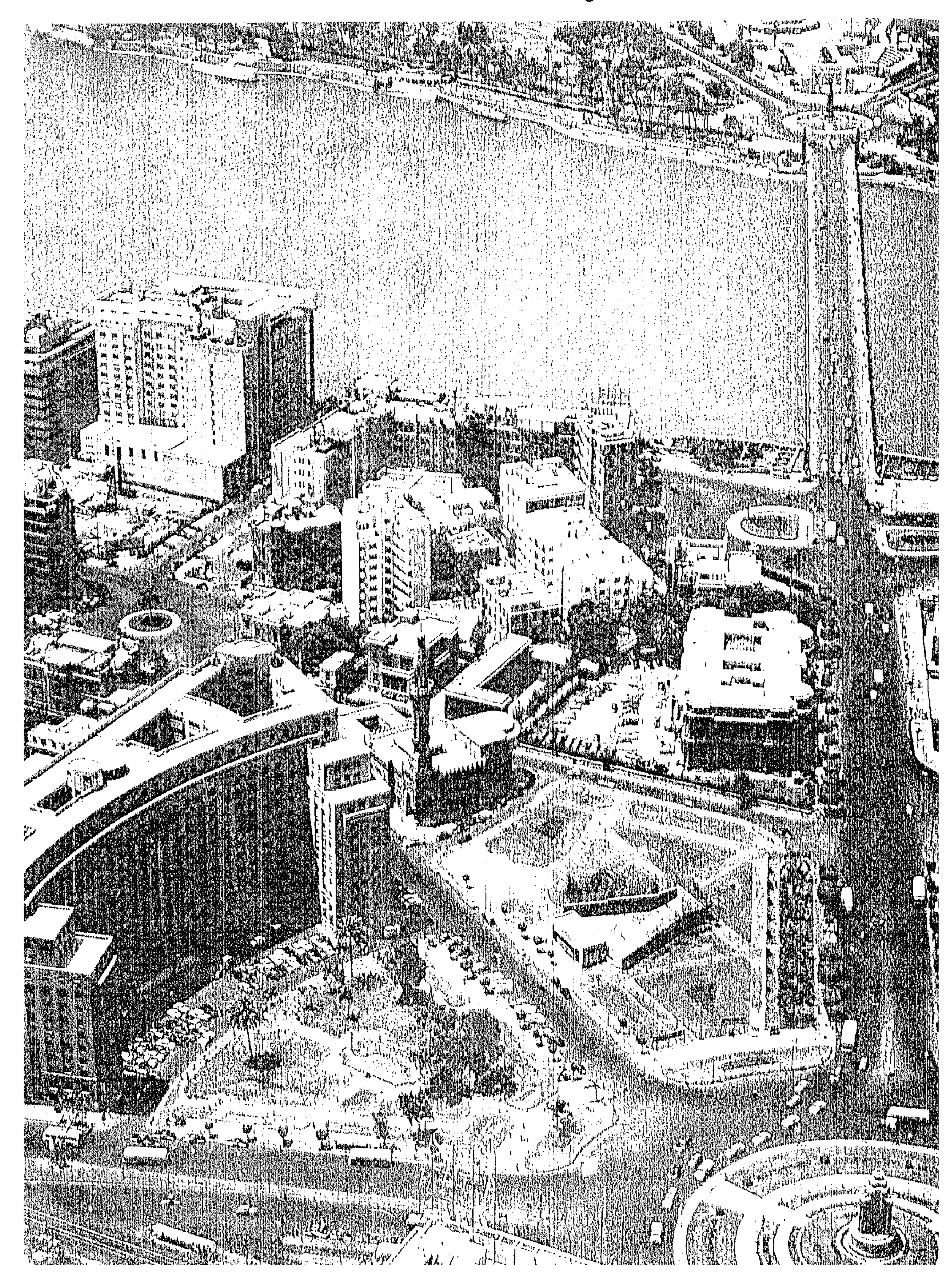


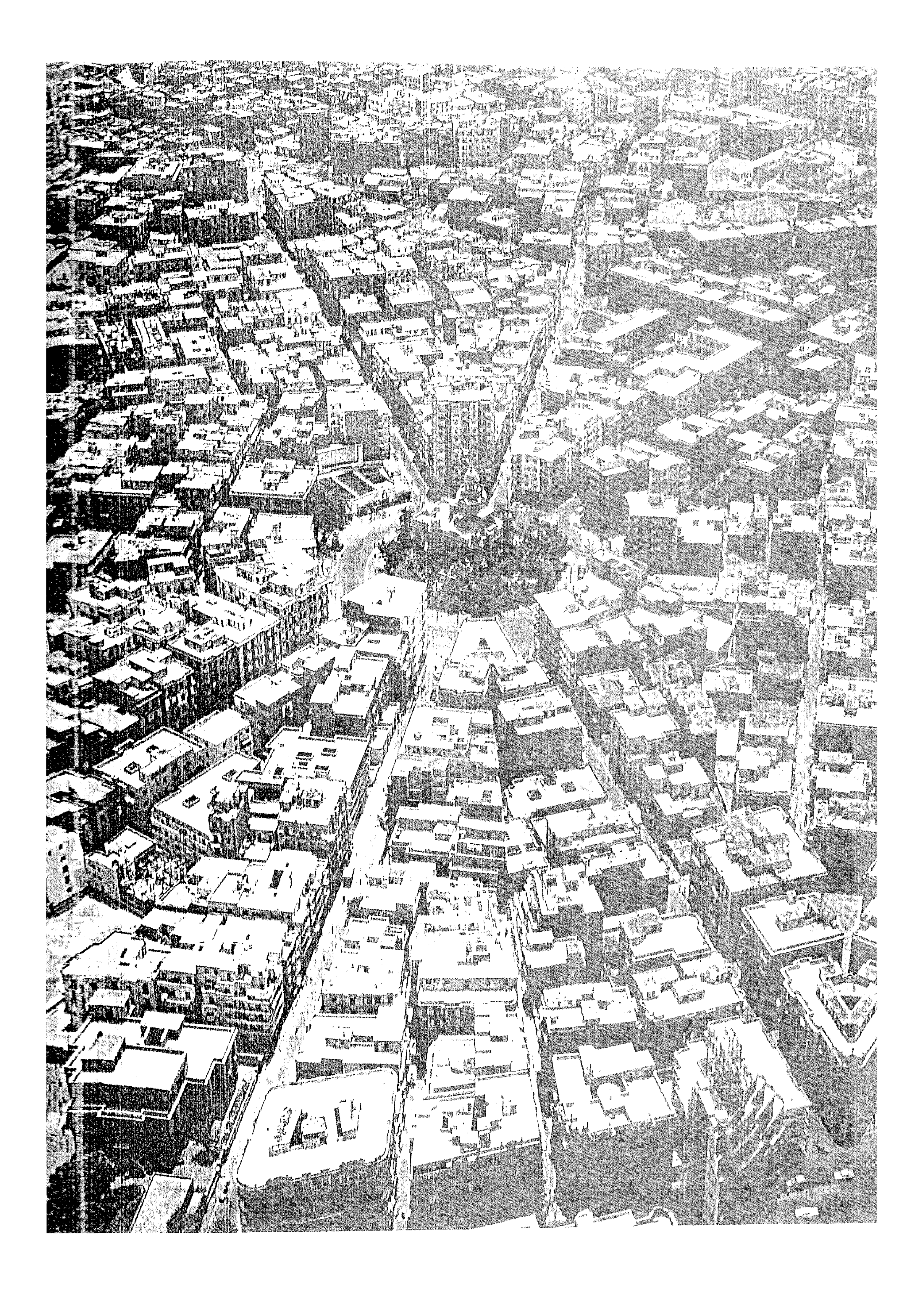
صورة لإحدى المراكب تسير فى نهر النيل

جامعة القاهرة

كوبرى قصر النيل وأرض المعارض

ميدان الخديوى إسماعيل (التحرير حاليا) تخطيط ميدان الخديوى إسماعيل وربط القاهرة بالجيزة
صورة تشمل مبانى ، مجمع التحرير بميدان التحرير يظهر فى الخلف نهر النيل







كورنيش النيل ويظهر بالصورة مبنى الإذاعة والتلفزيون



منطقة شبرد وقصر النيل

وقد تم الاتفاق بين الحكومة والشركة التى قامت بعملية الردم وتسوية الأراضى، أن تقوم الشركة بتسليم الحكومة الأراضى المخصصة للمشروعات العامة المحددة بالتخطيط، وهى الأراضى التى أقيمت عليها غابة الأورمان ،وحديقة الحيوانات، والجامعة، ودور الإحصاء والمساحة والمدارس، وغيرها من المشروعات العامة على أن تمنح الشركة بقية الأراضى لاستغلالها للاستثمار العقارى، مقابل ما قامت به من أعمال لردم الأراضى وتمهيدها وتخطيطها. وهى الشركة التى أطلق عليها اسم شركة تقاسيم أراضى الجيزة والروضة، ومازالت تحتفظ به إلى الآن.

فى مقدمة المشروعات التى اشتمل عليها تخطيط الأراضى التى تخلفت من ردم مجرى النيل، مشروعات إقامة «أورمان» أو غابة مماثلة لغابة بولونيا المشهورة خارج باريس، وقام برسمها وتخطيطها المهندس (باريل بك) .. وتبلغ مساحة حديقة الأورمان ٤٦٥ فداناً. كانت تشمل حدائق الأورمان الحالية وحديقة الحيوانات، وتمتد إلى سراى الجيزة بمبانيها الفخمة والتى كانت تقع موضع مخازن الترام القديمة بشارع المدارس، وقد جلب (باريل بك) أشجار حديقة الأورمان وحديقة الحيوانات بمختلف أنواعها النادرة، من أسيا وأوربا وأمريكا ومعظمها من الأنواع التى استوردت خصيصاً لغابة بولونيا الباريسية وحديقة الأزبكية.

كما كان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد أن تراكم الطمى والرمل بالمنطقة الشمالية من الجزيرة، وهى منطقة الزمالك الحالية التى تحولت إلى شاطئ سياحى بلغت مساحته ألفى فدان، فاتخذه سكان القاهرة مصيفاً ومكاناً للنزهة والاستجمام والترفيه، فأصدر إسماعيل باشا قراراً بألاّ تقام به أية مبان أو منشآت ثابتة سوى «الزمالك»، والزمالك لفظ ألبانى معناه العشش أو كبائن الشاطئ. ومنه اتخذت الزمالك اسمها الذى يطلق عليها الآن.

أما الجزء الجنوبى من الجزيرة فقد تحول إلى مجموعة من الحدائق والبساتين، لتزويد قصور القاهرة بما تحتاج إليه من أشجار ونباتات للزينة، ولم يقم عليها من المبانى سوى قصر الجزيرة الذى يقع فى طرفها الشمالى المطل على منطقة الزمالك، الذى أقيم عام ١٨٦٨، لنزول الإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث بمناسبة زيارتها لمصر لحضور احتفالات افتتاح قناة السويس، وزيارة القاهرة «باريس الشرق» التى وعدت إسماعيل باشا بزيارتها عند إتمام تخطيطها، وظهورها فى ثوبها الجديد ـ وسراى الجزيرة هى التى تحولت إلى فندق ماريوت حالياً.

بانتقال مجرى النيل إلى موضعه الجديد، ليتوسط القاهرة وتمتد حدودها العمرانية إلى ضفته الغربية، لتغطى مساحات شاسعة من الأراضى التى كانت تغمرها مياه مجراه القديم، ليشملها التخطيط وتصبح جزءاً من القاهرة الجديدة نفسها، كان من الضرورى وصل الضفتين ببعضهما، ووصل شرايين المرور بينهما بالكبارى أسوة بالكبارى التى تعبر نهر السين بباريس. كان عبور نهر النيل القديم يتم على قنطرة من القوارب المتراصة والمصفوفة بعضها بجانب بعض والممدودة عليها ألواح خشبية، أو فى المعديات الصغيرة التى لا تصلح للاستعمال فى المجرى الجديد، لعمق قاعه واشتداد تياره، فاشتمل التخطيط الجديد إقامة أول كوبرى يعبر نيل القاهرة ويعانق ضفتيه، ويعد فى الوقت نفسه أول كوبرى أقيم على نهر النيل من منبعه إلى مصبه، وكان يعتبر وقت إنشائه من أجمل قناطر العالم من حيث هندسته وجماله كما ورد ذكره فى جميع المراجع الهندسية المعاصرة. كان طول الكوبرى ٤٠٦ أمتار وعرضه ١١ متراً وله فتحتان ملاحيتان يدار الجزء المتحرك منهما باليد وبنيت أسسه ودعائمه بالدبش العادى محوطاً بطبقه من الحجر الجيرى الصلب. قامت بصنع هيكله المعدنى وتنفيذه شركة «فيف ليل» الفرنسية، التى قامت بتنفيذ أحد كبارى باريس، التى تعبر نهر السين فى وقت معاصر. بدأت العمل فى إنشاء كوبرى النيل عام ١٨٦٩ وأتمته خلال عام ونصف.

ولما استحضر الخديوى إسماعيل المثالين لصناعة تماثيل ميادين القاهرة ،كلف أحدهم بعمل أربعة تماثيل لأربعة من السباع الضخمة فصنعت أجمل صنع من البرونز وأقيم كل اثنين منها على كل من مدخلى مداخل الكوبرى من جهتيه المتقابلتين، وأطلق العامة على إسماعيل باشا اسم «أبو السباع».

ولما كانت الجزيرة يفصلها عن الشاطئ الغربى القناة التى تخلفت من النهر بعد ردم مجْراه، وكان يطلق عليها اسم «البحر الأعمى» الذى لا تصل إليه المياه إلا وقت الفيضان. فقد رؤى إقامة قنطرة أو كوبرى صغير، كاستمرار لكوبرى قصر النيل لوصوله إلى الشاطئ الغربى، فقامت إحدى الشركات الإنجليزية بإقامته وتنفيذه عام ١٨٧١، وهو الكوبرى الذى مازال يطلق عليه إلى اليوم «كوبرى الإنجليز»، ويطلق عليه العامة اسم الكوبرى الأعمى نسبة إلى سيالة البحر الأعمى التى أقيم فوقها.

فى مقدمة المشروعات التى تدخل ضمن إطار الإعجاز الفنى من ناحية التخطيط والإنجاز التى ارتبطت بتحويل مجرى النيل وتعمير شاطئه الغربى، مشروع مدخل القاهرة الغربى أو طريق الأهرام، الذى يصل القاهرة بأهرامها الأثرية الخالدة، إحدى عجائب الدنيا السبع، والتى كانت تعتبر رمزاً سياحياً لمصر، وتصورها المطبوعات وهى تطل على النيل كأنها جزء من القاهرة نفسها. كما يربط طريق الأهرام أو مدخل القاهرة الغربى بكل من الوجهين القبلى والبحرى عن طريق الصحراء الغربية.

وامتد تخطيط القاهرة ليشمل إنشاء طريق الأهرام الذى تم ردمه بارتفاع أربعة أمتار عبر الأراضى المنخفضة والمستنقعات، التى كانت تغمرها مياه الفيضان وتعزل الأهرام عن القاهرة، وتم إنشاء الطريق بعرض عشرين متراً وردمه بارتفاع أربعة أمتار، فى زمن قياسى عالمى، لا يتعدى ثلاثة أسابيع، كما تم رصفه وغرس الأشجار الباسقة على جانبيه خلال ثلاثة أشهر، تم افتتاحه بعدها رسمياً.

وقد علقت إحدى الصحف الفرنسية العالمية على ذلك الإنجاز الخيالى / عند الافتتاح الرسمى لطريق الأهرام بقولها «أبناء بناة الأهرام يقومون بإنشاء طريق لزيارة الأهرام طوله عشرة كيلومترات وعرضه عشرون متراً، ويرتفع أكثر من أربعة أمتار، تم رصفه وزراعة جانبيه بالأشجار العالية فى ثلاثة أشهر، حتى يمكن افتتاحه مع افتتاح قناة السويس، ويقوم ضيوف مصر بزيارة أهرامها الخالدة.

القاهرة ونهر الحياة

قدسه الفراعنة باسم حعبى، أى فيض البركات الإلهية ـ الذى ينبع من الجنة وينقل خيرات مناجم أرضها، ليحى أرض مصر (جب بتاه) أرض الإله.

● إن اسم النيل الذى تعلمناه فى المدارس كما رواه لنا المؤرخون، ونقلوه عن المؤرخ الإغريقى «هيرودوت» الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد، وانبهر بالنهر العظيم فأطلق عليه اسم «نيلوس»، حتى أصبح النيل فى اعتقادنا أنه مستورد من اليونان.

فى حين أننا إذا سألنا أجدادنا أصحاب النيل عن اسمه، لقالوا لنا إن اسمه الذى سجلناه فى برديات التاريخ من عصور ما قبل الأسرات، أى قبل ميلاد هيرودوت بأربعة آلاف سنة، كان اسمه فى صعيد مصر «ال نيل» و«ال» باللغة المصرية القديمة معناها النهر و«نيل» معناها «الأزرق»، وهو مأخوذ من اسم نبات النيله، فكان يطلق عليه اسم ال نيل أى النهر الأزرق، نسبة إلى لون مائه الصافى الذى يعكس زرقة السماء.

على حين فى الدلتا حيث يتفرع النهر إلى عدة أنهار، فقد أطلقوا عليه اسم نى ال أو (نيلو) أى الأنهار، فالنون للتعريف وأل النهر والواو للجمع. وهو الاسم الذى نقله هيرودت عن مصر وأضاف إليه السين الإغريقية، وما ينطبق على اسم «مصر» نفسها التى أطلق عليها الإغريق اسم جيبتوس، وهو بدوره ليس له معنى فى اللغة الإغريقية فهو اسم مصرى صميم، فقد أطلق كهنة معبد أون عند بدء الحضارة اسم «جب بتاه» أى أرض الإله وورد ذكره فى كتاب التوحيد، وفى لوحات تتويج الملك مينا، الذى توج ملكاً على جبتان.

● وصفوا النيل بأنه ينبع من الجنة مصدر الحياة، فمياهه تمد الإنسان والحيوان والطير والأرض بماء الحياة ـ تمد الإنسان بالمشرب والمأكل والملبس، من ماء الحياة ومحاصيل الأرض والقطن والكتان.

● كما أن النيل هو ماء الحياة للحضارة المصرية الخالدة، ولما كانت العمارة هى مرآة حضارة الشعوب، فمن طمى النيل صنع المصرى «قالب الطوب»، وحدة البناء فى العالم المعمارى فى جميع الحضارات، الذى احتفظ بشكله وأبعاده إلى اليوم.

من قالب الطوب الذى صنعه من طمى النيل، شيد المأوى وبنى المسكن، بنى حوائطه وسقفه من عقود وقباب، ونوافذ وأبواب، فى حين كان إنسان العالم فى عصور ما قبل الحضارات يسكن الجحور والكهوف.

وارتفعت شعلة الحضارة التى أشعلها النيل على أرض مصر، لتجذب على شاطئيه عناصر تراث الحضارة، من صروح ومعابد وآثار عمرانية، يتحول النيل بفضلها إلى أعظم متحف للحضارة. متحف طوله ألف كيلو متر، يمتد من شواطئ البحر الأبيض إلى شلالات النيل.

يصفه «إميل لودفيج بقوله: «إن عجائب مصر الخالدة ليست الأهرام ولا المعابد، لكنها نهر النيل رمز الخلود، الذى شق طريقه بإرادة الإله وسط الصحراء وخلال الجبال الصخرية، مما جعل منه أباً لوطن بأسره التف حوله الملايين جيلاً بعد جيل، يمدون له بمواهبهم أسباب الحياة والخلق، فاحتضنت شواطئه تراث حضارته الخالدة لتبقى فى حمايته وتحت أنظاره.

● لما كان كتاب التوحيد تبدأ دعوته بقوله:

«العلم أول أركان الإيمان، وأنزل الإله الحرف والكلمة لتستمعوا إليه بقراءة تعاليمه».

فالحرف والكلمة التى نزلت مع كتاب: التوحيد، كانت حروف الكتابة الهيروغليفية وطريقة نطقها فقد لبى النيل دعوة الإله لمحو أمية المصرى فقدم المصرى القديم القلم من غاب النهر (البوص)، والورق من سيقان، البردى، والحبر من عصير نبات النيله.. تنمو جميعها على شواطئ النيل .

● نظم النيل ـ نهر الحياة ـ حياة المجتمع المصرى. علمه تقسيم الزمن، وقدم له أول تقويم متكامل عرفته البشرية، وهو التقويم الشمسى المعمول به فى العالم أجمع منذ قدمه النيل لأهل مصر.

يبدأ اكتشاف المصريين لهذا التقويم، عندما لاحظ كهنة معبد الشمس، أن فيضان النيل أو فيضان الخير، يأتى كل عام مع مطلع نجم ثابت ومعين، يشرق بوضوح فى سماء معبد أون (معبد مرصد الشمس)، فى اللحظة نفسها التى تشرق فيها الشمس وهو نجم سيروس ـ سبدت ـ (الشعرى اليمانية)، وقد ورد ذكر نجم الشعرى فى أكثر من آية فى قوله تعالى «وأنه هو ربُّ الشِعرى»، و«وهو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب».

وقد توصل المصرى القديم إلى تحديد طول دورة ذلك النجم الفلكية، أو الدورة الشمسية بدقة متناهية، حدود طولها أو طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وربع، ولذا فأطلقوا عليها اسم السنة الرباعية، مع بداية عصر الأسرات بدأت الدولة بالعمل بالتقويم الرباعى الذى أطلق عليه التقويم التحوتى، أى أن السنة تتكون من ٣٦٥ يوماً وتضاف الأرباع إلى السنة الرابعة، وهو التقسيم المعمول به إلى الآن فى العالم أجمع.

● إن قدماء المصريين الذين كانوا أول من عرف حساب، الزمن وتوصلوا إلى تقسيمه ووضعوا له أبعاده ومقاييسه الحالية. قسموا السنة إلى ثلاثة فصول فقط لارتباطها بالنيل، وهى فصل الفيضان، وفصل الزراعة، وفصل الحصاد، وطول كل منها أربعة أشهر، وهو ما يتفق مع طبيعة جو مصر المعتدل، وهى فصول الربيع والصيف والشتاء.

قسموا السنة إلى ١٢ شهراً، واختاروا اسماً لكل شهر من شهور السنة من أسماء المعبودات، التى تعبر صفة كل منها عن خاصية الشهر وارتباطه بالنيل، وعوامل الطبيعة والحياة، الزراعية ومواسم الرى والحصاد.

وقسموا الشهر إلى ثلاثة ديكانات، والديكان عشرة أيام السبعة أيام، الأولى منها أطلق عليها أسماء النجوم السيارة، وهى الأسماء التى يطلقها العالم اليوم على أيام الأسبوع فى جميع اللغات إلى اليوم وهى:

الأحد يوم الشمس	SUNDAY
الاثنين يوم القمر	MONDAY
الثلاثاء يوم المريخ (توى)	TUESDAY
الأربعاء يوم عطارد إله الحكمة	WEDNESDAY
الخميس يوم المشترى (نور)	THURSDAY

الجمعة يوم الزهرة (فريجو) FRIDAY

السبت يوم زحل (ساتورن) SATURDAY

وانتقل تقسيم الزمن إلى تقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة، والساعة إلى ستين دقيقة ولدقيقة إلى ٦٠ ثانية، ولا يعرف علماء العالم الذين تعودوا على ذلك التقسيم سر اختيار المصريين القدماء لتلك الأرقام العددية فى حساب الزمن.

● تبعاً لعلاقة التقويم بمتغيرات الحياة المرتبطة بالنيل، فقد تعلم المصرى القديم الاحتفال بالأعياد، وفى مقدمتها أعياد النيل لما يجلبه من خيرات؟

أول عيد احتفلت به مصر، كان عيد رأس السنة احتفلت به عام ٤٤٥٠ ق.م، فى عهد الملك تحوتى ثانى ملوك الأسرة الأولى، الذى أطلق على نفسه اسم تحوتى تيمناً بالإله تحوت، الذى أنزل التقويم. ويعتبر عيد رأس السنة المصرى، أول الأعياد التى عرفتها البشرية.

وقد ارتبط بعيد رأس السنة الذى كان يستمر خلال الأيام الخمسة فى التقويم عدة أعياد على توالى أيام العيد، وهى عيد الحب والزواج بمعبد دندرة، وعيد الختان بمعبد أدفو، ثم تتوالى الأعياد على مدار السنة منها عيد الشجرة (شجرة أوزوريس)، وعيد الأم، وعيد عصير العنب، وعيد الربيع (شم النسيم)، وعيد وفاء النيل، وعيد الحصاد، وأعياد النصر وأعياد المعبودات المحلية.

كان النيل مسرحاً لأعيادهم، يحتفلون بها على ظهر كل قارب وشراع يتهادى على صفحته الفضية، ويذوب خريره فى نغمات الناى والقيثار بين الرقص والغناء، وتمضى الأعياد بين مائه وسمائه.

حتى الأعياد الدينية، كانت يحتفل بها على السفن النيلية، التى تتهادى على صفحة النيل، حاملة الكهنة لمحتفلين من معبد إلى آخر، رحلات أعياد تزاوج المعبودات.

فأعيادنا اليوم هى امتداد مصر القديمة فى مصر المعاصرة. وما وصل إلينا وظل يصاحبنا عبر الزمان من عادات وتقاليد وطبائع، لم يمح معالمها اختلاف العصور، ولا تغير العقيدة، ولا فسحة الدهر عبر مشواره الطويل.

مولد القاهرة الحديثة

إن شهادة ميلاد مدينة القاهرة التى نعيش فيها اليوم، تشير إلى أنها ولدت عام ١٨٦٣م، فمعالمها التخطيطية والعمرانية ماهى إلا ثمرة برنامج تكوينى عمرانى وإنشائى شامل ومتكامل، وضع لمدينة يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة، ليصل فى نهايته العظمى إلى سبعمائة ألف ساكن، خلال نصف قرن من الزمان، وتمتد حدودها لتعبر نهر النيل لتغطى مساحة تزيد على أربعة أمثال مساحتها القائمة.

كان ذلك عندما تولى الخديو إسماعيل الحكم، وكانت القاهرة لا تزيد على مدينة صغيرة تمتد من سفح المقطم والقلعة وتنحدر غربا، لتنتهى عند ميدان العتبة الخضراء الذى كانت تحتله مجموعة من الخرائب والمقابر المعروفة بترب المناصرة، وترب الأزبكية، تكملها سلسلة من المستنقعات والتلال التى تمتد حتى تصل إلى شاطئ نهر النيل.

بينما كانت صور القاهرة التى عرفها العالم الغربى القديم، تضم مناظر القلعة والمآذن وهى تطل على النيل الساحر، كانت القاهرة نفسها تبتعد بأسوارها المقفلة ما يزيد على الأربعة كيلومترات.

لم يكن النيل فى موضعه الحالى، بل كان فرعه الرئيسى يمر بمنطقة الجيزة وبولاق الدكرور والدقى وصولا إلى شمال إمبابة وبولاق.

كانت القاهرة يفصلها عن العالم الخارجى مجموعة من الأسوار والبوابات التى تنتمى إلى مختلف العصور المصرية والرومانية والعربية.

لم يكن للمدينة مداخل مفتوحة واقتصرت مداخلها على بواباتها المقفلة، لم يكن بالقاهرة مجار عمومية، فكانت خزانات مجاريها تطفح فى أثناء الفيضان وتختلط مياهها بمياه البرك التى تغذيها بمياه الشرب.

لم يكن بالقاهرة مياه جارية للشرب، فكان الماء ينقل إليها بواسطة السقائين من البرك الآسنة والمستنقعات.

لم يكن بالقاهرة ما ينير شوارعها وأحياءها من المصابيح، ولم يكن بمدينة القاهرة ما تحتاج إليه عاصمة للبلاد من مبانى الخدمات الرئيسية العامة.

هكذا كانت القاهرة عندما تسلمها إسماعيل باشا.. هاله أن يجد القاهرة عاصمة بلاده.. وقبلة أنظار العالم قد بدأت فى الانحلال.

لجأ إسماعيل باشا إلى صديق شبابه الإمبراطور نابليون الثالث، ليعاونه فى إعادة تخطيط عاصمة بلاده، وذلك بتكليف مهندس التخطيط العالمى «هاوسمان» الذى بلغت شهرته الآفاق عندما قام بتخطيط باريس التى أصبحت حديث عالم تخطيط المدن، كأجمل عاصمة فى الغرب.

طلب إسماعيل باشا من هاوسمان أن يخطط له القاهرة، لتعكس صورة باريس التى قضى فيها فترة شبابه، وما تربطه بها من ذكريات.

باريس بمختلف معالمها ومبانيها العامة وغاباتها ومسارحها.. بل ونهر السين الذى تحيا المدينة على ضفتيه.

فحقق «هاوسمان» تلك الأمنية.. أو المعجزة الفنية، فظهرت القاهرة التى أطلق عليها اسم «باريس الشرق» لتحتل مكانها على خريطة العالم الحديث بين عواصم العالم الكبرى.

لقد أطلق على التخطيط الشامل والمتكامل لبعث القاهرة وإعادة تعميرها اسم «برنامج المشروعات السبعة»، لأنه يتكون فى تخطيطه المدنى من سبعة مشروعات حيوية ضخمة، يسيطر كل منها على منطقة بأكملها، ويضم بين طياته ناحية مهمة من نواحى الإصلاح وارتبطت تلك المشروعات السبعة بعضها مع البعض، لتكون أكبر مشروع تخطيطى مهد لأوسع تطور عمرانى، مرت به القاهرة عبر تاريخها المعمارى الطويل.. ويمكن تلخيص تلك المشروعات فيما يلى:

١ ـ مشروع تحويل مجرى النيل:

كان المجرى الرئيسى يمر فى الجهة الغربية محاذيا شارع الدقى الحالى، مارا ببولاق الدكرور وإمبابة والعجوزة، فتم نقل مجراه الرئيسى، ليحتل مكانة فى التخطيط الجديد فى وسط القاهرة، بدلا من ابتعاده عنها، بدأت عملية التحويل فى أواخر عام ١٨٦٣ وتم تنفيذها فى عام ونصف، عندما حفر النيل مجراه الجديد بنفسه بفضل بناء السدود التى حولت وحددت مسار مجراه.

لقد ترتب على نقل مجرى النيل نشأة المنطقة الغربية التى نتجت عن ردم مجراه القديم وتخطيطها، لتمتد إليها حدود القاهرة الجديدة، مع الانتهاء من حفر مجرى النيل الجديد، وتثبيت شواطئه، أقيم فوقه أول كوبرى يربط

شاطئيه أو جناحى المدينة، وهو أول كوبرى أقيم على النيل من منبعه إلى مصبه، قامت بإنشائه شركة «فيف ليل» الفرنسية، ويبلغ طوله ٤٠٦ أمتار، وبه فتحتان ملاحيتان لمرور السفن، واستغرق العمل فى إنشائه عاما ونصفا، وزين مداخلا الكوبرى بأربعة سباع برونزية، أطلق العامة بسببها اسم «أبو السباع» على إسماعيل باشا.

٢ ـ منطقة الأزبكية:

كانت مقابر غرب القاهرة القديمة تحتل منطقة العتبة الخضراء الحالية امتدادا إلى بركة الأزبكية وجامع السلطان أزبك الذى سميت المنطقة باسمه، وهى مدافن ترب المناصرة وترب الأزبكية، وهى المدافن التى كانت تعوق امتداد القاهرة فى اتجاه النيل، فكان فى مقدمة برنامج التخطيط، إزالة المدافن والمستنقعات والخرائب المحيطة بها، لتفسح الطريق أمام التخطيط الجديد، حيث تعتبر تلك المنطقة نواة أو عصب المدينة الجديدة، وصدر القرار بنقل المقابر حفاظا على حرمتها، نظرا لما تعرضت له من إهمال وتلف، فصدرت أوامر الخديو بإنشاء حوض كبير نقلت إليه عظام المقابر، ليقام فوق الحوض مسجد للصلاة تكريما لحرمة أصحابها وإرضاء للمواطنين وأطلق على المسجد اسم مسجد العظام وهو الاسم المعروف به إلى الآن.

أما بركة الأزبكية وما كان يحيط بها من مستنقعات، فقد ردمها التخطيط برمال التلال المحيطة بها، فتم تحويل جزء منها إلى حديقة عامة، غرست فيها الأشجار النادرة التى جلبت من جميع أنحاء العالم، تحت إشراف المهندس الفرنسى باريل بك، لتتحول إلى متنزه عام مساحته ٢٠ فدانا لتكون بمثابة رئتى القاهرة ،ونقل تصميمها بما تحويه من نافورات وبرك للطيور وأحواض للنباتات النادرة، بل بما يحيط بها من أسوار معدنية وبوابات زخرفية، لتكون صورة طبق الأصل من حديقة لوكسمبرج الشهيرة التى تتوسط باريس، وأطلق على الحديقة اسم حديقة الأزبكية نسبة إلى اسم البركة والمنطقة التى أقيمت مكانها.. وامتد تخطيط المنطقة إلى الجزء المعروف حاليا بشارع وجه البركة شمالا، والأجزاء الجنوبية منها إلى ميدان التياترو، الذى سمى فيما بعد عند افتتاح دار الأوبرا بميدان الأوبرا.. وبعد إنشاء حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا، خططت المنطقة بأكملها بما فى ذلك شارع كلوت بك وميدان العتبة الخضراء أى عتبة الدخول إلى الجنة، وأقيم فى وسط الميدان تمثال إبراهيم باشا الذى نقل فيما بعد إلى ميدان الأوبرا.. ومن ميدان العتبة تم شق الشوارع الرئيسية التى تخترق الأحياء القديم وتصل قلب القاهرة الحديثة بكل من، حى القلعة وقصورها وأطلق على الشارع اسم «شارع محمد على»، ثم شارع الموسكى الذى يربط القاهرة القديمة بالمنطقة الشمالية واتخذ الشارع والحى اسمه من قنطرة وقصر «موسك بك» الذى تحولت به قنطرة الخليج المصرى إلى مدخل للشارع والحى.

أما المبانى الرئيسية العامة التى فرضها التخطيط ومتطلباته العمرانية والتى ضربت رقما قياسيا فى سرعة إنشائها وإعدادها وتجهيزها التجارى التخطيط نفسه، وسرعة تطورها وتشمل «دار الأوبرا» التى تصدرت الميدان الذى يحمل اسمها استغرق بناؤها وتجهيزها ستة أشهر، أشرف على إعدادها شارل جارنيه منشئ دار الأوبرا فى باريس، وتم افتتاحها عام ١٨٦٩ ، كما أقيم بالمنطقة «مسرح الكوميديا» مماثلا لمسرح الكوميدى فرانسيز فى باريس وتمت إقامته فى ثلاثة أشهر، وكان موقعه مكان دار البريد الحالية، واحتفل بافتتاحه عام ١٨٦٨ . كما أقيم بميدان الأوبرا أول فندق للسياحة والضيافة، أطلق عليه اسم «نيوأوتيل» وهو المعروف حاليا باسم «فندق الكونتننتال»...

٣ ـ منطقة عابدين:

كانت منطقة عابدين ـ قلب القاهرة ـ عبارة عن مجموعة من البرك الراكدة منها بركة الفراعين، وكانت تقع مكان ميدان سراى عابدين، ثم بركة السقايين، وبركة الفوالة، وبركة الرطل، وبركة الفيل، وبركة الناصرية، ومجموعة

كبيرة من البرك الصغيرة والمستنقعات، تتخللها سلسلة من الهضاب والمرتفعات وكثبان الرمال والقلاع، تمتد من منطقة السيدة زينب الحالية إلى نهاية شارع المبتديان. فاحتوى التخطيط تسوية تلك الهضاب والمرتفعات،، وردم البرك بأتربتها، فأصبحت تلك المنطقة بعد تخطيطها من أجمل أخطاط القاهرة الجديدة.

اشتمل برنامج التخطيط على نقل مقر الحكم، بعد أن كان فى القلعة وفى أطراف المدينة إلى مقره الحالى فى وسطها النابض، فاختار له المخطط موقعا كانت تحتله أطلال قصر عابدين بك أحد المماليك، الذى يطل على بركة الفراعين، التى تم ردمها لتتحول إلى ميدان للقصر، تبلغ مساحته تسعة أفدنة، أقيمت على أحد جوانبه قشلاقات الحرس، تم بناء القصر وافتتاحه عام ١٨٧٤، وطلب إسماعيل باشا أن يحتفظ القصر والميدان باسم «عابدين»، لأن ذلك الاسم ملك لتاريخ القاهرة والمنطقة ورفض أن يحمل اسم مؤسسه.

من أهم الشوارع التى تم خطها لتربط الميدان بالمناطق الأخرى، شارع عابدين، وشارع عبدالعزيز الذى سمى بهذا الاسم نسبة إلى السلطان عبدالعزيز التركى، بمناسبة زيارته لمصر فى عهد إسماعيل باشا واشتراكه فى افتتاحه.

٤ ـ منطقة الشاطئ الشرقى:

تعتبر تلك المنطقة أكثر مشروعات التعمير والتخطيط حيث وصلت القاهرة القديمة بشاطئ النيل، بدأ مشروع التخطيط بإزالة جميع التلال والهضاب واستعمال أتربتها فى ردم البرك والمستنقعات، التى كانت تمتد من شارع عماد الدين وامتداده المعروف حالياً بشارع محمد بك فريد وبين شارع الملكة وماريت باشا، وجنوباً إلى قصر العينى وتشمل أخطاط التوفيقية، والإسماعيلية، ومعرروف، وباب اللوق، والدواوين، والجوياتى، والقاصد، والإنشا، والمنيرة، ولكل من تلك الأسماء أصل تاريخى مرتبط بالزمان والمكان وبيئة المجتمع، يتوسط التخطيط ميدان الإسماعيلية (التحرير حالياً)، الذى طلب إسماعيل باشا تخطيطه مشابها «لميدان الاتوال» فى باريس، من حيث شكله وأبعاده ومحاور الشوارع التى تصب فيه، والميادين الداخلية التى يلتقى بكل منها، وهى ميادين سليمان باشا، وشامبليون، والكبرى، ولكل من تلك الميادين مثيل فى تخطيط باريس.

وقد وصف على مبارك باشا ذلك المشروع فى كتاب الخطط التوفيقية بقوله: «وكان بهذه المنطقة كثبان أتربة وبرك ومياه آسنة ومستنقعات وأراضى سباخ، فلما جاء الخديو إسماعيل أمر بإزالة هذه الكثبان وردم البرك، وتمهيد جميع الأرض وتخطيطها إلى شوارع وميادين، وجعلت منازلها منفردة عن بعضها، ودكت أرض شوارعها بالدقشوم، وأنشئت الأرصفة على جانبى كل شارع منها، وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات ومدت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها وتزويد مساكنها بمياه الشرب، ونصبت فيها فوانيس الغاز لإضاءتها وتنويرها، وعهد إلى إحدى الشركات الإنجليزية، لعمل مشروع لصرف المجارى فأصبح خط الإسماعيلية من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها.

عندما وصل التخطيط إلى شاطئ النيل، أقام الخديو إسماعيل سراى الإسماعيلية على الضلع الجنوبى، للميدان وقد هدمت السراى فى عهد الاحتلال الإنجليزى، ولم يبق من السراى إلا المسجد الذى كان ملحقاً بها، كما أقيمت مجموعة من القصور مطلة على النيل، أهمها قصر الدوبارة، والقصر العالى، يضمهما سور مرتفع يطل على شارع قصر العينى، وقد هدمت القصورحوالى عام ١٩٠٠ وقسمت أراضيها، وتحولت فى عهد الاحتلال إلى المنطقة المعروفة حالياً باسم جاردن ستى، وهو الاسم الذى أطلقه عليها الإنجليز عند تخطيطها.

٥ ـ الشاطئ الغربى:

عندما تم تحويل مجرى النيل، تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء، أراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وشارع النيل (البحر الأعمى سابقاً)، تمتد من الجيزة وإمبابة فى الطول ومن شاطئ النيل القديم شرقاً إلى بولاق الدكرور والعجوزة غرباً.

فقامت إحدى الشركات المشتركة، بردم الجزء الجنوبى بين مدينة الجيزة وشارع ثروت، بلغ ارتفاع الردم فى معظم أجزائها ما يزيد على المترين، أما المنطقة البحرية الممتدة إلى إمبابة فقد طمت أرضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ما عليها من طمى. قام التخطيط بتحويل القسم الجنوبى منها إلى أورمان، أى غابة مماثلة لغابة بولونيا المشهورة فى باريس، قام بتخطيطها وتنسيقها «باريل بك»، الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية، تبلغ مساحة تلك الغابة ٤٦٥ فداناً جلبت لها مجموعة نادرة من الأشجار من آسيا وأوربا وأمريكا،كما أقيمت على جزء منها حديقة الحيوانات، وتمتد الحديقة حتى تصل إلى سراى الجيزة بمبانيها الفخمة التى كانت تقع موضع مخازن الترام وشارع المدارس كما أقيم بالتخطيط مجموعة من المبانى الإدارية والخدمية العامة كمدرسة المساحة ومدرسة الحرف.

٦ ـ منطقة الزمالك والجزيرة:

وهى الجزيرة التى تتوسط النيل، والتى تكون شكلها الحالى نتيجة لتحول مجرى النهر وتياره، فكان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد، أن تراكم الطمى والرمل بالجزء الشمالى من الجزيرة، الممتد من شارع الزمالك الحالى إلى طرف الجزيرة، بالقرب من جزيرة وراق الحضر، والتى تحولت إلى مصيف للحرس وسكان القاهرة، فصدر أمر الخديو بعدم إقامة أى مبان أو منشآت بالشاطئ سوى «الزمالك» والزمالك لفظ ألبانى معناه العشة أو كشك الاستحمام، فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم «الزمالك»، ثم أطلق فيما بعد على الجزيرة بأكملها فسميت بجزيرة الزمالك. لم يشيد على الجزيرة وشاطئها الشمالى من المبانى سوى قصر للضيافة فى الموقع الذى تحول إلى ناد للضباط الموجود حالياً. وتم تخطيط باقى الجزيرة، وأقيم على شاطئها الشرقى عام ١٨٦٨ سراى الجزيرة، التى شيدت لنزول الإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث، الذى قدم له يد المساعدة فى تخطيط وتعمير مدينة القاهرة عاصمة البلاد، وتحقيق حلمه، لتصبح «باريس الشرق»، وذلك بالعمل على إرسال مجموعة من الخبراء والمهندسين الفرنسيين الذين أسهموا فى تخطيط باريس نفسها، والشركات الفرنسية التى أسهمت فى تنفيذ الأعمال المدنية والمنشآت العمرانية والقصور والتى تمت جميعها فى زمن قياسى، كان حديث العالم أجمع، بالإضافة إلى معاونته بالقروض اللازمة التى قام باستغلالها لحفر قناة السويس وترعة الإسماعيلية وبناء القاهرة، وقد أعدت سراى الجزيرة لنزول الإمبراطورة، بمناسبة زيارتها لمصر لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس، وتحولت بعدها إلى قصر للضيافة لكبار الزوار. وهو القصر الذى تحول أخيراً إلى فندق ماريوت السياحى.

٧ ـ منطقة شمال القاهرة ومداخلها:

كان أول ما يستقبل الزائر أو السائح الأجنبى، عند وصوله إلى مدينة القاهرة عن طريق السكة الحديد التى تم توصيلها إلى مدينة القاهرة الجديدة، (وتعتبر مصر ثانى دولة أدخلت إليها السكة الحديدية بعد إنجلترا) ـ كانت تستقبل السائح منطقة الفجالة التى اشتهرت بمزارع الفجل وحقوله التى تغذى أحياء القاهرة الفقيرة ووضعها الأجانب فى دعاياتهم المغرضة، بأنه الغذاء القومى لمصر، ولذا أطلق على تلك المنطقة اسم الفجالة نسبة إلى زارعى الفجل، الذين كانوا يسكنون قرية خربة تسمى كوم الريش، تحولت إلى مجموعة من الخرائب والأطلال، يسكنها الخارجون على القانون، فبدأت مهمة التخطيط بإزالة المزارع والمستنقعات التى تحيط بها وردمها برمال الأكوام والتلال التى كانت تغطى موقع ميدان المحطة

الحالى، وتم تسوية وتخطيط المنطقة الممتدة من حى الفجالة الذى اتخذ اسمه من مزارع الفجل والسكاكينى التى كان يحتلها قصرو السكاكينى بك، وتسوية المنطقة بأكملها بما فيها ميدان المحطة الحالى الذى أقيم به أول محطة للسكة الحديد بالقاهرة الجديدة، وقسمت أرض المنطقة لتتحول إلى حى من أجمل أحياء السكن بالقاهرة، وصفها أحد الكتاب بقوله : «إن مزرعة الفجالة تحولت إلى مزرعة للقصور، التى حولت الحى إلى أجمل أحياء السكن بالقاهرة».. وامتد التخطيط جنوباً ليتصل بمنطقة الأزبكية، بعد إزالة «ساحة مناخ الجمال»، ومنطقة مدابغ القاهرة، واخترقت كلا منهما الشوارع الرئيسية التى حمل كل منهما اسم المكان، وهما شارع المناخ وشارع المدابغ (سابقا)، بعدما غير المعاصرون أسماءهما أكثر من مرة أسوة بغيرهما من الشوارع والأحياء، كان اسم كل منها بمثابة وثيقة ناطقة فى سجلات تاريخ المدينة، تحكى أصالة تاريخها.

اشتهرت شبرا منذ عهد محمد على باشا بحدائقها ومزارعها النضرة، وكانت تعتبر مكاناً للرياضة والنزهة خارج المدينة، واسم شبرا مصرى قديم بمعنى الحدائق، كما وجد له اسم مرادف فى اللغة الألبانية يحمل نفس المعنى، خاصة أن القاهرة تحمل كثيراً من الأسماء التركية والألبانية كالزمالك والأورمان وغيرها.

كان شارع شبرا من أجمل شوارع القاهرة الجديدة، اشتهر بأشجاره الباسقة المزهرة التى زرعت على جانبيه وتشابكت أغصانها فحولته إلى خميلة مسقوفة، تبارى الشعراء الأجانب فى وصفها، والفنانون فى تصويرها. وامتد التخطيط على جانبى الشارع فتحول الحى الشرقى من الشارع إلى حى اجتذب الكثير من الأسر الكبيرة، من بينها قصر زينب هانم ينت محمد على، وقصر اينجه هانم أرملة سعيد باشا وقصر شيكولاتى وقصر النزهةوغيرها من القصور، ومازالت شوارع الحى تحتفظ بأسماء القصور التى كانت تطل عليها، كما امتد التخطيط غرب الشارع ليصل إلى منطقة بولاق الذى كانت تتوسطه بحيرة، كما أن الشوارع المحيطة به كشارع الترعة البولاقية، وروض الفرج وعشرات غيرها من الأسماء، ارتبط كل منها بأحداث الزمان والمكان.

● منشآت ثقافية وخدمية:

إذا انتقلنا إلى العناصر العمرانية التى ارتبطت بالتخطيط، وأكدت مولد المدينة ككائن عضوى حى متكامل التكوين، فلم يكن برنامج التعمير مقصوراً على بناء القصور، كما صورته الدعايات كقصور عابدين، والقبة، والزعفران، والجزيرة، والتى ما تزال تقوم بدورها الحضارى إلى الآن، والتى تبادلتها مختلف عهود الحكم، بل تكامل التعمير نفسه بمنشآت الثقافة الحضارية، والخدمات العامة، فاحتل كل منها مكانه الطبيعى فى المدينة الجديدة، متوازياً مع تخطيط مناطقها وأحيائها، فبينما كانت عواصم العالم الكبرى تفخر كل منها بإقامة متحف للآثار المصرية، كانت مصر نفسها تفتقر إلى وجود متحف تحفظ فيه كنوز آثارها التى تتسرب من مصر لتجد لها مكاناً فى تلك المتاحف الأجنبية. فكان فى مقدمة المشروعات التى تضمنها تخطيط القاهرة الجديدة، إقامة متحف للآثار (الانتيكخانة) مشابهة لمتحف اللوفر بباريس، كما أقيمت دار مستقلة للآثار العربية، كما أقيمت دار للكتب، أسوة بمكتبة باريس المشهورة، جمع فيها ماتشتت من الكتب التى كانت تحتفظ بها قصور الأمراء، وأضاف إليها نحو ألفى مجلد من المخطوطات العربية والفارسية، اشتراها إسماعيل باشا من تركة المناسترلى باشا، وأهدى للمكتبة مجموعة من الكتب والمخطوطات القيمة التى تركها أخوه الأمير فاضل... كما أرسل مجموعة من البعثات الخاصة تطوف بلاد العالم لتجمع نفائس الكتب بمختلف اللغات، وأسهمت مكتبة باريس بإهداء المكتبة أو دار الكتب المصرية مجموعة من الكتب والمؤلفات التى تحتفظ بأكثر من نسخة منها، وذلك فى

مناسبة افتتاح الدار، التى ألحقت بها دار للطباعة والنشر، أسست لها أول جمعية علمية مهمتها نشر الثقافة تحت رئاسة محمد عارف باشا.

• الآثار الدينية والاهتمام بها:

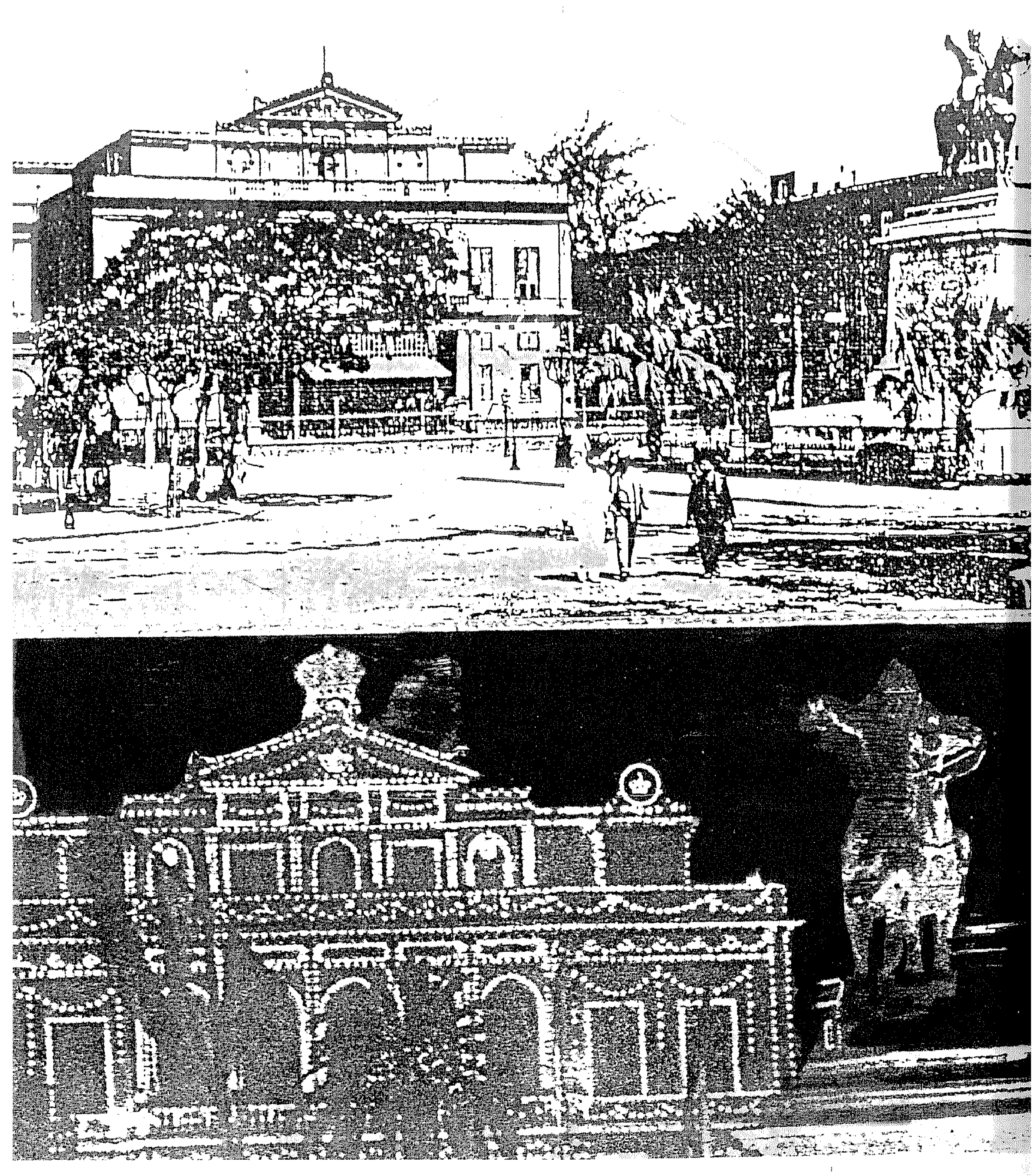
لم يغفل التخطيط الجديد الاهتمام بالآثار الدينية ومواقعها فى المدينة الجديدة. فأمر إسماعيل باشا ببناء مسجد كبير حول ضريح سيدنا الحسين قام بتصميمه على مبارك باشا، وشيد أبوابه الرخامية الثلاثية التى تطل على خان الخليلى والميدان الخاص بالمسجد بساحاته الواسعة، التى تفصله عن الأزهر، وتسمح بتجميع الزوار فى المناسبات الدينية، وقام العمل نفسه ببناء مسجد مماثل يضم ضريح السيدة زينب، وخطط له ميداناً خاصاً، يعد من أكبر ميادين القاهرة الشعبية، وهو ميدان السيدة زينب الحالى، كما أنشأ فى الجهة القبلية لقصر عابدين جامعاً خاصاً مرتفعاً بدرج ،وكان يصلى فيه صلاة الجمعة مع الشعب.

• إن تاريخ المدن منقوش على حوائط مبانيها ومكتوب على نواصى شوارعها ودروب حواريها.

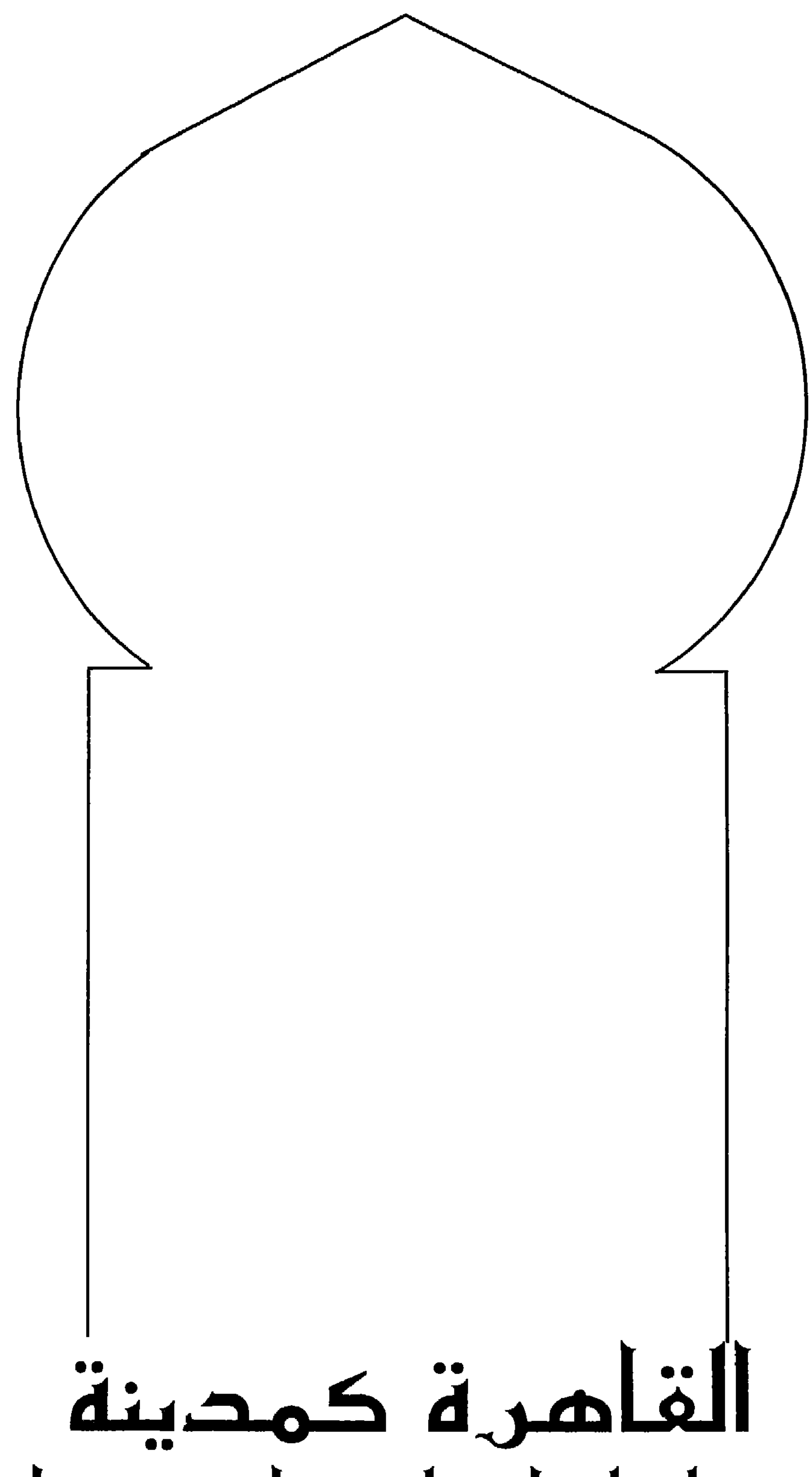
فتلك النقوش التى تحمل أسماء الأشخاص والأماكن والمعالم، هى صفحات تاريخ حياة المدينة، والعبث بها عبث بالتاريخ وأصالة الحضارة، فالثورة الفرنسية عندما اجتاحت باريس، وقتلت ملوكها، وشردت أبناءها، لم تحاول أن تقتل تاريخ مدينتها، فعندما احتلت الثورة القصر الملكى لتحوله إلى مجلس الشعب، احتفظ المجلس باسم القصر الملكى (البالية روايال) كتلك القصور التى تحولت إلى متاحف أو مؤسسات، احتفظت جميعها بأسماء أصحابها، كما هو الحال فى متحف اللوفر أكبر متاحف باريس، وحافظت الثورة على تماثيل الملوك والعظماء التى تزين ميادين باريس، وأقاموا للثورة تماثيل تمجدها فى الميادين التى لم تكن بها تماثيل، مع احتفاظ الميادين بأسمائها الأصلية، هكذا احتفظت باريس مدينة النور بأصالة تاريخها، لم تحاول أى من الثورات القديمة أو الحديثة التى اجتاحتها أن تعبث به أو تحاول الاعتداء عليه.

إن ذاكرة التاريخ لا تنسى ما قامت به ثورة منف، فى أعقاب الأسرة السادسة، التى أطلق عليها المؤرخون اسم «ثورة الرعاع» وسجلها تاريخ مصر باسم عصر الاضمحلال التى قام فيها حكام الثورة بعمل مماثل ـ احتلوا القصور ومحوا أسماء أصحابها، ونسبوها لأنفسهم وتتابع حكام الثورة ليقوم كل منهم الدور نفسه ،فيمحو اسم من سبقه من على القصور والمبانى، لينسبها لنفسه، وامتد ذلك إلى القبور والتماثيل، كما أتى وصفه فى برديات الحكيم «ايبيوور»، الذى كتب تاريخ الثورة بقوله «لقد تبادلوا القصور وتبادلوا القبور وتسابقوا فى تحطيم تماثيل من قبلهم ،لوضع تماثيلهم بدلاً منها. وهكذا سقطت صفحات من تاريخ مصر فى عهد الثورة، سقطت معها أسماء سبعين حاكماً توارثوا الحكم، ومحا التاريخ أعمالهم وما خلفته الثورة التى استمر حكمها مائة وخمسين عاماً وصف تاريخ الحضارة المصرية عهدها باسم «عصر الاضمحلال».

لقد آن الأوان لنعيد للقاهرة رد اعتبارها، وإعادة الصفحات التى انتزعت من سجل تاريخها لتأمين أصالة تاريخها، بعودة الحق إلى أسماء شوارعها ومنشآتها وأحيائها الأصلية، وإعادة تماثيل من أسهموا فى بنائها وبناء نهضتها العمرانية لتعود إلى الميادين التى كانت تحمل أسماءها.



افتتاح دار الأوبرا عام ١٨٦٩



القاهرة كمدينة

تخطيطها: تطورها: توسعها

تمر القاهرة «عاصمة الشرق» فى حاضرها خلال مرحلة حاسمة، من مراحل الانتقال فى التاريخ العمرانى، تلك المرحلة التى يسميها متخصص تخطيط المدن بمفترق الطرق، فهى تعتبر بالنسبة لمدينة القاهرة ـ سلاح ذو حدين، قد يحسن استغلاله فينقذ المدينة من الهوة التى سقطت فيها، ويحقق ما نتمناه لها من مستقبل يحافظ على اسمها القديم وسمعتها الماضية. كما قد يساء استعماله، فيعمل على سرعة انهيارها وتحولها إلى خرائب (Stums) يصعب التغلب عليها ووقف زحفها.

تتصف تلك المرحلة بالانتقال المفاجئ والسريع فى عدد السكان، حيث قد وصل إلى ما يقرب من الضعف خلال عشر سنوات ـ وهو رقم قياسى... ثم القوة البنائية أو الحركة الإنشائية السريعة التى تسيطر على جميع أنحائها ونواحى اتساعها. تلك الحركة التى لا تقاس بها أية حركة مماثلة فى عواصم العالم الأخرى ـ حتى التى تخربت بفعل الحرب. وقد نشأت تلك الحركة نتيجة للعجز الكبير فى المساكن والمبانى التجارية بأنواعها لمختلف طبقات السكان، بجانب الانحلال السريع فى حالة المبانى بالأحياء الوطنية، ثم الاستغلال الاقتصادى لرءوس الأموال التى توافرت بفعل تضخم النقد.

فماذا أعددنا من عدة لمواجهة المرحلة الحاسمة فى تاريخ المدينة؟

ماذا أعددنا من عدة لاستغلال ذلك السلاح حتى لا يساء استعماله؟

إن من يلق نظرة فاحصة على ما وصلت إليه مدينة القاهرة ومرافقها العامة، ويقارن بين حالتها اليوم وما كانت عليه قبل الحرب، سيصطدم بتلك الهوة السحيقة التى تردت فيها، وطابع الارتجال الذى يسيطر على تطورها العمرانى والتخطيطى، فهنالك أموال تصرف ومجهودات تستنزف كل عام ـ وضرائب تفرض، ومشروعات يعلن عنها كل يوم. ومع ذلك فالمشاهد أن المدينة وطرقاتها وأحياءها ومرافقها تسير من سيء إلى أسوأ.

إن العامل الأساسى فى هذا الارتجال معروف، وهو أننا نتعجل دائماً بوصف العلاج قبل أن تشخص الداء نفسه، ونحدد موضع العلة.

إن سبب العلة معروف، هو أن القاهرة لم يعمل لها للآن ما يسمى بالبرنامج العمرانى الشامل، أى وضع هيكل تكوينى كامل يسيطر على المدينة بأكملها، وتمتد حدوده أو مناطق نفوذه، وبرنامج تكوينه، ودورة حركته ـ لا إلى احتياجات اليوم ومطالب اليوم، بل إلى ماهو أبعد من احتياجات الغد القريب (حيث بقدر الحد الأدنى لحدود الهياكل التكوينية التى وضعت حديثاً فى كثير من دول العالم بما لا يقل عن الخمسين سنة)، بذلك فقط يمكن ضمان حياة المدينة ومرافقها واستمرار نموها، وعدم تعرضها لعوامل الانحلال العمرانى المختلفة، مع مسايرتها للتطور فى جميع نواحيه.

يتكون الهيكل التكوينى من مجموعة من الشبكات المستمرة الخاصة بالنقل والانتقال والتموين والمواصلات، وما يرتبط بها من شبكات الطرق والشوارع والميادين والكبارى، ووسائل النقل المعلقة والأرضية والسفلية، ثم شبكات توزيع الأحياء السكنية واتصالها ببعضها وبقلب المدينة، أو بحيها التجارى والإدارى. ثم التطور العمرانى وتوسعه داخل الأحياء نفسها مع ضمان بقائها صالحة للسكن، بحيث لا تتعرض لمختلف عوامل الانحلال تم توزيع شبكات المياه والإنارة والمجارى بالنسبة للتطور العمرانى لتلك الأحياء.

كذلك شبكة العلاج مع هيكل تكوينها المتصل بما تشتمل عليه من وحدات صحية وإسعافية ووقائية وعلاجية، حتى المستشفيات العامة اللازمة للمدينة بأكملها، مع تقدير القوة العلاجية وعدد الأسرة بالنسبة لعدد السكان، وتفاوت كثافتهم فى مختلف الأحياء، ومسافات انتقالهم ووسائل نقلهم، ثم الشبكة الثقافية بمختلف نواحى نشاطها لمختلف طبقات الأمة، وما يرتبط بها من مكتبات شعبية وعامة وصالات للسينما والمحاضرات لمختلف نواحى الثقافة المهنية والصحية والاجتماعية. وهناك الشبكة التعليمية، والشبكة الرياضية، والشبكة الاجتماعية، والشبكة الصناعية والمهنية، والشبكة الإدارية، والشبكة التموينية، التى تعمل كلها مجتمعة على هيئة تكوين فلكى مستمر الحركة (Planet System)، ذلك الهيكل التكوينى الذى يخضع تصميمه وتكوينه لمعادلات ثابتة تتكون من مختلف الإحصائيات والخطوط البيانية والجداول الحسابية والنتائج التقديرية التى تسيطر على عدد السكان فى المدينة بأكملها. وتوزيع كثافاتهم والزيادة النسبية فى عددهم، ونسبة تزايدهم فى مختلف أنحاء الشبكة، أى فى مختلف الأحياء مع مختلف نواحى نشاطهم الاجتماعى والثقافى، والصناعى، والمهنى، والعمرانى، والاقتصادى، ومستوى معيشتهم.

سيخضع التخطيط والتصميم نفسه فى كل خلية من خلايا الهيكل التكوينى، سيخضع لمنحنيات الخطوط البيانية الخاصة بكل ناحية من نواحى ذلك النشاط ومدى تأثر طبقات الشعب المختلفة ـ الاقتصادى والاجتماعى ـ بالمدنية العالمية وتطورها وتأثر المدينة بالتقدم العلمى والآلى، وما ينتظر منهما من تطور فى جميع مرافق الحياة.

يكمل الهيكل التكوينى الشامل برنامج اقتصاديات التعمير أو تدبير رءوس الأموال اللازمة لإخراج المشروع إلى حيز الوجود، واستمرار تقدمه ونمو جزئياته نمواً مضطرداً، ذلك البرنامج الذى تتحول المدينة بواسطته إلى مشروع إنتاجى استغلالى اقتصادى كامل، تغطى إيراداته تكاليف إنشائه ومصاريف صيانته واستهلاكه.

إن قاهرة اليوم بما تشتمل عليه من معالم تخطيطية وعمرانية رئيسية ما هى إلا ثمرة برنامج تكوينى شامل وضع لمدينة يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة، على أن يمتد اتساعها ليصل فى نهايته العظمى إلى سبعمائة ألف ساكن. مع ذلك فها هى قد استنفدت برنامج المشروع وتعددت، حدود اتساعاته، حتى بلغ عدد سكانها مليونين، وأمكنها بدفع برنامج الماضى أن تساير التطور العالمى كعاصمة للشرق لأكثر من ثمانين سنة.

كان ذلك عندما تسلم الخديوى إسماعيل مدينة القاهرة سنة ١٨٦٣، ولم تكن أكثر من مدينة صغيرة تمتد من سفح المقطم والقلعة، وتنتهى غرباً عند ميدان العتبة الخضراء بمجموعة من المدافن والخرائب، تكملها سلسلة من

المستنقعات والتلال، تمتد حتى تصل إلى شاطئ النيل. لم يكن النيل فى موضعه الحالى، بل كان فرعه الرئيسى يمر بمنطقة الجيزة وبولاق الدكرور والدقى، ممتداً إلى إمبابة فى حين كان فرعه الآخر الذى كانت القاهرة تطل عليه عبارة عن ترعة ضيقه تنحسر عنها المياه أكثر فصول السنة.

لم يكن بالقاهرة مياه جارية للشرب، فكان الماء ينقل إليها بواسطة السقائين من ذلك الفرع الآسن، ومن البرك التى كانت تحيط بها من كل جانب.

لم يكن بالقاهرة مجار عمومية، بل كانت خزاناتها تطفح أيام الفيضان وتملأ المدينة بالباعوض.

لم يكن بالقاهرة ما ينير شوارعها وأحياءها من المصابيح. ولم يكن بمدينة القاهرة ما تحتاج إليه مدينة كبيرة من المبانى الرئيسية العامة.

يتكون البرنامج التكوينى الشامل الذى وضع للقاهرة فى عهد الخديوى إسماعيل من سبعة مشروعات حيوية ضخمة، يمكن تلخيصها فيما يلى:

(١) **مشروع تحويل مجرى النيل:** وقد احتاج تحويل مجرى النيل من موضعه الأول بواسطة إنشاء حاجز لتحويل اتجاه التيار، وإقامة جسر يمتد من الجيزة إلى انبابة وبذلك انتقل فرع النيل الرئيسى إلى مجراه الحالى وردم الجزء الأكبر من مجراه الأصلى، وتحول جزء منه إلى مجرى ضيق وهو الذى تطل عليه منطقة العجوزة حالياً.

(٢) **المنطقة الشمالية:** وكانت تحوى حقول الفجل ومجموعة من التلال ـ أزيلت تلالها لتردم بها البرك الداخلية والمستنقعات، وخططت المنطقة لتحول إلى أحياء الفجالة والسكاكينى الذى كان يعد أحد أحياء الجاردن ستى الرئيسية وميدان المحطة، وأنشئ بها مدخل القاهرة الشمالى ومحطة القاهرة وشارع شبرا.

(٣) **منطقة عابدين:** كانت تلك المنطقة عبارة عن بركة كبيرة يطل عليها بيت عابدين بك وتحيط بها مجموعة من الخرائب شرقاً والمستنقعات غرباً ـ فردمت مستنقعاتها وردمت البركة لتتحول إلى ميدان، وأنشئ قصر عابدين مكان بيت عابدين بك، ثم خططت المنطقة بأكملها بما فيها من شوارع رئيسية معروفة للآن، أهمها شوارع عابدين وعبدالعزيز وإبراهيم باشا والخديوى إسماعيل، واشتمل المشروع ردم مجموعة من البرك الرئيسية التى كانت بالمنطقة كبرك الناصرية والسقايين والفوالة.

(٤) **منطقة الأزبكية:** وكانت تتوسطها أيضاً بركة كبيرة ومجموعة من المستنقعات فحولت إلى منتزه عام، ليكون بمثابة رئتى التنفس لأحياء القاهرة المكتظة بالسكان، واشتمل تخطيط المنطقة على كل من ميادين العتبة الخضراء والأوبرا والخازندار وشوارع كلوت بك وإبراهيم باشا، وما يمتد من ميدان الأوبرا من شوارع رئيسية تسيطر على جميع معالم القاهرة الحالية.

(٥) **منطقة الشاطئ الشرقى:** وتشمل توصيل القاهرة القديمة بشاطئ النيل بعد نقل مجراه، وتمتد من شارع عماد الدين الحالى، وشارع محمد بك فريد والملكة ومر بيت باشا إلى القصر العينى، وتشمل أخطاط الإسماعيلية والتوفيقية ومعروف وباب اللوق والدواوين والحوياتى والقاصد والإنشا والمنيرة، وميدان الإسماعيلية وما يتفرع منه من شوارع رئيسية. وقد تم رصف شوارع جميع المنطقة ودكها بالدقشوم وعمل الأرصفة ومدت فى جميعها مواسير مياه الرش للحدائق، وأضيئت جميع الشوارع بمصابيح الغاز.

(٦) **الشاطئ الغربى:** وهى المنطقة التى نشأت من تحويل مجرى النيل، وقد ردمت بارتفاع مترين تقريباً وتشمل المنطقة التى تقع بين شاطئ النيل الحالى وشارع المدارس وشارع الجيزة الرئيسى، ويشمل التخطيط إنشاء غابة كبيرة أو أورمان أسوة بغابة بولونيا فى باريس، لتكون متنفساً لسكان القاهرة، وأنشئت بها حدائق الحيوانات وسراى الجيزة، كما شمل المشروع مدخل القاهرة الغربى وهو طريق الأهرام.

(٧) **منطقة الجزيرة:** وهى التى تكون شكلها الحالى نتيجة لتحول مجرى النهر وتياره، وكان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد أن تراكم الطمى والرمل بالمنطقة الشمالية من الجزيرة التى تقع شمال شارع فؤاد الحالى، فحولها إسماعيل باشا إلى مصيف للقاهرة ولم يصرح بإنشاء أية مبان بها إلا أكشاك الاستحمام أى «الزمالك» فعرفت المنطقة من ذلك الوقت بذلك الاسم، وتحولت الجزيرة إلى مجموعة من الحدائق العامة، وضع لها تخطيط يشمل شارع الجزيرة الحالى، وكوبرى قصر النيل، وكوبرى الإنجليز، ثم شارع الجبلاية وشارع النيل، وأنشئ بها قصر إسماعيل الذى يطل على النيل.

يشمل مشروع قاهرة إسماعيل الشامل من المبانى الرئيسية العامة، دار الآثار الفرعونية أو الأنتيكاخانة، ودار الآثار العربية، ودار الكتب، ودار الرصدخانة بالعباسية، ومصلحة المساحة بالجيزة، والجمعية الجغرافية، ومدرسة المهندسخانة بالعباسية، ومحطة مصر.

ومن القصور قصر عابدين مقر الملك، وقصر الجزيرة، وقصر الدوبارة، وقصر الزعفران، وقصر الجيزة، ومجموعة كبيرة من قصور الأمراء.

ومن المسارح دار الأوبرا، ومسرح الكوميديا.

وقد حدد برنامج وموضع كل من تلك المنشآت ضمن تخطيط البرنامج الشامل.

شمل برنامج التجميل خلاف إنشاء الميادين الكبرى، إقامة مجموعة من التماثيل البرونزية فى وسط كل منها، تم منها تنفيذ كل من تماثيل إبراهيم باشا، وسليمان باشا، ولاظوغلى، كما امتدت مجموعة من الشوارع الحدائقية والرئيسية، لتربط مركز الحركة فى القاهرة الكبرى، وهو ميدان الأوبرا بمعالم القاهرة الأثرية الرئيسية، كشارع الأهرام الذى كان يعتبر من أجمل شوارع النزهة بمدينة القاهرة بأشجاره الضخمة. ثم شارع شبرا الذى يصل قلب المدينة بقصر محمد على، وشارع محمد على الذى اخترق المدينة القديمة ليصل إلى القلعة، ومجموعة المساجد الأثرية. وقد روعى أن يصبح كل منها فى الوقت نفسه مدخلاً من مداخل المدينة الرئيسية، ثم طريق حلوان الذى اتجهت نية المخطط إلى الاستفادة منها كمشتى علاجى للقاهرة، ليسترد شهرته العالمية القديمة.

كما شمل البرنامج الشامل تزويد القاهرة بشبكة لمياه الشرب.

وشبكة أخرى لمياه رى الحدائق.

وشبكة للمجارى.

وشبكة لإنارة القاهرة شوارعها وميادينها بالغاز.

وشبكة رصف الطرق وغرس الأشجار على جانبيها.

كما عمل على أن تمتد كل من تلك الشبكات إلى الأحياء الوطنية المقفلة.

● إن ذلك البرنامج الشامل الذى بلغت مساحة المنطقة التى يسيطر عليها أكثر من ألف فدان، قد ضرب رقماً قياسياً وخيالياً فيما احتاج إليه من وقت لإخراجه إلى حيز الوجود.

فطريق الأهرام: تم ردمه وتنفيذه فى ٣ أسابيع، أى فى أقل مما تحتاج إليه البلدية فى عصر السرعة لردم حفرة واحدة من الحفر التى تحفرها مصلحة المجارى لمد إحدى مواسيرها عبر الطريق.

ودار الكوميديا: تم إنشاؤها فى شهر واحد واثنى عشر يوماً، وهو يقل عما تحتاج إليه من وقت، لإزالة انقاض بيت من البيوت التى تتساقط من وقت لآخر على ساكنيها فى الأحياء الوطنية.

ودار الأوبرا: تم تنفيذها فى خمسة أشهر بما فى ذلك زخرفتها وتأثيثها.

وكوبرى قصر النيل: تم إنشاؤه فى سنة ونصف. ومجرى النيل نفسه تم تحويله فى سنتين.

وأخيراً احتاج تخطيط منطقة قلب القاهرة أى التى تمتد من ميدان الأوبرا إلى ميدان الإسماعيلية، إلى وقت يقل عما احتاجت إليه بلديتنا إلى تعديل وضع الجزيرة التى كانت تتوسط ميدان الإسماعيلية ونقلها إلى وضعها الحالى أى إلى ثمانية أشهر.

لقد سميت القاهرة عندما ظهرت فى ثوبها التخطيطى، باسم «باريس الشرق». ولم يكن الخديوى إسماعيل صاحب تلك التسمية من باب الدعاية والتفاخر كما يظن الكثير، وكما ذكرت كثير من صحف العالم ومؤلفاته التى ظهرت فى ذلك الوقت... ولكنها ترجع فى الواقع إلى رغبة الخديوى إسماعيل التى أبداها لمخططى القاهرة الكبرى، وهو أن يشتمل برنامج التخطيط على بعض المعالم الرئيسية لمدينة النور التى عاش فيها وقضى بها شطراً من شبابه، فتأثر بمعالمها وأعجب بهيكل تكوينها ــ تلك المعالم التى كانت فى الواقع الأوتاد الرئيسية لتخطيط مدينة القاهرة، والتى عكس تخطيطها وتكوينها كثيراً من معالم باريس، وحدد وجه الشبه بينهما فأطلق عليها مؤرخو تخطيط المدن عدة أسماء منها «باريس الصغرى» و«باريس الشرق».

لقد سجل التاريخ العمرانى رغبة الإسماعيل التى أبداها لمخططى مدينة القاهرة، فوضعت كنواة للمشروع وهيكله التكوينى، وتشتمل تلك الرغبة على مجموعة من المعالم التذكارية يمكن تلخيصها فيما يلى:

(١) إنشاء حديقة فى وسط القاهرة لأحيائها الوطنية، مماثلة لحديقة لوكسمبرج بأشجارها ونافورات مائها وأسوارها الحديدية الزخرفية وبواباتها المعدنية، لتكون بمثابة الرئة التى تتنفس منها الأحياء الوطنية الآهلة بالسكان... فكانت حديقة الأزبكية بمعالمها وأسوارها التى نقلت من حديقة لوكسمبرج.

(٢) أن ينتقل النيل ليمر من وسط القاهرة كنهر السين، الذى يخترق باريس، حتى تتمتع به المدينة وتشرف عليه قصورها وتمتد بطوله شوارعها وتعبره مجموعة من الكبارى والقناطر... فكان نقل مجرى النيل الرئيسى من موضعه وامتداد التخطيط ليعبر النهر، حتى تكون هناك مدينة الشاطئ الغربى ومدينة الشاطئ الشرقى والجزر العمرانية المتوسطة أسوة بباريس... كما اشتمل البرنامج على إنشاء أكثر من كبرى وقنطرة تربط طرفى المدينة الجديدة.

(٣) أن يصبح للقاهرة «أورمان» أو غابة أسوة بغابة بولونيا المشهورة خارج باريس، ليخرج إليها السكان بعرباتهم وجيادهم ويقضون فيها أعيادهم وحفلاتهم وعطلاتهم... فكانت أورمان الجيزة، أو حدائق الأورمان كما سميت فيما بعد، والتى أنشئت موضع مجرى النيل القديم بعد ردمه.

(٤) أن يكون للقاهرة عاصمة الشرق مسرحان عظيمان، يطل كل منهما على أحد ميادينها الكبرى، كمسرحى الأوبرا والكوميدى فرانسيز فى باريس... فكان أن تحققت رغبته فأنشئت دار الأوبرا مطلة على ميدان الأوبرا والكوميديا على ميدان العتبة الخضراء.

(٥) كان فى باريس متحفاً كبيراً للآثار الفرعونية، ولم يكن فى بلاد الفراعنة متحفا لآثارهم. فأنشئت الانتيكخانة.

(٦) وأخيراً كانت مداخل باريس التى توصل إلى قصورها الخارجية وآثارها. كل منها عبارة عن طريق كبير للنزهة تظلله الأشجار الكبيرة... فكان كل من شارع الهرم الذى يوصل إلى الأهرام. وشارع شبرا الذى يوصل إلى قصر محمد على. وشارع محمد على الموصل للقلعة وقصورها.

وهكذا ظهرت القاهرة بتخطيطها وهيكل تكوينها، فإذا هى قد عكست كثيراً. من معالم باريس المعروفة.

لو لم يكن هناك من ثمانين سنة تقريباً من يفكر بعقلية الغد، ليقترح تلك الاقتراحات ويبدأ الإصلاح بوضع البرنامج الشامل، لما كانت القاهرة كما هى الآن... ولما اختلف فى توسعها عن أحيائها الرئيسية التى كانت تتمثل القاهرة قبل ذلك المشروع، والتى تتمثل فى أحياء القلعة، وباب الشعرية، والموسكى، والأزهر، وكان شارع السكة الجديدة فى مقدمة شوارعها الرئيسية على حين أن شارع محمد على نفسه، لم يكن له وجود بوضعه الحالى.

إن أية محاولة لإصلاح مدينة القاهرة بغير وضع مشروع تكوينى شامل ومتصل الحلقات، سيعتبر ضرباً من الارتجال الذى تدفع المدينة واقتصادياتها ثمنه غالياً، كما أن كل محاولة لعرقلة المشروع سنة ستعطل الإصلاح عشرات السنين، نظراً لفترة الانتقال الطارئة التى تجمع بين زيادة السكان واضطراد التوسع القطرى للتخطيط وسرعة انهيار المرافق بجانب قوة التعمير الأهلى الطارئ.

ما من بلدية من بلديات العواصم العالمية، أو المدن الكبيرة التى تتحدث بجمالها، تعمل بدون برنامج تخطيطى شامل، يسبق احتياجات المدينة بعشرات السنين ـ لقد سمعتم جميعاً عن مشروع لندن الكبير (Greater London Plan)، ذلك المشروع العالمى الذى استعدت به الحكومة البريطانية لمواجهة مشاكل الإصلاح والتعمير والتوسع بعد الحرب... ومتى وضعته بلديتها وعلماء التخطيط بها؟ وضعته فى حين كانت جهود الأمة بأكملها مجندة فى الحرب ولم يعق تدمير المدينة المتواصل بفعل الغارات بلدية المدينة عن الاستمرار فى وضع المشروع وتفاصيله حتى خرج كاملاً من جميع نواحيه ـ وها هو مشروع مدينة أسلو عاصمة النرويج والذى امتدت فيه حدود المدينة فى تخطيطها إلى ما تحتاج إليه من توسع لمائة عام ـ كذلك مشروعات كل من ستوكلهم وزيوريخ وموسكو وميلانو، وقد خرج كل منها إلى حيز الوجود فلم يعط فرصة للارتجال أو للانحلال ـ ومعظم تلك البلاد ليست فى حاجة ماسة إلى مشروع شامل كحاجة القاهرة إليه.

لكى نشخص أمراض القاهرة على ضوء النظريات الحديثة لتخطيط المدن، يجب أن نحدد موضع العلة فى كل عضو من أعضائها قبل وصف طريقة العلاج التى يجب اتباعها فى مشروع التخطيط الشامل وبرنامج تكوينه.

تعتبر المدينة فى نظريات تخطيط المدن الحديثة، كأى كائن عضوى حى... يولد وينمو ويتحرك ويتغذى ويتنفس ويموت. وتتوقف حيويته ونشاطه على صحة جميع أعضائه.

فكما أن للكائن الحى هيكل عظامه وشبكاته الدموية والعصبية والهضمية إلخ، وما يتصل بها من مراكز للقوى والحركة، كالقلب والمخ والرئتين والمعدة، والتى تعمل مجتمعة على احتفاظه بحيويته وحياته، كذلك المدينة.

فللمدينة شرايينها التى يتدفق فيها دم الحياة، أو حركة المرور والنقل والانتقال والمواصلات والتموين. وتتكون شبكتها من مجموعة من الطرقات والشوارع المختلفة النسب والأبعاد والاتجاهات والارتفاعات بالنسبة لمنسوب أرض المدينة تبعاً لكل منها ـ تلك الشبكة التى تربط خلايا المدينة ببعضها من ناحية، وبقلب المدينة من ناحية أخرى ـ فكلما انتظمت دورة تلك الشبكة التى تشبه الشرايين والأوردة فى نسيجها، انتظم توزيع الضغط عليها.

للمدينة رئتان بهما تتنفس، وبهما يتجدد الهواء فى جسمها، وبهما تحافظ على حيويتها ـ ورئتا المدينة هما حدائقها العامة ومساحتها الخضراء ـ تتجمع حولها شرايينها الرئيسية الممتدة إلى مختلف أنحاء الأحياء، فتجدد نشاطها وتحافظ على صحتها.

للمدينة خلاياها التى تكون أعضاء جسمها ـ تلك الخلايا التى تنمو وتتكاثر وتتطور وتتحلل ـ تلك الخلايا هى الأحياء السكنية المختلفة، المكونة للمدينة نفسها، والتى تربطها ببعضها فى نموها وتطورها واحتكاكها ببعضها، مكونة المدينة وكيانها ـ فإذا تركت خلية من تلك الخلايا ليدب فيها الفساد، فسرعان ما تمتد عدواها كامتداد السرطان من خلية إلى أخرى، حتى تسيطر على الجسم بأكمله.

للمدينة شبكتها الهضمية واتصال تلك الشبكة بالدورات المختلفة للجسم ـ وتتمثل تلك الشبكة فى أوعية الغذاء والتموين وخطوات سيرها، ابتداء من الفم أى مداخل المدينة. إلى المعدة والقنوات الهضمية المختلفة، التى تتمثل فى مختلف أنواع الأسواق الرئيسية والفرعية فى مركز المدينة ومختلف أحيائها.

إن كلاً من القلب والمخ والكلى والكبد، وما يؤديه كل منها من وظيفة حيوية فى كيان الجسم، لها مرادف فى جسم المدينة وهيكل تكوينها، ممثلة فى الشبكات الإدارية والصحية والثقافية، والتمرينية والرياضية، وشبكات الأمن والترفيه.

فإذا كشفنا على صحة مدينة القاهرة. وحاولنا تشخيص ما بها من أمراض على ضوء تلك النظرية العلمية، لانكشف لنا ما يلى:

شرايين القاهرة:

● إن شرايين القاهرة تعانى أزمة من الضغط والتصلب الذى شل حركتها، فبدلاً من أن يحاول المتخصصون تشخيص المرض لمعرفة أسبابه بدءوا بوصف العلاج بمختلف الوسائل.. بدءوا بالطب النفسانى أى حل مشكلة المرور بتضييق الأرصفة لتوسيع الشوارع. فاختلط المارة والمشاة بالسيارات، وتعقدت حركة المرور عما كانت عليه. ثم حاولوا العلاج بالتخدير الموضعى، أى بالمرور فى الاتجاه الواحد، ثم بمنع الوقوف على أحد جانبى الطريق... ثم بمنع الوقوف على جانبيه.. وسوف لا يجدون حلاً فى المستقبل القريب إلا بالتخدير الكامل... أى بمنع المرور فى الشارع نفسه.

وما ذلك العلاج إلا بداية نكبة ستواجهها المدينة قريباً، حيث قد اختلطت الشرايين بالأوردة وبدأ انسدادها فى أكثر ساعات النهار، بسبب توقف دورة المرور الانسانية، التى يتصف بها الاتجاه الواحد ـ هذا فى الوقت الذى مازال ما لا يقل عن ٧٠٪ من العمارات التى على جانبى تلك الطرق الرئيسية بمركز المدينة التجارى معرضاً للهدم وإعادة البناء، حيث تحل عمارة ارتفاعها ١٦ دوراً وتحوى ١٠٠ شقة، مكان كل عمارة مكونة من أربعة أدوار وبها ١٦ شقة، أى أن الضغط فى حركة المرور والانتظار، سيزداد ما لا يقل عن الخمسة أضعاف، خلال مدة لا تزيد عن العشر سنوات.

إذا فحصنا شرايين القاهرة، سنجد أنه يقطعها فاصلان رئيسيان أولهما: الفاصل الشمالى، وهو خط السكة الحديد، وثانيهما: الفاصل الغربى وهو نهر النيل ـ وكان كلاهما فى برنامج قاهرة الإسماعيل فى موضعه الطبيعى، أى فى

الحدود الخارجية للمدينة ـ أما الآن وقد امتدت المدينة حتى أصبح عدد سكان الجزء الشمالى وحده، يزيد عن عدد سكان قاهرة الإسماعيل بأكملها، ويجب دراسة توسعه حتى يصل إلى ما يقرب من المليون ساكن ـ فى حين لا يربطه بالقاهرة إلا عنق زجاجة واحد وهو «نفق شبرا»، تتجمع فيه جميع وسائل النقل والمواصلات والمرور، لتصب فى القاهرة فى شارع واحد من شوارع مركزها الرئيسى. على حين أننا إذا طبقنا عليه النظريات الأولية للتخطيط لوجدنا أن عدد الشرايين اللازمة لذلك الاتصال، يجب ألا تقل عن العشرة، مجموع عرضها لا يقل عن ٣٠٠ متر، وتوزع بطول الحد.

إن محطة السكة الحديد الرئيسية التى كانت فى التخطيط القديم خارج المدينة، ستكون بدورها موضع بحث فى التخطيط الجديد، وسيكون شأنها شأن كثير من مثيلاتها فى عواصم العالم الكبرى، التى واجهت المشكلة نفسها، فانتقلت المحطة لتوزع على ثلاث أو أربع محطات رئيسية، كل منها فى أحد أركان المدينة والاتصال بها سهمى أى بغير قطع لشرايين المدينة نفسها، كما سيتحول اتصال القاطرات بها إما علوى أو سفلى، وليس فى منسوب سطح المدينة نفسها، إن هناك أبحاث لا حصر لها فيما يختص بتلك المحطات وعلاقتها بالمطارات، وشبكة السيارات والأتوبيس والمترو وغيرها، مما يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

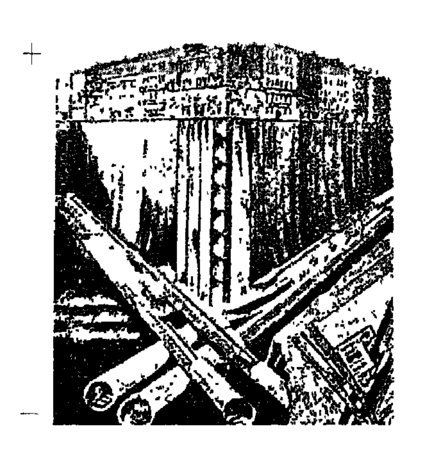
كما أن الشرايين التى تصل امتداد المدينة الغربى، الذى وصل عدد سكانه إلى ما يقرب من النصف مليون، وقابليته للاتساع بعد تعمير مناطق مدينة الأوقاف وإنبابة وامتدادها القبلى حتى المناطق الواقعة قبلى شارع الهرم، وغرباً إلى الطريق الصحراوى والتى سيبلغ عدد سكانها وحدها ما لا يقل عن المليون ـ فتلك المنطقة أيضاً لا يربطها بالقاهرة إلا كوبرى واحد وهو كوبرى قصر النيل، الذى كان الغرض الأصلى من إنشائه النزهة والانتقال إلى حدائق القاهرة وغاباتها الخارجية. فى حين أن كوبرى عباس يعتبر شرياناً للتموين لا أكثر لمدينة كمدينة القاهرة ـ فتلك المنطقة بأكملها لا يربطها بالقاهرة إلا عنق زجاجة آخر يركز حركة المرور والاتصال بدوره فى مركزها الرئيسى ـ بينما إذا رجعنا إلى إحصائيات المرور والنقل وعدد السكان وعلاقة عملهم ونشاطهم بالمدينة لوجدنا أن تلك المنطقة أو اتصال القاهرة بالشاطئ الغربى يحتاج إلى ملا يقل عن العشرة كبارى.

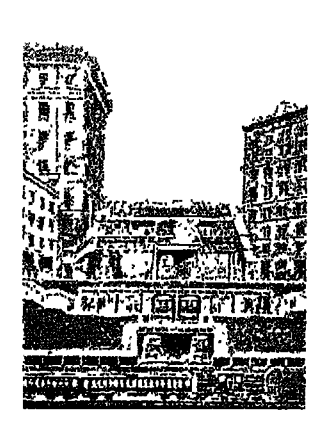
ونظرة واحدة إلى أية مدينة يتوسطها نهر كباريس أو لندن، وحصرنا ما يعبر ذلك النهر من كبارى وقناطر أنشئت معظمها قبل وصول حركة المرور والسيارات إلى ما هى عليه الآن ـ لعرفنا علاقة تلك الشرايين بتخطيط المدينة من ناحية، وأثرها فى تأمين دورة الحركة والمرور من ناحية أخرى.

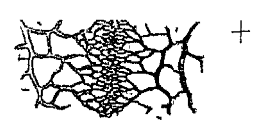
كما أن تخطيط المدينة فى حاجة ماسة إلى عملية كبيرة من عمليات التشريح، لوضع شبكة للتخطيط الدائرى ذات الحركة المستمرة، بدلاً من التركيز الطولى الموجود حالياً، حتى يمكن معادلة شبكة التوزيع باتجاهات التفريغ لمختلف وسائل النقل والمواصلات.

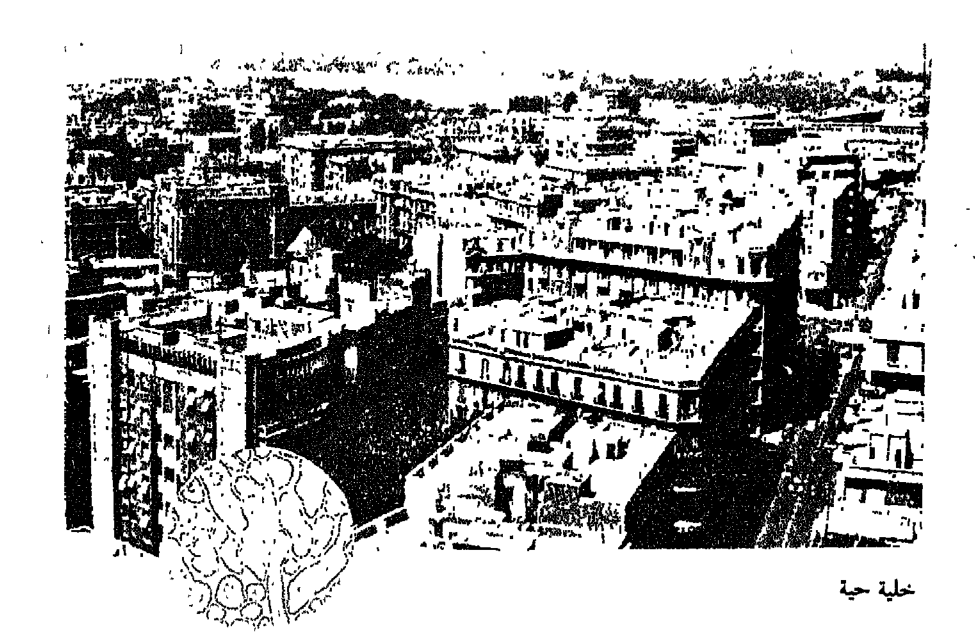
كما ينقص القاهرة من ناحية التخطيط شبكة كاملة للحركة الخارجية، أى طريق النقل الرئيسى خارج المدينة، والذى يمكن بواسطته استمرار حركة التموين والنقل الثقيل، التى تصل إلى قلب الأحياء من محيطها الخارجى، وليس عن طريق محاور المدينة الداخلية.

سيحوى مشروع القاهرة الكبرى أكثر من طريق، سيخطط فى اتجاهات لم تكن تخطر على بال، حتى تدب فيها الحياة وتنقذ من الانحلال ـ سيضطر بعضها إلى احتراق مجاهل المدينة.

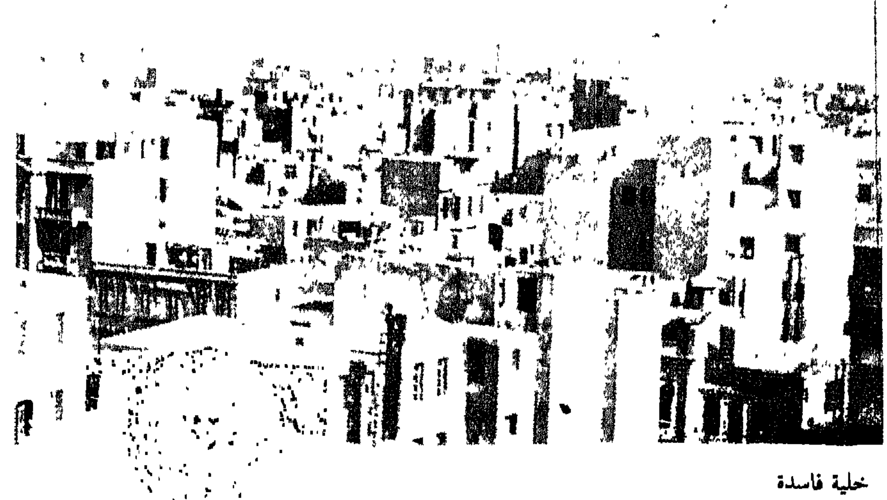








خلية حية



خلية فاسدة

خلايا القاهرة: أو أحيائها السكنية: تنقسم أحياء القاهرة السكنية إلى عدة أقسام:

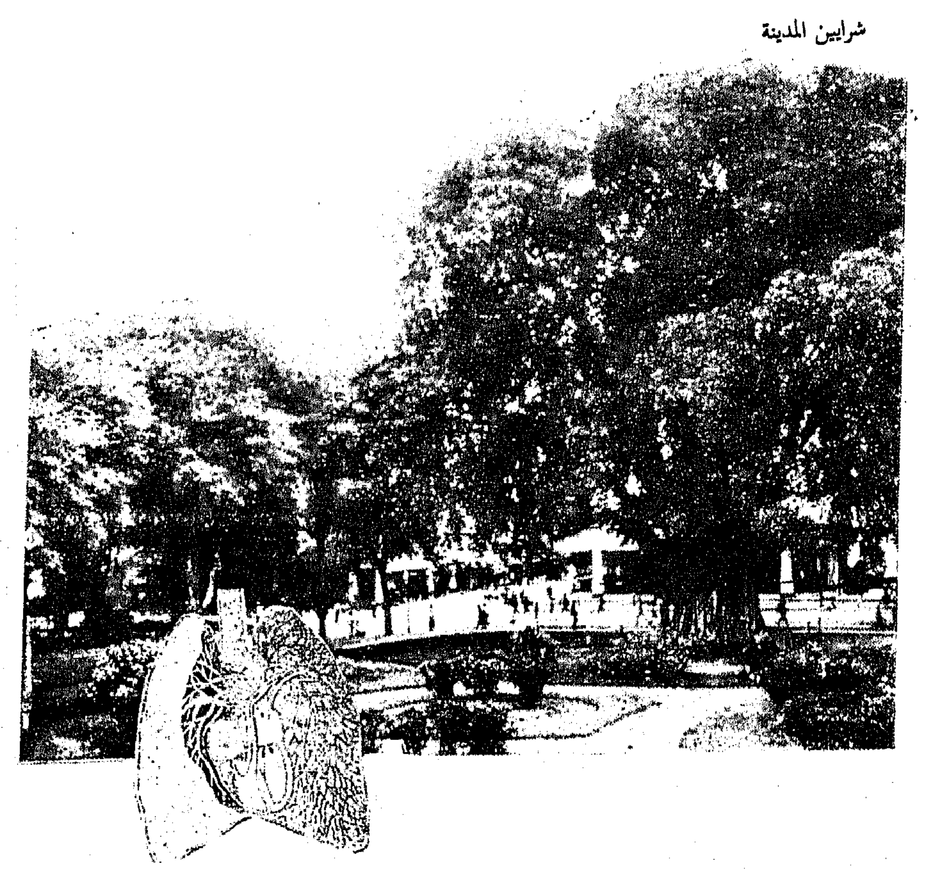
أولاً: أحياء تجهل البلدية موضعها ـ أو تجاهلتها عندما فشلت فى إصلاحها. تلك الأحياء التى لم يزل بعضها للآن بغير مياه للشرب، ويشرب الحى أو الشارع بأكمله من حنفية واحدة مازالت فى موضعها من عهد إسماعيل، ولا يعرف التيار الكهربائى الطريق إلى مساكنها، ولا تدخلها شبكة المجارى العامة ضمن حسابها، كأن تلك الأحياء لا يسكنها أحياء، ومع ذلك فهى تقع فى قلب القاهرة ـ وهى ما يمكن اعتبارها بالخلايا الموبوءة أو المنحلة والتى لا سبيل إلى إصلاحها. وتبلغ المساحة التى تغطيها المبانى فيها بالنسبة إلى مساحة الطرقات ما يزيد فى بعضها عن ٩٠٪ تلك الأحياء التى لا تعرف البلدية طريقها إليها إلا لإزالة ما يتهدم من مساكنها على ساكنيه ـ تلك الأحياء التى ينقطع اتصالها بالقاهرة ـ نعم ينقطع اتصالها بالقاهرة رغم وجودها فى قلبها ـ إذا أمطرت السماء، حيث تتحول أزقتها الطينية إلى مستنقعات.

إن تلك الأحياء ليس لها من علاج فى التخطيط الحديث إلا بما يسمونه بتطهير الخرائب Slum Clearance أى بإزالة مبانيها ـ أو كما يسميه الألمان «يحلق الحى» وإعادة تخطيطه، ويعتبر من نظريات العلاج التى وجدت إقبالاً كبيراً فى معظم عواصم العالم الكبرى، كما أصبحت من النظريات الاقتصادية المهمة التى تجمع بين التعمير والاقتصاد لزيادة موارد البلديات، باشتراك الشركات العقارية أو رءوس الأموال المقترضة أو الخاصة بشركات التأمين فى المشروعات الاستغلالية، لكن هناك خطر داهم أريد أن ألفت نظر البلدية والهيئات الرسمية إليه، وهو أن ما يتهدم من مبان أو خرائب تلك الأحياء ينشأ غيره.. وفى ظل القانون المعمارى واللوائح.. من أربعة أدوار بدلاً من دور أو اثنين... وبالخرسانة المسلحة وعلى الحارة نفسها أو الزقاق المقفل الذى لا يزيد عرضه عن مترين... متمتعاً الاشتراطات الصحية نفسها.. أى زيادة عدد السكان وكثافتهم فى الحى نفسه إلى أقصى حد ممكن، مع الانخفاض بمستواهم الصحى إلى أدنى حد ممكن.. ستقف تلك المبانى الخرسانية عقبة فى سبيل تحقيق أى إصلاح فى المستقبل، إذا أريد إعادة تخطيط الحى.

ومن الأحياء الرئيسية التى ستزال فى مشروع القاهرة التكوينى الشامل، لتحل محلها أحياء حديثة وتخطيط حديث وبرنامج عمرانى حديث، أحياء بولاق وعشش الترجمان، والشرابية، وبعض مناطق الجمالية، والدرب الأحمر، وباب الشعرية، وبعض خرائب حى شبرا.

(٢) والنوع الثانى: يشمل الأحياء ذات الاتصال غير المباشر بالشرايين الرئيسية للمدينة والتى سيحتاج الحال إلى شق شوارع أو شرايين جديدة تخترقها، ويعاد تنظيمها وتنظيم العمار بها بالنسبة لتلك الشوارع، بعد تزويدها بما تحتاج إليه من مرافق أساسية ووحدات اجتماعية وثقافية وصحية، تتفق مع التطور وكثافة السكان ومختلف نواحى نشاطهم، والتطور الاقتصادى والتجارى للحى، تبعاً لاتصاله المباشر بغيره من المراكز التجارية بقلب المدينة واتجاهات النقل الآلى خلاله، وتشمل أحياء المنيرة وبعض مناطق شبرا ومصر القديمة والحلمية.

(٣) والنوع الثالث: مناطق التعمير الطفيلى: وهى المناطق الحديثة التى تعتبر حطة فى وجه البلدية وهيآت التخطيط ـ وتلك المناطق هى التى نشأت بغير برنامج عمرانى حول الشوارع الرئيسية الكبيرة، والتى لم يوضع تخطيط عرضى أو جانبى ينظم نموها وتطورها كشارع الأهرام بالجيزة، الذى كان يعد من أجمل شوارع القاهرة ومع ذلك فكأنه لا يدخل ضمن حدود تنظيمها، فترك أمره للأهالى والشركات لتخطيط جانبيه بمعرفتها، فنشأ العمران على جانبيه على شكل نمو طفيلى أخذ يمتد ويتفرع على هيئة طرقات مرتجلة ـ فأضاع على المدينة فرصة وجود شريان جديد كان يجب أن يساعد على يتجميلها وتجميل مداخلها بدلاً من العمل على تشويهها.



إن تلك النظرية الارتجالية الهدامة ما زالت للأسف تسيطر على الجزء الأكبر من المدينة وأحيائها المستجدة فيها، هي جزيرة الروضة بفضل العمران الطفيلي، قد تحولت بدورها إلى خرائب عصرية Modern Slums، ونشأت بها أزقة وحوا رلا تسمح بمرور السيارات ولا ترتبط ببعضها بتخطيط يقبله العقل ولو رجعت البلدية إلى محاضرتي السابقة التي ألقيتها في سنة ١٩٣٨ عن إصلاح القاهرة، لوجدت أني قد لفت النظر إلى تلك الجزيرة وتخطيطها عندما كانت ما تزال عبارة عن أراض زراعية بغير تخطيط أو تعمير، فلو كان هناك برنامج تخطيطي شامل يقيد التقسيم الارتجالي والعمران الطفيلي، لأصبحت تلك الجزيرة من أجمل جزر العالم.

وها هي المأساة نفسها بدأت تتكرر.. وعلى يد البلدية فيما سموه بمدينة المقطم، والتي لن تزيد على شارع واحد من شوارع التعمير الطفيلي، يقطع خط الرجعة على إنشاء مدينة أو حي سكني بمعنى الكلمة.

إن إزالة العمارات الخرسانية ليس بالأمر الهين ـ فوجودها في غير موضعها من التخطيط الشامل، سيعوق تقدم المدينة وتطورها وتجميلها لعدة أجيال ـ فلنوقف مركز العمار إذا احتاج الحال حتى نضع برنامج التكوين الشامل لمدينة القاهرة، ولمنع التعمير الطفيلي، يجب أن نضع حداً للعمران الخطي أي بشق طريق أو خط طولي واحد في أي منطقة يراد تعميرها، فالتخطيط لأي منطقة يجب أن يكون مسطحاً، وليس طولياً مع تجاهل امتداداته وتوسعه العرضي.

كما يجب ألا تعتمد البلدية على القانون المعماري، وتجعل منه وسادة تضع عليها رأسها، وتظن أن مواده المتعددة ولوائحه الصريحة كفيلة بالمحافظة على جمال المدينة وكيانها (فما دامت المباني التي تقام تحافظ على حرفية القانون، وتقسيم الأراضي وتخطيطها يسير وفق الاشتراطات، فإن مسئوليتها تكون قد انتهت ـ) فإن لم يوضع برنامج شامل وهيكل تكويني عمراني شامل، فالمدينة ستتحول بفضل هذا القانون وتلك اللوائح إلى خرائب. وليس أدل على ذلك من صناديق التفريخ الخرسانية التي تنشأ كل يوم في مجاهل الأحياء الوطنية. أو الجمع بين العمارات السكنية المختلفة

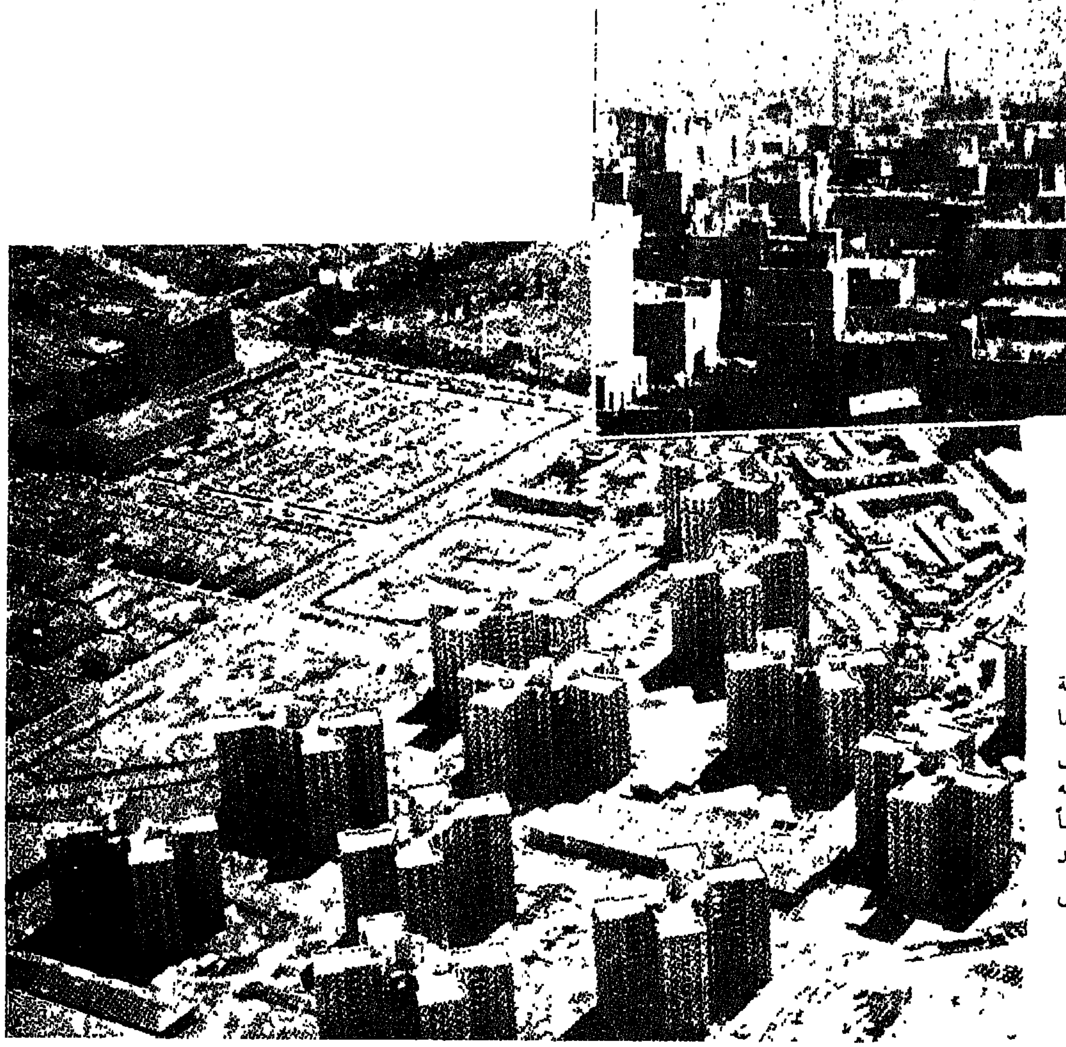
الارتفاعات، ومبانيها العامة والتجارية متداخلة مع بعضها بغير برنامج أو طابع أو تنسيق، كما هو الحال فى الأحياء الوطنية المستجدة، كمناطق المنيل وجزيرة الروضة والعجوزة إلخ.

● أما قلب المدينة التجارى، فسيحتاج إلى تعديل كامل فى شبكة شرايينه لتخفيف الضغط عليها، وذلك بوضع تخطيط كامل على أساس علمى صحيح لاتجاهات التفريغ، مع تحويل بعض الشوارع الثانوية التى ستحول بدورها إلى شوارع رئيسية ـ كما تشمل الشبكة توزيع جيوب الانتظار، التى سيكون بعضها تحت الميادين: (وهو ما سبق وضع برنامج له فى سنة ١٩٤٠، يشمل الجمع بين احتياجات الوقاية وحل مشاكل المرور بعد الحرب، ونشر سلسلة من المقالات، تحت عنوان مصاريف الوقاية من الحرب تكاليف الإصلاح فى السلم)، كما ستحدد الشبكة مواقع الجراجات وأماكن الانتظار الرأسية، أى المكونة من عدة طبقات، والجراجات السفلية تحت بعض الشوارع والتى سيحدد لكل منها مواقع ثابتة ترتبط ببرنامج التكوين الشامل بدلاً من اللوائح العتيقة التى تمنع عمل أى جراج عام تحت العمارات إلا إذا كان ارتفاع سقفه أربعة أمتار ونصف.. أى منع إنشاء الجراجات فى وسط المدينة.

● إن قطر الاتساع لمدينة القاهرة عندما كان عدد سكانها ٣٥٠ ألف ساكن، كان عبارة عن كيلو مترين، انتقل فى البرنامج التكوينى الشامل الأول الذى وضع فى سنة ١٨٦٢، حتى شمل ٩ كيلو مترات، على اعتبار أن الحد الأعلى للاتساع ٧٠٠ ألف ـ فإذا درسنا ما تحتاجه مساحة البرنامج التكوينى الشامل لقاهرة اليوم، نجد أنه يجب ألا يقل عن ٢٥ كيلو متراً (وهو الحد الأدنى وفقا لنظريات التخطيط الحديثة، كما يقل عما حددته كثير من بلديات عواصم العالم المعروفة فى مشاريع برامجها الإصلاحية والعمرانية. ستمتد حدود العمار المقيدة، بحيث تضم مدينة حلوان جنوباً، وأهرام الجيزة غرباً، ومدينة قليوب شمالاً، ومطار فاروق شرقاً ـ بحيث يشمل التخطيط مسطح المنطقة بأكملها فلا يقتصر على مد محاور طولية فقط.

ومن المناطق المستجدة التى ستدخل ضمن ذلك البرنامج (ما سبق وضع برنامج كامل لها فى بحث سابق قبل الحرب، كما درس كل منها فى بحث مستقل)، تشمل مناطق حلوان الجديدة، ومدينة المقطم ومنحدراته، وامتداد منطقة المعادى حتى تتصل بالمقطم والقاهرة مباشرة. ثم منطقة تلال زينهم ـ وفى منطقة الشاطئ الغربى، سيشمل العمار والتخطيط منطقة واحدة مستمرة تبدأ من جنوب شارع الهرم الحالى بالقرب من البدرشين، وتمتد امتداداً مسطحاً حتى ترتبط بمنطقة إنبابه. وفى المنطقة الشمالية، ستنقل مداخل القاهرة عند مدينة قليوب وتمتد محاورها عبر المنطقة الصناعية، لتتصل بكل من مسطرد ومصر الجديدة والمطرية.

أما الامتداد الشرقى فسيمتد حتى حتى يربط العباسية ومصر الجديدة بعد تخطيط منطقة الثكنات العسكرية التى ستتحول إلى أحد أحياء الجاردن ستى الرئيسية. وسيحتاج ذلك التوسع الأفقى إلى أكثر من طريق دائرى يدور حول مركز المدينة، لربط أحيائها ببعضها وعدم تركيز الحركة فى المركز التجارى بقلبها كما هو الحال الآن.



هناك أحياء لا وسيلة لاصلاحها إلا تطهيرها ـ أى بإزالة الحى بأكمله واعادة بنائه حتى يصبح صالحاً لسكان الاحياء احد أمثلة تطهير الاحياء فى أمريكا

سيربط برنامج التخطيط أكثر من طريق دائرى واحد يشق حول مركزها التجارى على شكل بوليفار دائرى يربط أحياءها ومجاهلها ببعضها، ويعمل على توازن شبكة تفريغ الحركة الآلية ويعمل كوبا تجاريا متصلاً لمختلف الأحياء، كما ستتجمع عليه كثير من مرافقها اللامركزية ـ وسيتصل ذلك البوليفار الدائرى بمحاور مختلف الأتوسترادات الموصلة إلى الضواحى الحالية والمستجدة.

إذا انتقلنا إلى رئتى مدينة القاهرة واللتين كانتا فى الماضى تشملان حدائق الأزبكية والأورمان والجزيرة، وحدائق الأهرام، وطريق شبرا، ثم المناطق الخضراء بأحياء الجاردن ستى القديمة التى كانت تشمل أحياء الفجالة والسكاكينى والاسماعيلية والمنيرة ـ ثم الأشجار التى تظلل جانبى الشوارع الرئيسية داخل المدينة، وكانت تكفى فى ذلك الوقت للمدينة واتساعها الأول، نجد أنها عند ما تعدت حدود الاتساع، ولم يكن لها برنامج منظم، بدأ الفساد يدب فى رئتيها، فأحياء الجاردن ستى الخضراء بدأت تتحول حدائقها وفلاتها إلى عمارات تجارية. هو ما نشاهده الآن فى الزمالك وجاردن ستى وغيرها من الأحياء التى كانت مثلها وسبقتها فى الانهيار، كالحلمية والسكاكينى والمنيرة ـ ثم الأشجار التى كانت على جانبى الشوارع بدأت حركة المرور تلتهمها فاختفت مع توسيع الشوارع.

سيحتاج مشروع القاهرة التكوينى الشامل إلى دراسة جديدة للمسطحات الخضراء وتوزيعها على الأحياء أو على خلايا المدينة ـ ففى المناطق التى سيتم تطهيرها أو إزالتها، سيطبق فى برنامج تعميرها كثير من نظريات التتعمير الرأسى، التى تصل فيه كثافة السكان إلى ما يزيد على ٨٠٠ ساكن فى الهكتاروهو أضعاف كثافتها الحالية، مع وصول المساحات الخضراء إلى ما لا يقل عن ٥٠٪ مع اشتمال الحى بأكمله على جميع ما يحتاج إليه من مرافق، كما سيحتاج الحال إلى تشجير كثير من المناطق المحيطة بالأحياء القديمة نفسها، والتى ما زالت عبارة عن خرائب تمد القاهرة بأكثر مما تحتاج إليه من الأتربة ـ ستكون تلك الأشجار أو الغابات الخضراء عبارة عن حاجز، لتصفية الهواء الذى يدخل إلى المدينة.

أين مصايف القاهرة؟ تلك المصايف التى تعتبر متنفساً مهماً لسكان عاصمة البلاد ـ تلك المصايف التى لا تخلوا منها عاصمة من عواصم البلاد الباردة.. فما بالك بمدينة القاهرة التى تقع فى المنطقة الحارة المعتدلة ـ فالمصايف الداخلية من مستلزمات المدن الحديثة وخاصةً للطبقات العاملة والمتوسطة الدخل، والتى لا تسمح أعمالها بمغادرة المدينة فى الصيف ـ وكانت مصايف القاهرة فى الماضى كما ذكرت ،عبارة عن حدائق الأورمان، وشاطئ الجزيرة بالزمالك، وبعض مناطق روض الفرج، وجزيرة الروضة، ومجموعة من الحمامات الشعبية داخل الأحياء.

أما مصايف قاهرة الغد، فستحتل شواطئ النيل من القاهرة والمعادى، وستكون على شكل بلاجات وملاعب وأحواض للسباحة تنتقل إليها مياه النيل بعد تنقيتها وتطهيرها، ومجموعة من نوادى التجديف والنزهة ـ سيحتل بعض أحواض السباحة النطاق الأخضر الذى يحيط بالمدينة الحالية، والذى تطل عليه الأحياء السكنية الوطنية ـ هناك مصايف سنجد لها مكاناً بكل من حلوان الجديدة ومدينة المقطم، كما ستحول جزيرة الذهب بأكملها لتصبح مصيفاً للمدينة بما يحتاج إليه المصطافون من جميع أنواع التسلية والملاهى. هذا بخلاف أحواض السباحة التى ستجد مكانها فى النوادى الشعبية بكل حى من الأحياء.

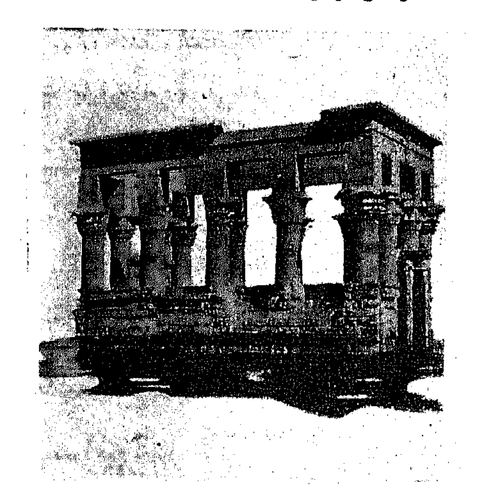
● **إن أوتاد التخطيط** الجديد لمدينة القاهرة التى سترتبط معالمها وتسجل تاريخها القديم بجانب التطور التخطيطى والعمرانى الجديد، ستكون تلك الأوتاد، عبارة عن معالم القاهرة القديمة من أبواب أثرية لمداخل القاهرة القديمة وأسوارها التاريخية وغيرها من المبانى الأثرية بعد إزالة ما يعلق بها من الخرائب السكنية، وسيصبح موضع معظم تلك المعالم وسط بعض ميادين الحركة الكبيرة، أو الحدائق العامة الخاصة بمنافس الأحياء.

● هناك كثير من **الآثار الفرعونية** المهجورة.. والتى سبق أن طلبت من الحكومات المختلفة ضرورة استغلالها، لتعطى للقاهرة طابعاً خاصاً بها يميزها عن عواصم العالم الأخرى ـ كتلك التماثيل الملقاة فى المزارع المهجورة وغيرها من المجموعات الكبيرة التى تملأ مخازن المتحف ـ بل لا أكون خيالياً إذا طالبت بنقل معبدأنس الوجود نفسه الذى يعد رمزاً سياحياً عالمياً لمصر.. إذا طالبت بفك أحجاره ونقله لوضعه فى أحد حدائق القاهرة الكبرى أو فى أحد غاباتها الخارجية بدلا من تركه ليتآكل بعد أن غمرته مياه تعلية الخزان فأخفت معالمه.

إن كل عاصمة من عواصم العالم الكبرى كباريس ولندن وروما والقسطنطينية وواشنجتون، يزين أحد ميادينها الكبرى مسلة مصرية.. لم تترك لنا إلا مسلة واحدة فى حقول المطرية... أما آن الأوان لنقلها إلى أحد الميادين الكبرى، حتى يكون لنا من تراثنا ما لغيرنا منه. وأظن أن نقلها من المطرية إلى أحد ميادين القاهرة، سوف لا يكون أصعب من نقل

أية مسلة نقلت من الأقصر وأسوان عبر البحار والمحيطات إلى عواصم الدول الأخرى.

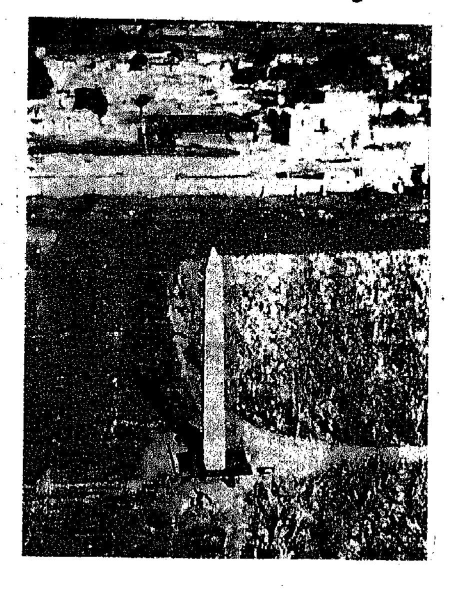
قصر انس الوجود



تمثال رمسيس الثانى



مسلة عين شمس



● **أما المبانى العامة الأساسية** بمدينة القاهرة والتى يرجع معظمها إلى عهد إسماعيل، فقد أصبح معظمها غير صالح لتأدية الغرض الذى أنشئت من أجله.

● **فدار الآثار أو الأنتيكخانة** والتى أصبحت مخزناً للآثار لا متحفاً ـ وأن ما بها الآن من تحف يحتاج عرضها إلى دار جديدة لا يقل حجمها عن ثمانية أمثال حجم الدار الحالية.. كذلك الحال فيما يختص بكل من دور الآثار العربية والقبطية وغيرها ـ وقد سبق واقترحت إنشاء دار واحدة كبيرة كمتحف للحضارة المصرية، يكون موقعها مكان الثكنات الحالية وتكون أكبر دار من نوعها فى العالم. فآثارنا وحدها التى تقيم كل عاصمة من عواصم العالم متحفاً لها ـ تكفى وحدها لإقامة وملء متحف عالمى سيكون من أهم المعالم المميزة لقاهرة الغد.

وإذا انتقلنا إلى **دار الكتب** لوجدنا أنها قد أصبحت بدورها مخزناً آخر لا يصلح ولا يصح أن يكون دار الكتب الرئيسية لمدينة كالقاهرة عدد سكانها سيصل إلى ٣ مليون ساكن، وستحتفل قريباً بعيدها الألفى ـ ستحل محلها دار أخرى لا يقل حجمها ، بما تحتوى عليه من قاعات للمطالعة والاطلاع ومخازن الكتب، عن عشرة أمثال حجمها الحالى ـ بل ستكملها مجموعة من المكتبات الشعبية والفرعية والخاصة، توزع على مختلف الأحياء.

أين مسرح البلدية ـ وكازينو البلدية؟ بل مبنى البلدية ودار المؤتمرات.. إن مدينة كالقاهرة يبلغ عدد سكانها مليونين وسيكون فى التخطيط ٣ ملايين على أقل تقدير يجب ألا تقل مسارحها الرئيسية أو التى ستشرف البلدية على إدارتها عن عشرين مسرحاً وفقاً لنظريات التخطيط الحديثة.. يوجد منها الآن ثلاثة جميعها من عهد إسماعيل، وكانت فى الماضى ثمانية فى حين تحوى مدينة باريس ثلاثة وتسعين ولندن ثلاثة وثمانين.

أين مركز الإذاعة بمسارحه وصالات التليفزيون والتى تعتبر من المعالم الرئيسية للعوالم الكبرى.

لو كان عندنا برنامج تكويني شامل على أساس تخطيطي علمي سليم ،لا حتوى على ضاحية كاملة للسينما تتجمع بها مختلف استديوهات الأفلام ويكون لها طابع خاص يكون ضمن المعالم الجديدة للمدينة، بدلاً من نشأة كل منها ارتجالياً فى ناحية وفى حى بعيد عن الآخر.

سيشمل مشروع القاهرة الكبرى تبعاًلإحصاءات السكان ونظريات التخطيط الحديث، ما لا يقل عن عشرين حديقة داخلية عامة و٦٠ حوضاً للسباحة، و٢٩ ناد رياضى بمعنى الكلمة.. موزعة على مختلف الأحياء، وخاصة الشعبية منها، سيكون للقاهرة كعاصمة عدد سكانها ٣ مليون ساكن ضاحية رياضية كاملة أو مدينة أوليمبية.. لا أستاد فقط، وسيكون لها شبكة خاصة للنقل السريع لتفريغها فى مختلف أحياء المدينة.

هناك برنامج آخر لمداخل القاهرة.. وغيره لميادينها.

وشواطئ النيل التى ستكون مركز التجميل بالنسبة للمدينة بأكملها ــ إن لشواطئ النيل برنامجاً اقتصادياً عمرانياً كاملاً سبق شرحه فى مؤتمرات وأبحاث سابقة. لقد نقل مشروع القاهرة الذى وضع من ثمانين سنة.. نقل مجرى النيل ليصبح داخل القاهرة كالسين بالنسبة لباريس والدانوب بالنسبة لفينا والفولجا بالنسبة لموسكو ــ فعلينا أن نكمل المشروع أن نستفيد من النهر بدلاً من ترك شواطئه تتحول إلى خرائب كخرائب مصر العتيقة والروضة والجيزة وإنبابة وبولاق.. وما يستجد ــ ولو عرف إسماعيل باشا أن مصير شواطئ النيل ستكون هكذا فى القرن العشرين.. لو فر على نفسه مشقة نقله.

إن مشروع القاهرة الكبرى.. سيحتاج إخراجه إلى حيز الوجود إلى برنامج آخر مكمل له ولا يقل عنه أهمية وهو برنامج **اقتصاديات التعمير**.. ذلك البرنامج الذى ستتحول المدينة ومرافقها وتطورها واتساعها وصيانتها وإصلاح خرائبها ونواحى تجميلها ــ أى بمعنى أصح المدينة كامل كيانها ــ ستتحول إلى مشروع استغلالى تجارى كامل ــ مشروع تزيد أرباحه عن مصاريفه.. وتغطى فوائده تسديد ما يحتاج إليه من قروض، وما يضمن دفع أرباح مغرية لسنداته.

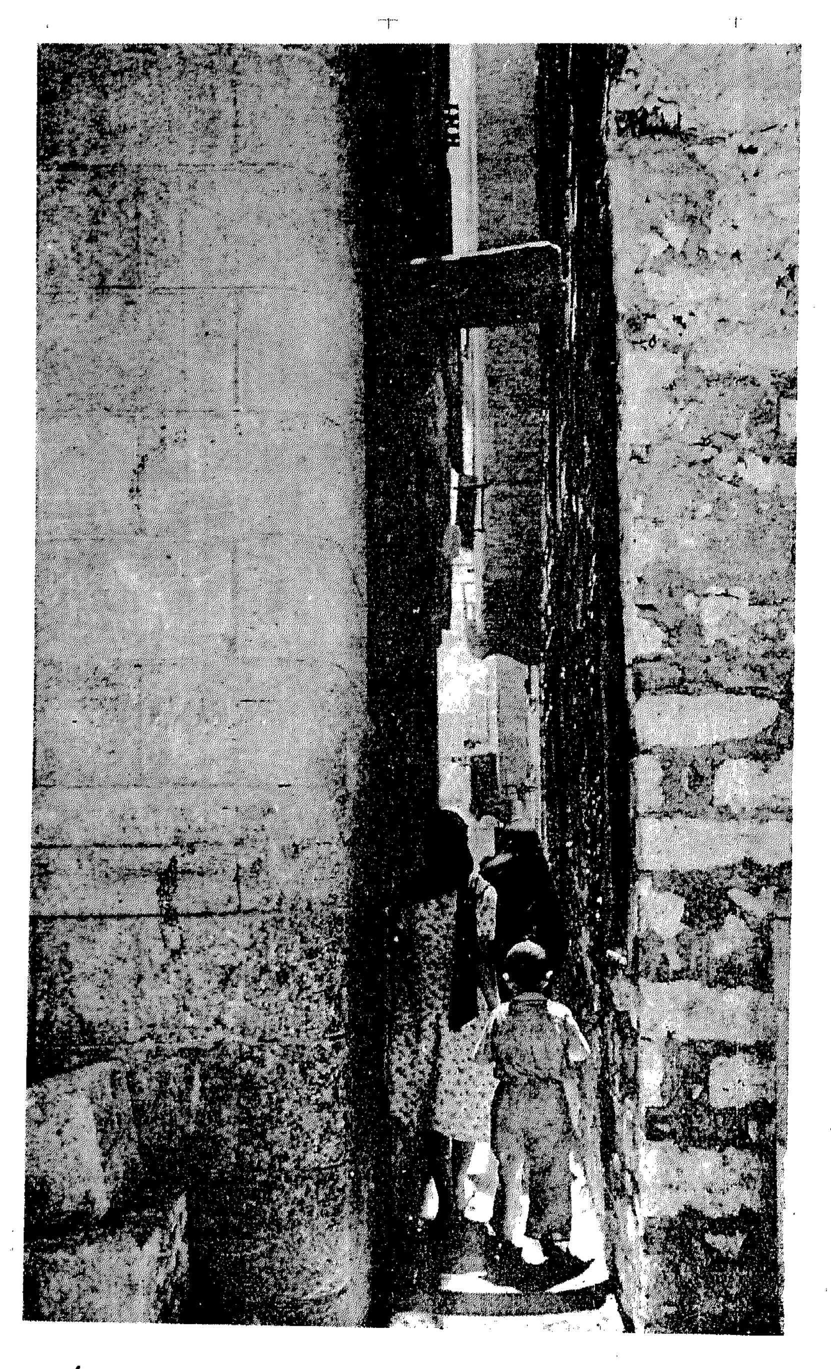
تشمل اقتصاديات العمران العلاقة الاقتصادية بين مصاريف الإنشاء والصيانة، وما يدره التخطيط من ريع، وتكاليف المرافق وما تعوضه من ربح.. واستغلال المنشآت العامة ذات الإيراد، لتغطية ما تقوم به منها من منافع تحتاج إلى مصاريف ــ **أى أن البلدية ستدير المدينة ومرافقها ومنشآتها ونواحى نشاطها المختلفة، كشركة تجارية مستقلة.**

وما ضاحية مصر الجديدة التى أنشئت فى بقعة نائية من الصحراء ويشمل برنامج تكوينها كل ما كانت تحتاج إليه من منشآت خاصة وعامة.. من عمارات سكنية وأسواق وفنادق ودور للعبادة وأخرى للهو، وملاعب ونواد للرياضة والسباق ولونابارك.. بل وشبكات للمياه مستقلة عن مجرى النيل، وشبكات للإضاءة والمجارى ــ بل وشبكة للمواصلات الكهربائية تربطها ببعضها وتصلها بالقاهرة. ما تلك الضاحية أو المدينة إلا ثمرة برنامج تخطيطى اقتصادى شامل.. إذا قدرنا ما يدره من ربح وما كسبته بلديتها أو إدارة شركتها من أموال تزيد أضعاف المرات عن رأس المال نفسه.. لعرفنا معنى اقتصاديات العمران وقيمته.

إن برنامج اقتصاديات العمران لمشروع البرنامج الشامل، سيضع يده على المدينة بجميع نواحى تكوينها، من تخطيط، وتقييد للملكيات الأراضى التى تدخل ضمن منطقة نفوذ المشروع، إلى نزع ملكية المناطق التى سيشملها المشروع، وموازنة

مـصـاريف التـخطيط والمرافق بقع الأراضى.. إلـى ربط إصــــلاح الأحياء القديمة ومصاريفها بغيرها من خطوات الإصــــلاح.. إلى السيطرة على جميع مرافق المدينة ووسائل النقل فيـهـا.. إلى تنفيذ المشاريع الاسـتـغلالية بمختلف أنواعها التى تعمل لمنفعة السكان، وتقوم إيراداتها بمصاريف صيانة الشبكة العامة وتطورها.

هناك أرقام وطرقات تجهل البلدية مواضعها وليس لأشعة الشمس والهواء منفذ تمر خلالها إحد أزقة حى شبرا عرض الطريق ٥٠ سم



سيكون لبـرنامج اقـتـصـاديات العـمـران مـيـزانية ومـيـزان، لتوزيع حركـة العـمـار والتـعـمـيـر - يسير بمقـتـضـاها عـشـرات السنين - سيـخـضـع البـرنامج الاقـتـصـادى لخطوات ثابتـة لا يمكنه أن يحـيـد عنهـا، وتخضع له فى الوقت نفسه جميع نواحى الإصلاح وأسبقية إحـداها على الأخـرى، فـلا تـتـرك أحـيـاء بلا مـاء ولا مـجـار.. لتنقل المـيـاه لزراعـة أشـجـار فـوق جـبل المقطم، أو تترك الشوارع الرئيسية والشوارع المستجدة لتنهار ليخطط شارع فوق جبل المقطم باسم إنشاء مدينة.

إن مقتضيات العمران ستشمل إنشاء كل من مدن جبل المقطم، وتلال زينهم، وبولاق، وحلوان الجديدة، والأهرام، وحى الجامعة الخ، مما سبق شرحه فى عدة محاضرات سابقة، من أكثر من عشر سنوات.. سيأتى دور إنشاء كل منها ولكن بطريقة أخرى غير التى تفكر فيها البلدية، وهى بوضع برامج الشركات الفرعية أو استغلال رءوس أموال الشركات



أين مصايف القاهرة؟ لو كان بالقاهرة مصايف لأحياء الطبقات الفقيرة ومحدودى الدخل من نواد وحدائق لما خرج أطفال تلك الأحيان للبحث عنها

العقارية، وشركات التأمين والتى تسهم البلدية بالأراضى ورسومات الشبكة التكوينية والإشراف الإدارى. إن ما بدأناه الآن باسم مدينة المقطم، ما هو إلا بدء مهزلة جديدة ــ بدء ما حذرنا البلدية من الوقوع فيه وما كان سبباً فى تحويل كثير من الأحياء والمناطق المستجدة إلى خرائب ألا وهو العمران الطفيلى الذى تطلق عليه نظريات تخطيط المدن الحديثة اسم سرطان الخلايا السكنية.

إن الجهل باقتصاديات العمران هو العامل الأول فى تشويه المدينة ــ هو المسئول عما لازم كل من شوارع كبيرة تشق بالمدينة كشارع فاروق وشارع الصحافة وكورنيش النيل بمصر العتيقة، وشارع الخليج وشارع الجلاء، وما لازمها من فضائح ــ تلك الشوارع وأمثالها، والتى تحتاج البلدية ومواردها، والحكومة ما تسمح به ميزانيتها، تحتاج إلى عشرات السنوات لإكمال شارع منها ليكشف الشارع عما خلفه من خرائب أو ما ينشأ مكانها من عمارات بهلوانية يتوقف شكلها على ما تسمح به الأراضى التى تخلفت من شق الطريق ــ كما لا ينتفع من ذلك التطور العمرانى إلا أصحاب

عدد معدود من الخرائب المطلة على الشارع الذى صرفت عشرات الألوف لفتحه ـ بيد أن المبادئ الأولية للاقتصاد العمرانى تنص على أن زيادة السفح العائد من قسح الشوارع التى صرفت عليها من الأموال العامة يعود على المنافع العامة التى تمثلها البلدية. فصاحب الأرض الذى يرتفع سعر أرضه من جنية واحد للمتر إلى ثلاثين مثل تدفع له الحكومة أو ساكن المدينة ثمن ما ينزع من أرضه للمنفعة العامة، أى أن صاحب الأرض التى تبلغ مساحتها ألف متر وثمنها ألف جنية إذا نزع ملكية نصفها لشق طريق عام تدفع له الحكومة خمسمائة جنية ويصبح ثمن باقى الأرض ١٥ ألف جنية وتكون الحكومة قد اضطرت إلى دفع عشرة آلاف آخرى مقابل انتفاعه بتلك الزيادة وهو ما يخصه من ثمن شق الشارع.

إن إنشاء الشوارع الجديدة وفتح الشوارع التى يتطلبها البرنامج تعتبر فى جميع مدن العالم المتمدينة ـ وحيث توجد بلديات تشرف على برامج إصلاحها ـ تعتبر تلك الشوارع مورداً من أهم وأكبر موارد الإيراد وذلك بنزع ملكية المناطق المطلة على الطريق نفسه وإعادة بيعها بمعرفة البلدية. أى ضرب ٣ عصافير بحجر واحد.

تنفيذ شبكة التكوين، وتغطية مصاريف الإنشاء والرصف، وتحقيق برنامج التجميل. هناك أكثر من نظرية فيما يختص بمبادئ نزع الملكية وإبعاد مساحات نزع الملكية اللازمة من الناحيتين الاقتصادية والعملية تبعاً لنوع الشوارع وموقعها من شبكة التخطيط. وأقدم تلك النظريات التى تعمل بها كثير من البلديات من أكثر من نصف قرن نظرية الثلاثة أمثال أى نزع ملكية توازى عرض الشارع نفسه على كل من جانبيه ـ كما أن هناك كثير من النظريات الحديثة التى تحدد عرض المساحة التى تتنزع ملكيتها على كل جانب تحدد بعشرين أو خمسة وعشرين متراً بالمناطق المقفلة وأربعين بالمناطق المكشوفة.

إن الجهل باقتصاديات التعمير، هو المسئول عن شوارع أرادت الحكومة توسيعها، فقيدت العمران أو الصيانة والتصرف فى الملكية فى حدود خطوط التوسيع وترك الشارع عشرات السنوات لتتهدم مساكنه المقيدة التصرف الواحد بعد الآخر، بحيث أصبح الشارع مسنناً وحطه فى وجه المدينة، كشارع جزيرة بدران وشارع الخليج.

إن اقتصاديات التعمير ستشمل كثيراً من برامج التطهير، والتى ستشترك فيها الشركات العقارية مع البلدية بعد ما تقوم الثانية بإنهاء مشروعها الشامل لاقتصاديات التعمير، وعلاقته بكل من نواحى الصيانة والإصلاح والتوسع.

إن كثيراً من المشروعات الحيوية اللازمة لبرنامج توسع المدينة والتى طالما سمعنا عنها كمشروعات كهربة خط حلوان ثم كهربة خط المرج، كذلك كثيرا من غيرها من أنواع النقل السريع لربط أطراف المدينة، تعد فى مقدمة برامج اقتصاديات التعمير التى تشرف عليها البلديات، وتديرها وتشرف على إدارتها كمشروعات تجارية، أما إذا اعتمدت البلدية على الحكومات كما هو الحال عندنا فى مصر، فستحتل تلك المشروعات كل عام رأس القائمتين المعروفتين ـ قائمة خطبة العرش على أنها من المشروعات الحيوية التى ستقوم الوزارات بإنشائها.. ثم فى آخر السنة على رأس قائمة الوفورات ـ أى المشروعات التى لا تسمح الميزانية بتنفيذها. وقد مضى ما يقرب من عشرين سنة على كثير من المشروعات المماثلة،

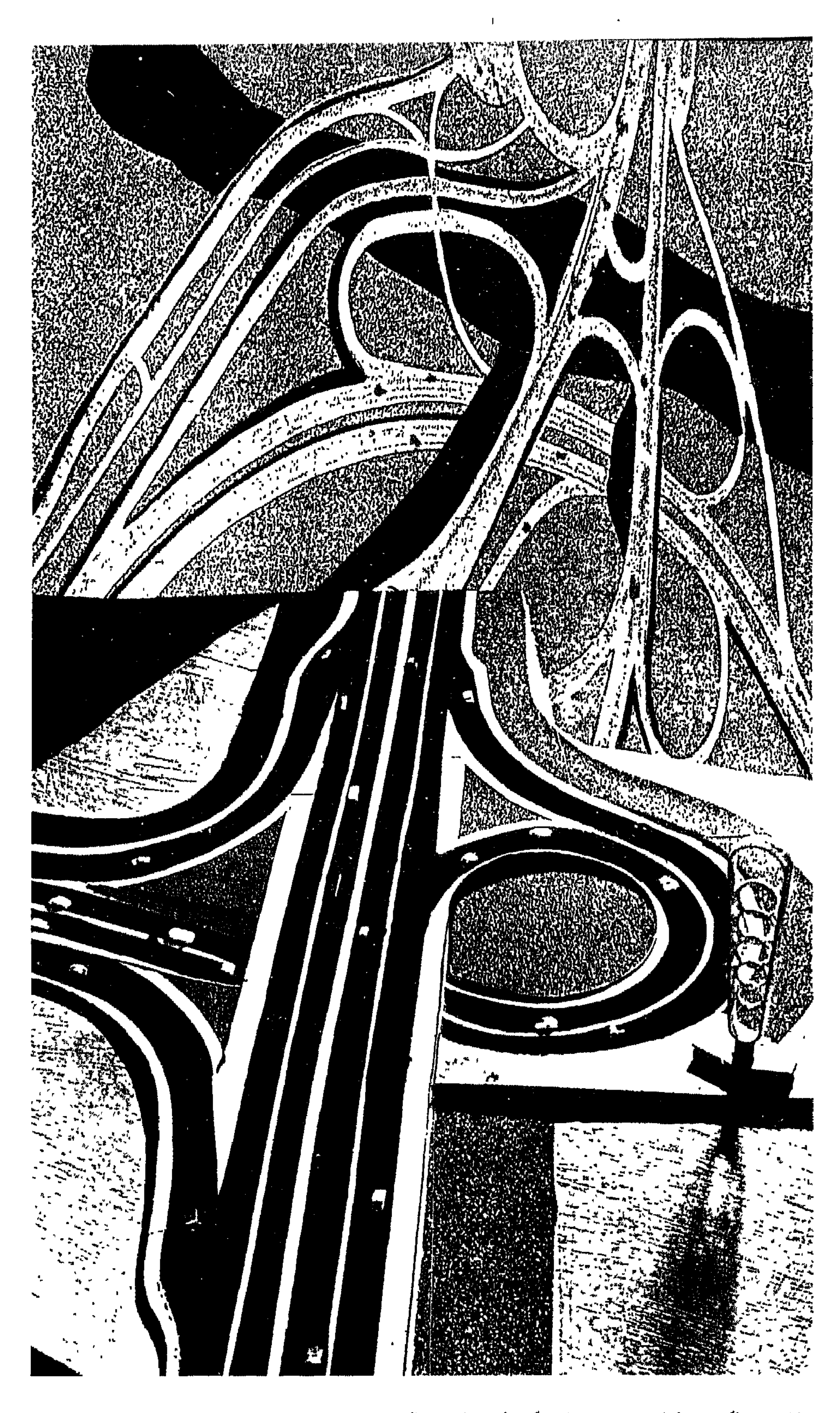
ومع ذلك فستبقى تلك المشروعات كعهدنا بها فى كل من القائمتين ـ وإذا كانت شركة مصر الجديدة وبلديتها قد اعتمدت بدورها على الحكومة فى إنشاء المترو أو كهربته، لكان شأن الضاحية شأن قليوب والبدرشين ولا تبعد إحداها عن القاهرة بعد هليوبوليس عنها.

سوف لا تحول اقتصاديات التعمير، تلك المشروعات وحدها إلى مشروعات تجارية بحتة، بل ستنقل منها إلى إنشاء ما تحتاج إليه قاهرة الغد، من كبار وأنفاق، وما يرتبط ببعضها من منشآت تجارية، كالكازينوهات والمسارح النيلية والمنشآت العامة.

كما ستسيطر على جزء كبير من نشاط المدينة، بإدارة مسارحها الرسمية، وبرامج نشاطها الحيوى والسياحى طول العام ـ ستشمل برنامج اقتصاديات العمران على شبكة واسعة من مختلف ميزانيات مصاريف التخطيط والإنشاء والتوسع والصيانة والتجميل وما تغطيها من إيرادات تكون على شكل دستور اقتصادى ليس به مجال للارتجال أو المفاجآت.

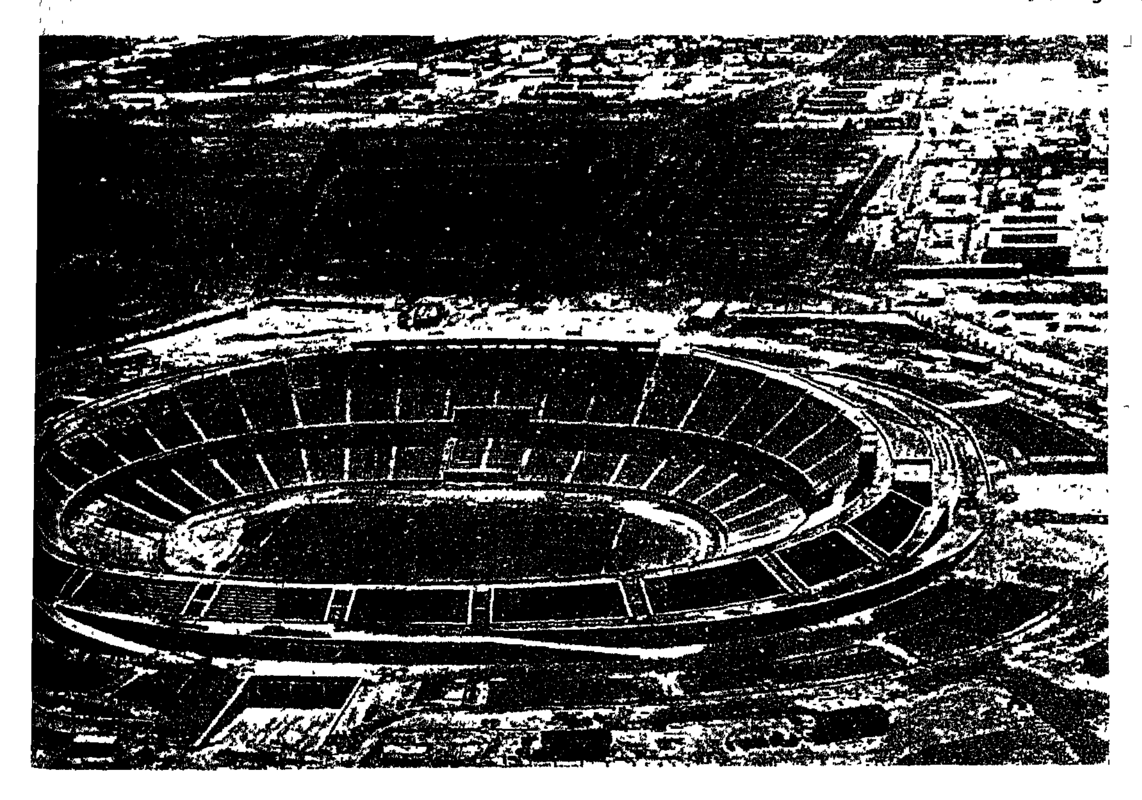


القاهرة الكبرى فى ميدان التخطيط العمرانى

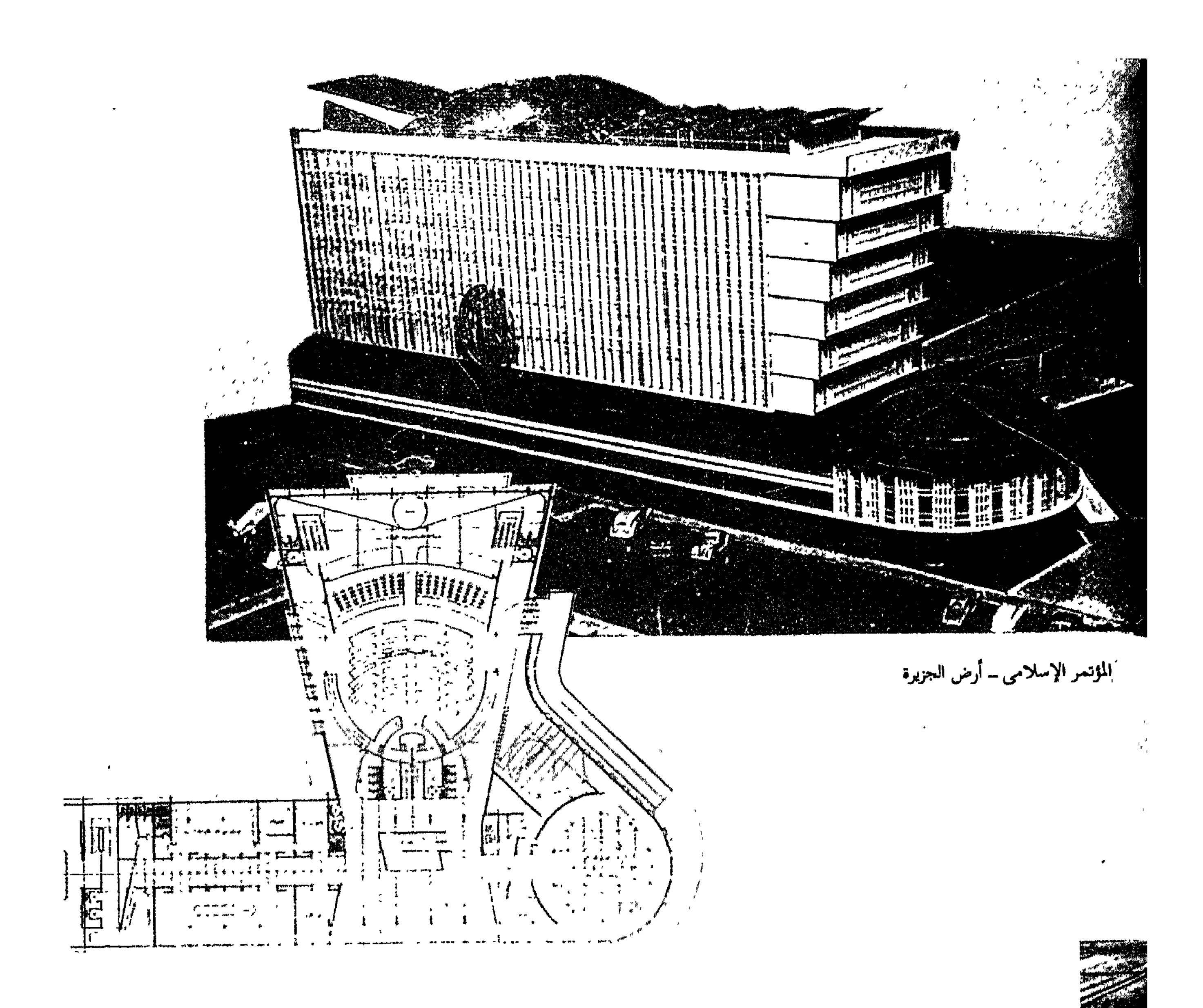


الانفاق والكبارى العلوية فى تخطيط شبكة المرور بالقاهرة الكبرى

مركز السياحة العلاجية حلوان الجديدة



استاد القاهرة

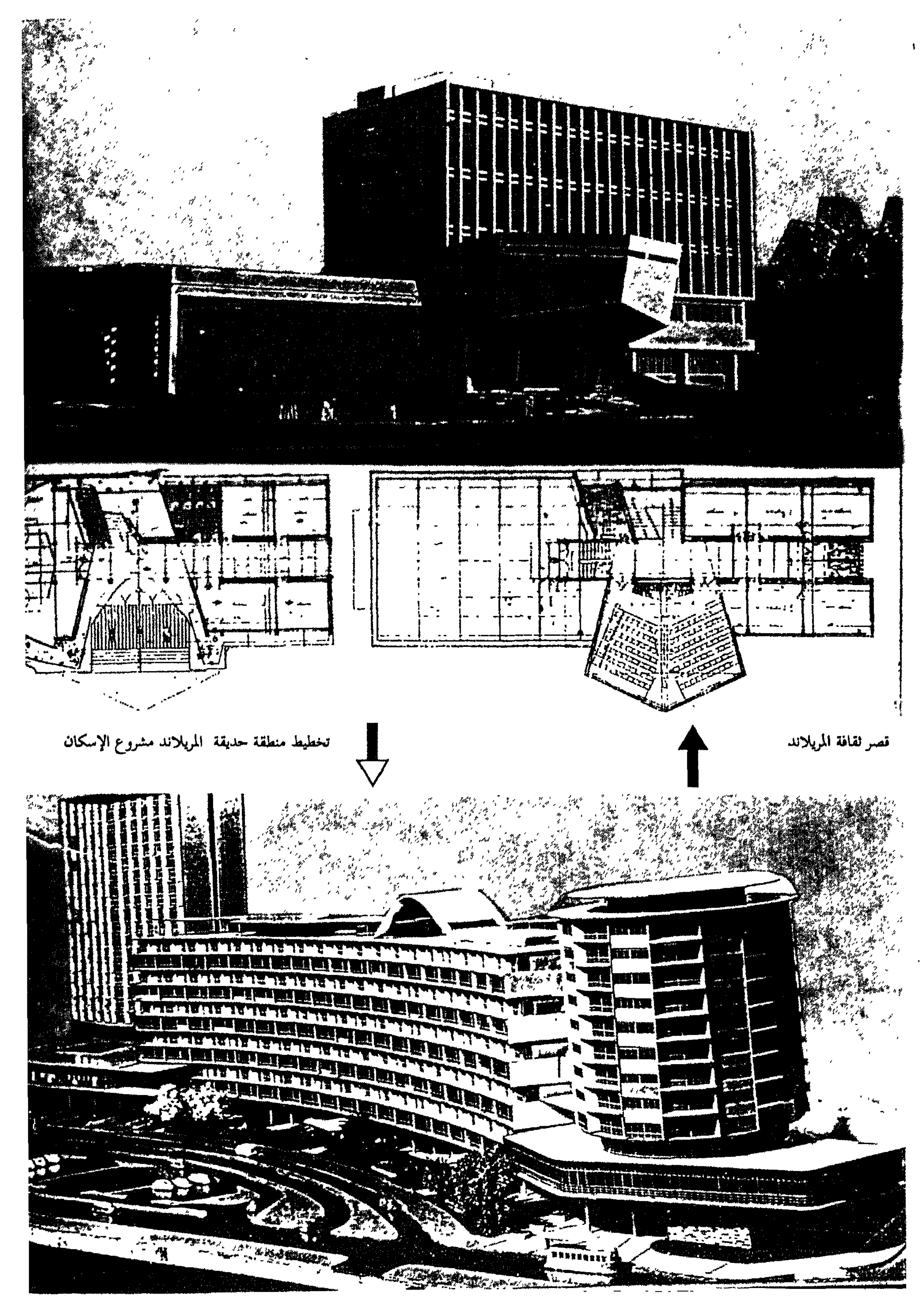


المؤتمر الإسلامى ـ أرض الجزيرة

إن ميزانيات بعض البلديات قد أصبحت من القوة ،بحيث أمكنها أن تقرض الحكومات نفسها. لا أن تعيش عالة عليها.

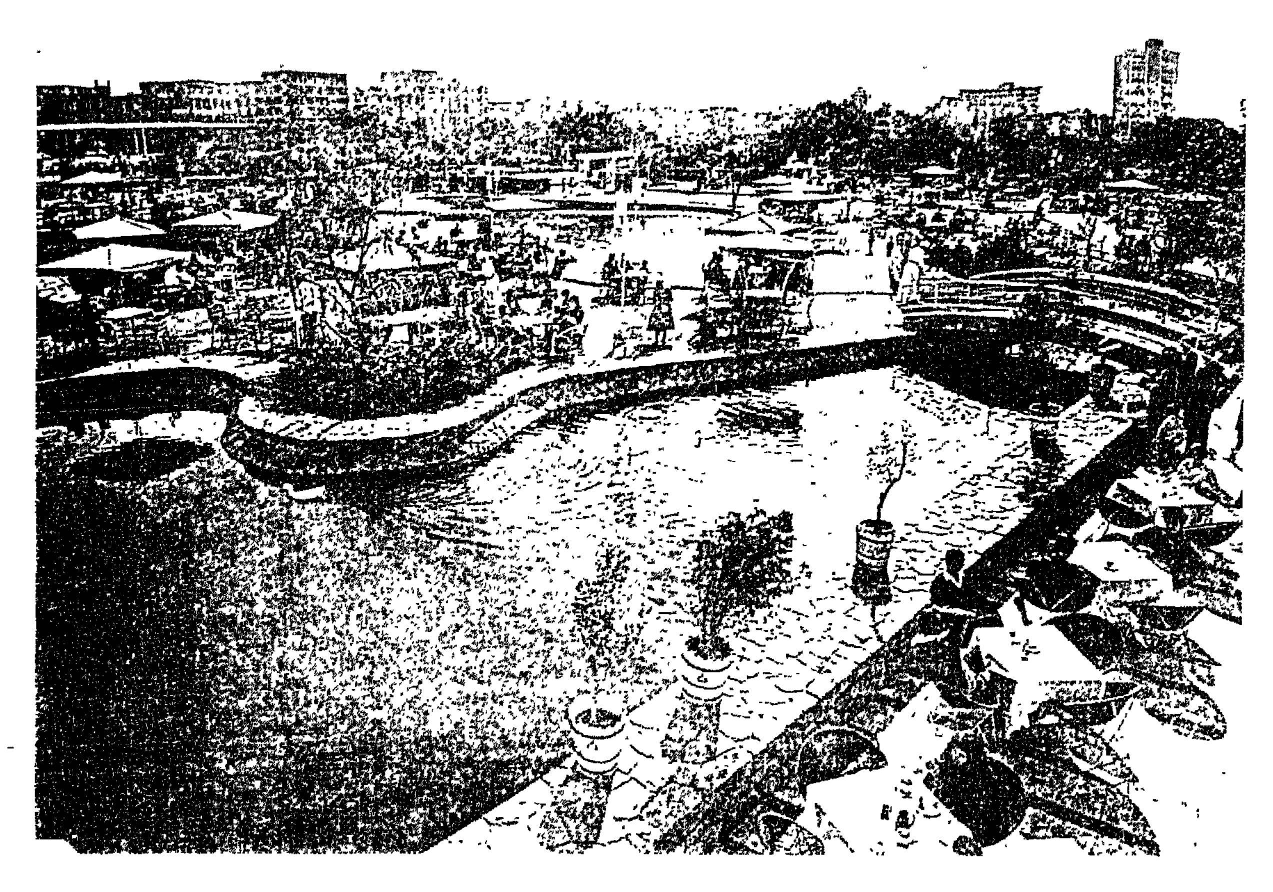
لقد كنت أول من نادى من فوق هذا المنبر بضرورة إنشاء بلدية القاهرة، وبحاجة القاهرة إلى بلدية، وكان ذلك فى عدة مؤتمرات سابقة قبل الحرب بعدة سنوات. وذلك لأنى أومن بفضل البلديات على نشأة المدن والمحافظة على كيانها.

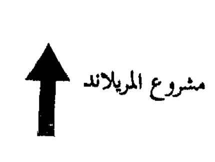
وكنت أول من نادى بالإسراع بوضع البرنامج التكوينى الكامل، وشبكة اقتصادياته لأنى أومن بأن أى محاولة أخرى لإصلاح مدينة القاهرة بغير ذلك البرنامج ستكون ضرباً من الارتجال.



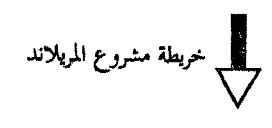
قصر ثقافة المريلاند

تخطيط منطقة حديقة المريلاند مشروع الإسكان

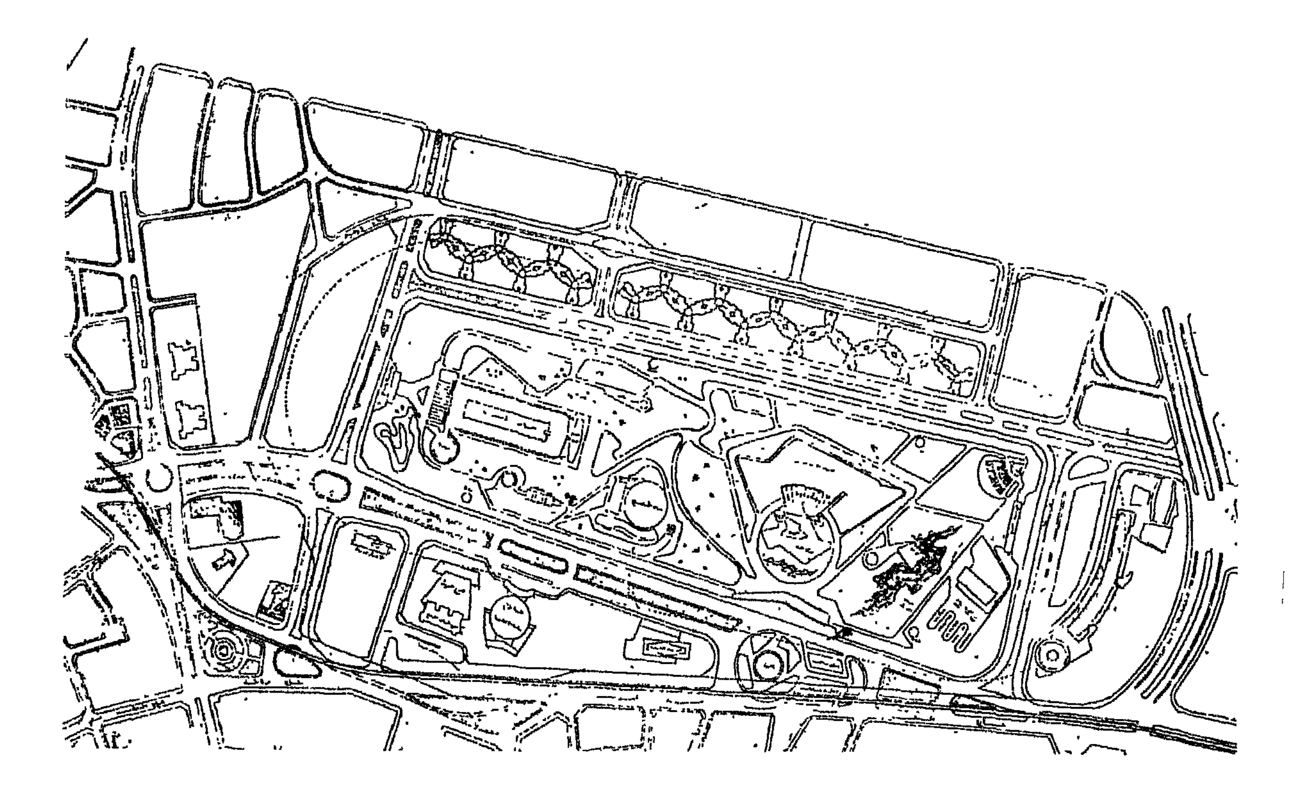


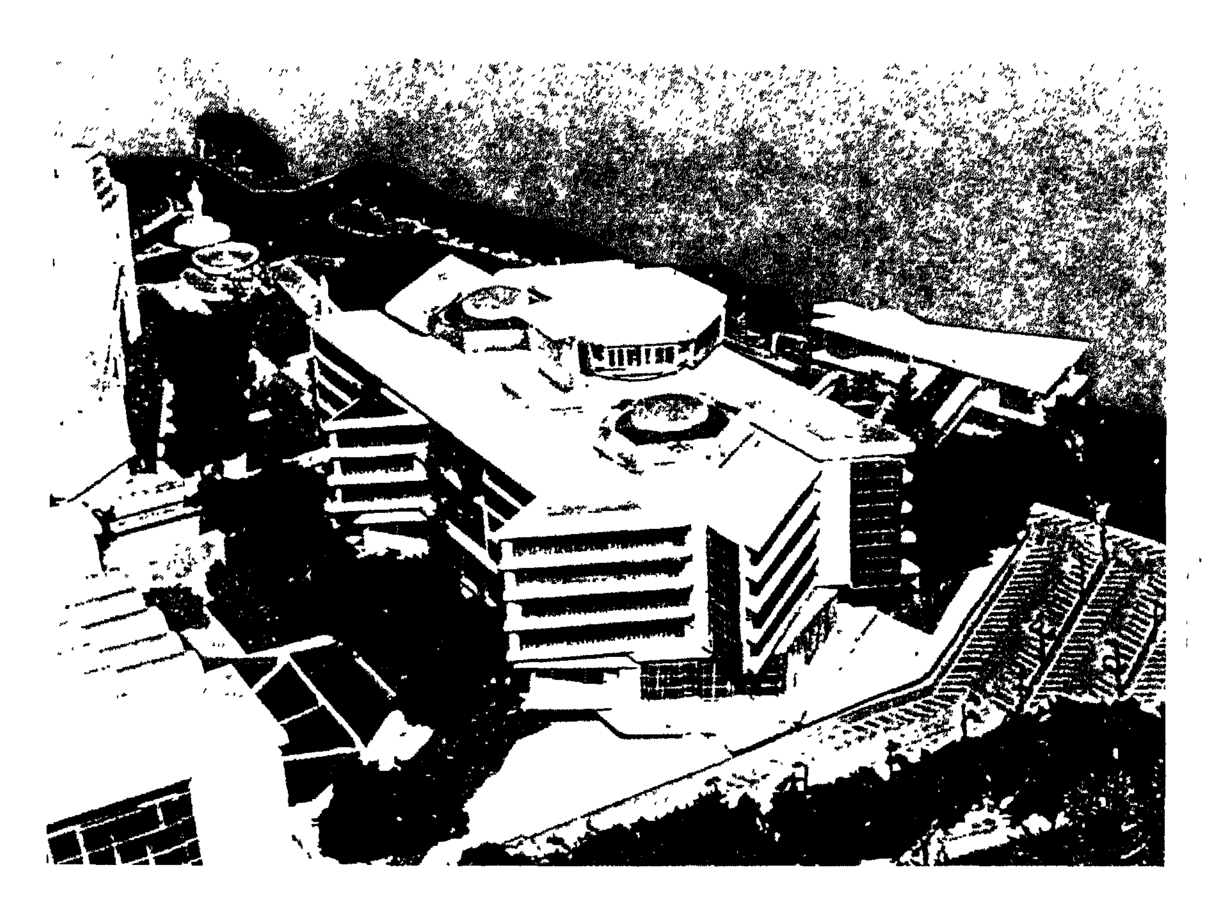


مشروع المريلاند

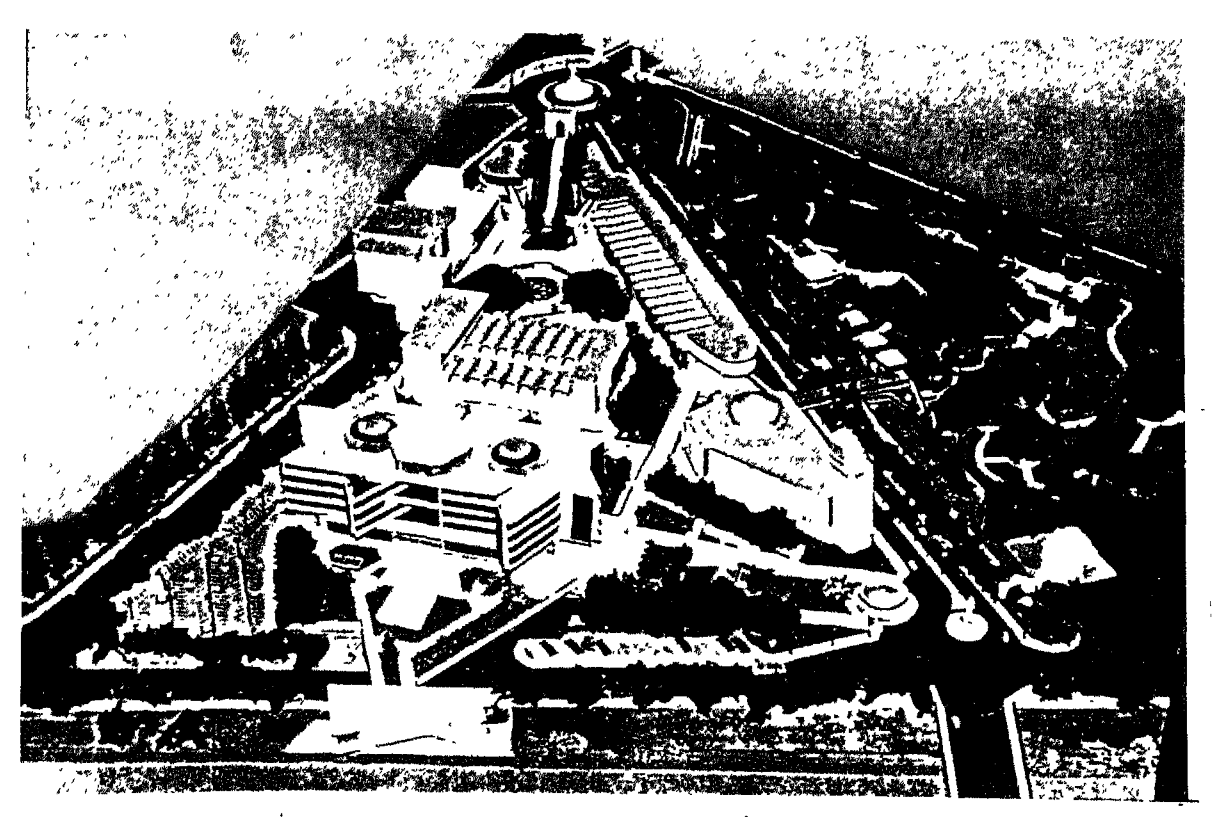


خريطة مشروع المريلاند

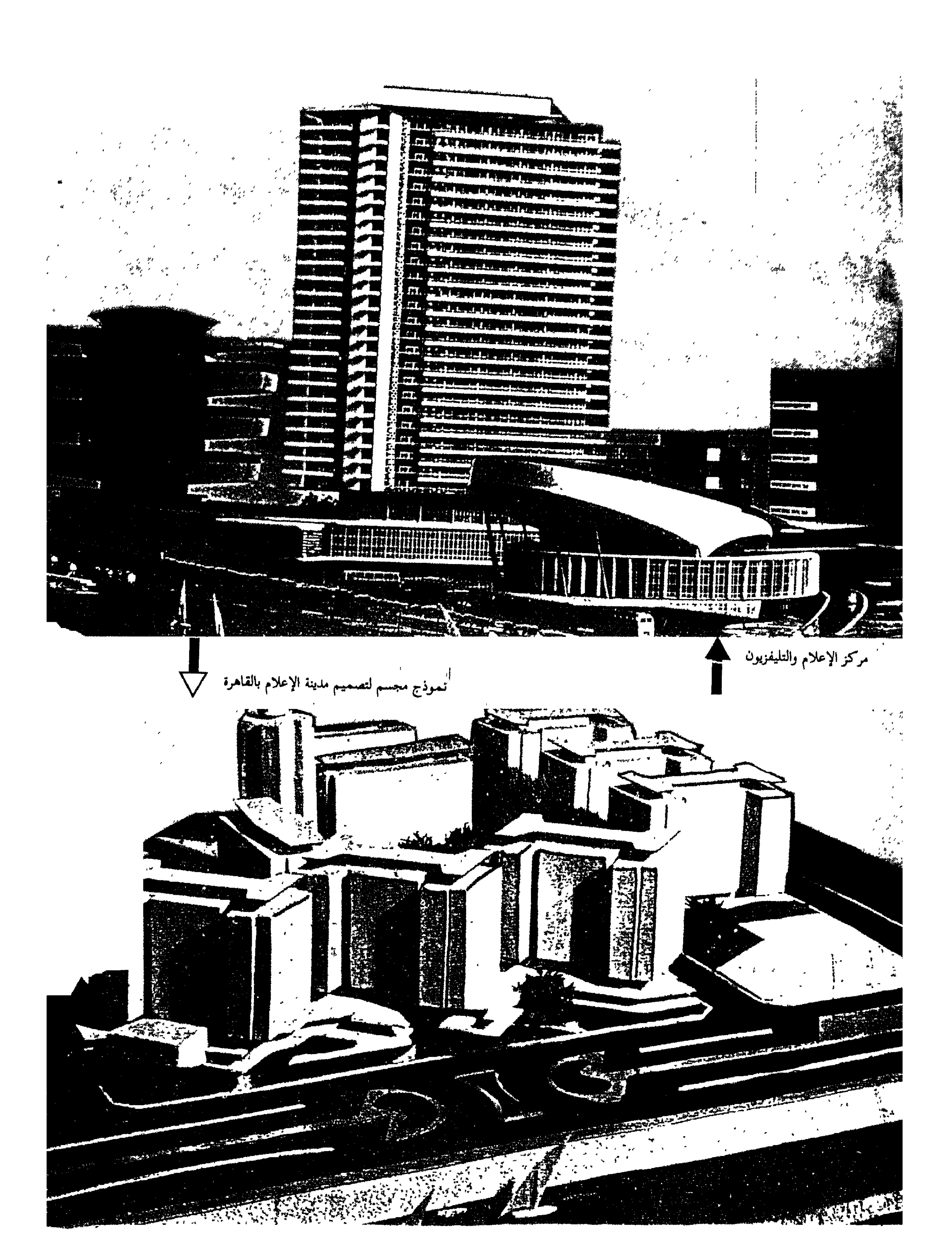




مشروع مبنى دار الحضارة ـ بأرض المعارض بالجزيرة

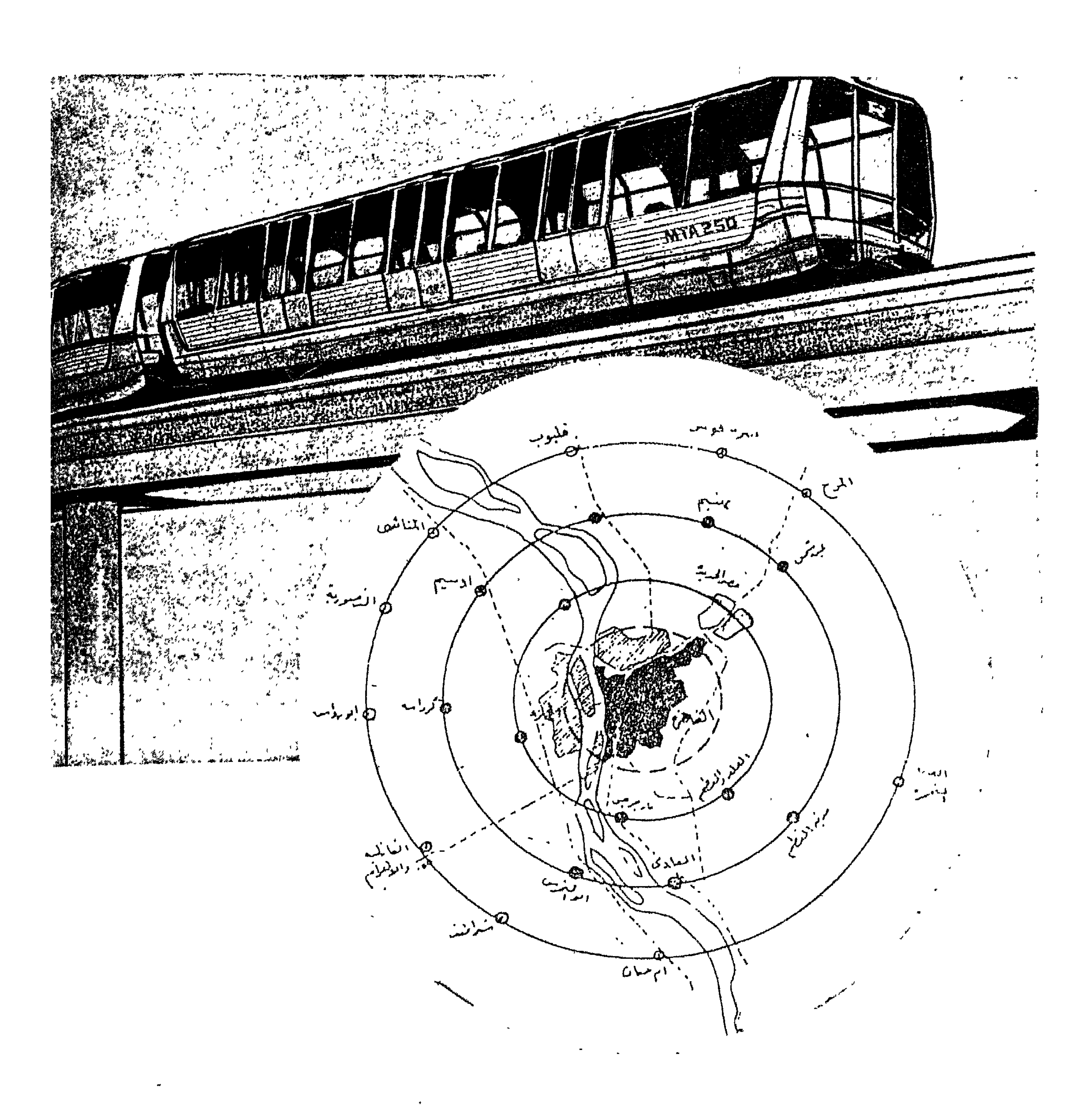


تخطيط منطقة أرض المعارض بالجزيرة ـ متحف ودار الأوبرا



مركز الإعلام والتليفزيون

نموذج مجسم لتصميم مدينة الإعلام بالقاهرة



الخط الدائرى والمونوريل القطار الطائر

القاهرة الكبرى فى ميزان التخطيط العمرانى

● إن مشروع تخطيط القاهرة الكبرى الذى تم إعداده وتقديمه عام ١٩٥٢ ارتكز وضعه على نظرية التخطيط للمدن الذى ينظر فيه إلى المدينة على أنها كائن حى.

يولد وينمو ويتحرك ويمرض ويموت، وهو ما يجب وضعه فى الاعتبار عند تخطيط المدن التى يطلب لها الحياة والنمو والاستمرار، ولذا فالتخطيط العضوى للمدن تخضع للأبعاد الحيوية الأربعة التى تعمل على تطور المدن ونموها وبقائها، وهى البعد السياسى والبعد الاقتصادى والبعد الاجتماعى وفى مقدمتها البعد الزمنى وهو البعد الذى كان فى تجاهله انفجار كيان المدن وإنهيار تخطيطها.

يطلق على البعد الزمنى فى التخطيط ـ التخطيط الخمسينى ـ أى أن يعد تخطيط المدينة لعدد سكانها المتوقع بعد خمسين سنة وما تحتاج إليه الكثافة السكانية من خدمات ومرافق يجب أن يسبق تطور حجمها تطور الكثافة السكانية نفسها.

فتجاهل ذلك البعد الزمنى وعلاقته بمراحل التنفيذ الزمنية تدفع المدن إلى الانفجار السكانى ـ سرطان المدن.

كان عدد سكان القاهرة عام ١٩٥٢ عند وضع التخطيط يبلغ أربعة ملايين ساكن. عند دراسة الزيادة السكانية المحتملة والمنتظرة بعد خمسين سنة وفقاً للزيادة السكانية الطبيعية بالزيادة الطارئة الخاصة بالهجرة المشروعة وغير الشرعية وجد أن سكان المدينة سيصل بعد خمسين سنة إلى عشرة ملايين ساكن فوضع تخطيط القاهرة فى حدود مساحتها الثابتة والمحددة لتسع سبعة ملايين ساكن وتنقل الزيادة إلى ما يطلق عليه اسم ضواحى التعمير الدائرى التى يربطها ببعضها وبالمدينة الأم بالطريق الدائرى والمحاور الطولية ووسائل النقل السريع الخاص بكل منها.

تتفق تلك الأرقام التى وضعت من خمسين عاما مع وصلت إليه القاهرة اليوم بعد استبعاد ما يطلق عليه بالهجرة غير المشروعة.

لم يبدأ التفكير فى تنفيذ مشروع القاهرة الكبرى إلا بعد مرور ربع قرن على تقديمه.. عندما دق الانفجار السكانى ناقوس الخطر بإنهيار المدينة.

فى مقدمة عناصر التخطيط للمدن ودراسة شرايين الحياة فى المدينة وهى طرق المرور التى يتدفق خلالها دم الحياة وهى وسائل النقل حيث تتمشى سعة الشرايين مع كثافة الدم، حتى لا تصاب الشرايين بالانفجار.

عند إحصاء وسائل النقل عام ١٩٥٢، وجد أنها تقرب من خمسين ألف سيارة، وجد أنه بتطور كثافتها سيصل عددها بعد خمسين سنة ما يزيد عن المليون سيارة وهو الرقم الذى وصلت إليه فعلاً اليوم.

بمقارنة تلك الكثافة من دم الحياة المتدفقة فى شرايين المدينة والتى ستعمل حتماً على انفجارها وجد أنها تحتاج إلى زيادة سعة وأطوال شوارع وطرقات النقل فى وسط المدينة إلى سبعة أمثال سعتها الحالية. اشتمل برنامج شبكة المرور وشرايين المدينة على تغطية ذلك البرنامج بإنشاء طرق طولية وعرضية جديدة ذات سعة ترتبط بحركة مرور وسائل النقل على اختلاف أنواعها، منها على سبيل المثال كورنيش النيل الشرقى الذى يمتد من مدخل القاهرة الشمالى بشبرا إلى مدخلها الجنوبى «حلوان» بعرض ٦٠ متر اكتفى بتخفيضه إلى ٣٠ متراً. وكورنيش النيل الغربى وطرق شواطئ النيل بجزيرة الزمالك، كما يربط شواطئ النيل ثمانى كبارى يتفق عددها وسعتها مع كثافة المرور بين جناحى المدينة القاهرة والجيزة ولم ينفذ منها سوى ثلاث كبارى فقط.

يكمل المحاور الطولية شبكة الطرق الدائرية ابتداءاً من الدوائر الداخلية التى تربط المناطق الداخلية ببعضها بالحركة الدائرية إلى الطرق الدائرية التى تربط الأحياء ببعضها لطريق صلاح سالم، ثم طريق القطامية امتداد إلى الطريق الدائرى الخارجى الذى يطوق المدينة بأكملها.

أمكن تغطية مساحة الطرق وإنسيابها داخل المدينة نفسها بإقامة الطرق العلوية ـ الكبارى ـ التى تساعد على إنسياب حركة المرور وتفادى مراكز تقاطع الطرق والميادين ومرونة الانتقال بين الأحياء المتباعدة ـ الاتصال المباشر ـ أو التقاطع مع الطرق السريعة.

تشمل وسائل النقل التى وضعت لمدينة القاهرة العلوية منها وهى المونوريل (القطار الطائر) الذى حدد مساره كوسيلة للنقل السريع على الطريق الدائرى الخارجى أو المحاور الطولية للانتقال من المقطم إلى أهرام الجيزة مروراً بجزيرة الدهب السياحية. ويقوم المونوريل الطائر بدور مهم فى خدمة السياحة.

وتنتقل شبكة النقل والمرور إلى باطن الأرض لتكتمل وسائل النقل التى أمكن تغطيتها بالجمع بين النقل البرى على سطح المدينة والبحرى بين شواطئ النيل وفوق مجراه إلى الكبارى العلوية التى تنتقل فوق الأحياء والميادين ونهر النيل إلى القطار الطائر الذى يحلق فى سماء العاصمة لتحتل وسائل النقل مكانها فى باطن أرض العاصمة بشبكة مترو الانفاق الذى رأى النور بعد ربع قرن من تخطيطه.

المنشآت والمبانى الرئيسية التى اشتمل عليها تخطيط القاهرة الكبرى ـ العناصر الأساسية فى تخطيط العواصم العالمية:

فى مقدمة الاشتراطات الخاصة بتخطيط العواصم العاليمة أن تكون العاصمة مدينة مفتوحة وذلك بإخلائها من المراكز والمناطق العسكرية أو الدفاعية حتى يضمن العالم تأمينها والدفاع عنها من أى اعتداء يهدد سلامة مواطنيها.

اشتمل برنامج تخطيط القاهرة الكبرى فى المرحلة الأولى من مراحل التخطيط إزاله جميع المناطق العسكرية وفى مقدمتها ثكنات قصر النيل وثكنات العباسية والتى تقع بدورها فى قلب القاهرة.

مع بداية عرض المشروع قبل قيام الثورة وتم تخطيط أرض ثكنات قصر النيل بعد الموافقه على إزالتها، واشتمل التخطيط على اقامة مشروع أطلقت عليه اسم هيئة الأمم العربية ـ الذى أطلق عليه اسم جامعة الأمم العربية وأقيم بجواره

فندق الضيافة ومبنى المؤتمرات وقامت بتنفيذه شركة هيلتون ورفضت محافظة القاهرة إنشاء قاعة المؤتمرات الملحقه بالفندق، لأنها تتعارض مع اشتراكات التخطيط وقانون المبانى.

والمشروع الثالث بأرض الثكنات خصص لإقامه متحف عالمى للآثار يكون امتداداً للمتحف الحالى الذى رؤى الاحتفاظ به كأثر تاريخى والحاقه بالمبنى الحضارى الجديد الذى يمتد ليطل مدخله الرئيسى على كورنيش النيل الجديد الذى سيكون أحد معالم القاهرة الكبرى الجديدة.

ولم يكتب للمشروع الخروج إلى حيز الوجود والتنفيذ عندما قرر المسئولون اختيار ذلك الموقع المطل على النيل لإقامة مبنى بلديه القاهرة بدل المتحف.

. مركز القاهرة السياحى والإعلامى بكورنيش النيل وإقامة مبنى للتليفزيون ثم إقامه مبنى التليفزيون بعد عشرين عاما من تخطيطه وتقديمه.

أما مركز الإعلام والفندق السياحى الخاص بالإعلام، وقامت مصر بعرضه فى معرض سياتل، فنال الجائزة الذهبية، وتقدمت شركه شيراتون لتنفيذه وتمويله. وافقت الدولة وقام الرئيس جمال عبد الناصر بوضع حجر الأساس وتم حفر الأساسات ثم أوقف المشروع لأسباب سياسية وصدر قرار بإقامة مبنى وزارة الخارجية مكانه.

● **تحويل مدينة حلوان** (مدخل القاهرة الكبرى الجنوبى) الى مركز عالمى للسياحة العلاجية عند عرض المشروع فى الخارج، تقدمت إحدى شركات الحكومة السويدية وافقت على تنفيذ المشروع وتمويلة وادارته.

عندما حضر مدير الشركة وخبراء التنفيذ لتوقيع العقود والبدء فى تنفيذ المشروع، فوجئوا بأن وزارة الإسكان قد خصصت أرض المشروع للمساكن الشعبيه ومساكن العمال.

● **تحويل جزيرة الذهب** إلى مركز سياحى متكامل للسياحة العالمية.

● **تحويل جزيرة وراق الحضر** إلى متحف مفتوح تنقل إليه بعض المعابد التى سيغمرها مياه السد بالإضافة إلى مجموعة ضخمة من التماثيل والأعمدة والمنشآت الملقاه فى الوديان والصحارى.

● **إنشاء متحف الحضارة ودار الاوبرا** على أرض المعارض بالجزيرة. ثم اعداد مشروع المتحف الذى أشاد بتصميمة خبراء هيئة اليونسكو ووافقت الهيئة على تمويل المشروع بالكامل الذى قدر بمائتى مليون دولار واشترك مدير اليونسكو مع الرئيس أنور السادات فى وضع حجر الأساس. وإذا بهيئة الآثار تطلب طرح المشروع فى مسابقة عامه بين المهندسين المصريين بالاشتراك مع خبراء هيئة الآثار.. وقامت الوزاره بطرح المسابقة وإرسالها على من تثق فى خبرتهم، وأرسلوا لليونسكو للاطلاع على نتيجة المسابقة.. فكان رد اليونسكو أن الموضوع يعتبر منهيا بإنسحاب اليونسكو عن تمويل المشروع الذى رفضته الحكومه بعد أن اشترك رئيس الهيئة مع رئيس الحكومة فى وضع حجر الأساس.

● **اما مشروع الأوبرا** فقد أسندت الوزارة تنفيذه لإحدى الشركات اليابانية التى اشتركت فى تمويله.

● ستاد القاهرة والمدينة الرياضية.

ثم اختيار موقع الاستاد والمدينة الرياضية بالنسبة للتخطيط العام للقاهرة الكبرى ليتوسط المدينة المركزية الجديدة التى تم اختيارها لتحل محل الثكنات العسكرية بالعباسية، ويشترك مع الاستاد والمدينه الرياضيه بعض العناصر الرئيسية التى تفتقد إليها مدينة القاهرة الكبرى لمركز مجمع المعارض ونقل بعض الوزارات من أماكنها الحالية الى المدينة الجديدة التى أطلق عليها اسم مدينة نصر وقد تاجل تنفيذ المشروع عشرين عاماً الرفض المسئولين نقل الثكنات العسكريه من موقعها.

● جامعات القاهرة الكبرى الثلاث وهى القاهرة وعين شمس والأزهر وبرنامج تحويلها إلى مدن جامعية متكاملة، يشمل تطور تخطيط كل منها إلى ما تحتاج إليه من معاهد تخصصيه، ومعامل تتمشى مع تكنولوجية تطور الثقافة العالميه بالإضافة إلى تأمين الجو الثقافى والاجتماعى فى إسكان الطلبة والعلماء المتفرغين، والعاملين الفنيين بالمدينه الجامعيه ، وروعى فى التخطيط تحديد وحصر مساحات الأراضى اللازمة لتحقيق المشروعات والعمل على وقفها لترتبط مع البعد الزمنى لحياة المدينة عمرانيا وثقافيا واجتماعيا.

مشكلة المرور فى القاهرة الكبرى:

ليست مشكلة المرور التى شغلت المسئولين فانعقدت لها مختلف اللجان الفنية فى المصالح الحكومية، بمشكلة طارئة، بل هى كأى مشكلة أخرى نواجهها اليوم، فجذورها تمتد إلى عشرات السنوات.. وما من بلد فى العالم واجه المشكلة نفسها ووضع لها الحلول إلا وكانت دراسات المرور ومشاكله ترجع إلى عشرات السنين، ولذا فلا تعد من المشاكل الطارئة.

ولما كانت مشكلة المرور التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتخطيط المدن ـ وإحصائيات وسائل النقل التى تلعب الدور الأساسى فى مشاكل المرور، هى فى مقدمة الإحصائيات اللازمة لتخطيط المدن، لذا فلم يكن اهتمامى بدراسة المرور ومشاكله وليد اليوم.. أو وليد أزمة اليوم الطارئة كما يحاول البعض وصفها.

ولقد لفت نظر الحكومات السابقة والمسئولين فى سنة ١٩٤٠، إلى ضرورة الاستعداد لمشاكل المدينة بعد الحرب، ووضعت بحثاً كاملاً لحل مشكلة المرور «وانتظار السيارات فى مدينة القاهرة «بعد الحرب»، وربطت تلك المشروعات الإصلاحية باقتصاديات الوقاية فى سلسلة من الأبحاث نشرت فى الصحف المصرية بعنوان «تكاليف الإصلاح فى السلم، ومصاريف الوقاية فى الحرب»، وكان فى مقدمة الأبحاث التى وضعتها لمشكلة انتظار السيارات، استغلال المخابئ الوقائية لتحويلها إلى أماكن انتظار السيارات. وفى مقدمة المشروعات التى وضعت تصميماتها، مشروع إنشاء جراج عام تحت ميدان الأوبرا يسع ٨٠٠ سيارة ويستغل وقت الحرب كمخبأ عام للمنطقة بأكملها ويسع ١٠٠٠٠ ساكن، وقد روعى أن تكون اتصالاته ومداخله من جميع الشوارع المحيطة به والتى تستعمل بعد الحرب.

وقيل وقتها إنه مشروع خيالى.. فليس فى القاهرة أزمة سيارات، ولن تكون فى القاهرة أزمة لأماكن انتظارها، ووضعت مشروعاً آخر بإنشاء الممرات السفلية تحت الشوارع، لتستعمل للمشاة بعد الحرب، ومخابئ وقت الحرب، حتى يمكن الاستفادة استفادة مزدوجة للمبالغ التى تصرف فى أعمال الوقاية وضرب عصفورين بحجر واحد.

ومشروع ثالث بعمل بعض الشوارع مزدوجة الجزء السفلى فيها يستغل بعد الحرب لانتظار السيارات، وهكذا قدر لتلك المشروعات «الخيالية» أن تأخذ طريقها إلى سلة المهملات، أو ملفات الحفظ بالوزارات، واتهم واضعها بأنه خيالى.

وفى سنة ١٩٤٨، عرض المشروع نفسه فى صحافة الغرب وفى أمريكا بالذات، واعتمدته الهيئة العليا للوقاية على أنه بحث قيم. وبدئ فى عمل الدراسات الخاصة به لاستغلاله للوقاية من الحرب الذرية، وفى سنة ١٩٥٢ ظهرت عدة مشروعات فى كل من فرنسا وسويسرا وأمريكا، لا تختلف عن مشروع ميدان الأوبرا، وسليمان باشا، وشارع قصر النيل، الذى وضع فى سنة ١٩٣٩.

وفى أكثر من مؤتمر عقد فى السنوات التى تلت الحرب، تعرضت لمشكلة المرور فى مصر وعلاقتها بإحصائيات النقل والانتقال، وكثافة السكان وتخطيط المدينة، ولم تكن فى نظر المسئولين أكثر من مقالات أو أبحاث «قيمة».. وكأنها وضعت لبلد آخر... لأنه مادامت السيارات تجد طريقاً تسير فيه... ومادامت وسائل التخدير تخفف ما يظهر من صعوبات، فليس هناك مجال أو داع لدراسة مشكلة المرور واعتبارها مشكلة جدية تستحق الاهتمام والدراسة.

وفى سنة ١٩٥٢، تعرضت للمشكلة نفسها فى مؤتمر الهيئات البلدية، وأثرها فى تخطيط المدن، الذى عقد فى الجامعة الأمريكية فى فبراير ١٩٥٢، وقد وضحت فى البحث الخاص بالقاهرة كمدينة، العلاقة الحقيقية بين تخطيط المدينة ومشاكل المرور بها.

وفى سنة ١٩٥٣ وضعت بحثاً شاملاً جديداً لمشكلة المرور فى القاهرة، وأعددت معرضاً كاملاً لمختلف مشاكل المرور، وما يلزم لها من حلول جدية وعملية، لمواجهة «نكبة» المرور فى المستقبل القريب، وقد طبع البحث فى مؤتمر روتارى الدولى.

إن مشكلة المرور، لن يحلها أى علاج سطحى، أو أية وسيلة من وسائل التخدير، بل يجب أن نعرف أولاً أساس المشكلة وسببها، أو ما يسمى أساس العلة وموضعها فى الجسم، فلا نتعجل بوصف الدواء قبل أن نعرف موضع الداء وسببه، ومدى تأثيره على جسم المريض.

ولا يمكننا أن نحل مشكلة المرور بغير دراسة تخطيط المدينة نفسها، لتحديد علاقة المرور بجسم المدينة نفسه، وهو ما سأضطر لشرحه مرة أخرى، حتى يكون التشخيص سليماً ومحدداً للمرض نفسه.

شرايين المدينة

تعتبر المدينة فى نظريات تخطيط المدن الحديثة ،كأى كائن عضوى حى.. يولد وينمو، ويتحرك ويتغذى، ويتنفس ويفرز مخلفاته، ويمرض ويموت. تتوقف حيويته ونشاطه على صحة جميع أعضائه، فكما أن للكائن الحى هيكل عظامه، وتكوينه التشريحى، ومختلف شبكاته الدموية والعصبية والهضمية إلخ، وما يتصل بها من مراكز القوى والحركة، كالقلب، والمخ، والرئتين، والمعدة، والتى تعمل مجتمعةً على احتفاظه بحيويته وحياته، كذلك المدينة. فللمدينة شرايينها التى يتدفق فيها دم الحياة أو حركة المرور والنقل والانتقال والمواصلات والتموين، وتتكون شبكاتها من مجموعة من الطرقات والشوارع المختلفة الأبعاد والاتجاهات والمناسيب، بالنسبة لأرض المدينة والغرض بالنسبة لوضعها فى التخطيط ـ

تلك الشبكة التى تربط خلايا المدينة ببعضها من ناحية.. وبقلب المدينة من ناحية أخرى، فتتحول بدورها إلى شبكة تكوينية كاملة من الشرايين والأوردة الدائرية الحركة، فكلما انتظمت دورة تلك الشبكة التى تشبه الشرايين والأوردة فى نسيجها، انتظم توزيع الضغط عليها... وانتظم المرور فى المدينة.

إن شرايين مدينة القاهرة تعانى أزمة من الضغط والتصلب الذى شل حركتها، وليست تلك الأزمة وليدة اليوم أو الأمس القريب، بل لقد بدأت فعلاً قبل الحرب الأخيرة ببضعة سنوات. وبدلا من أن يحاول المتخصصون تشخيص الداء لمعرفة أسبابه بدءوا بوصف العلاج بمختلف الوسائل ـ بدأ العلاج بالطب النفسانى، أى حل مشكلة المرور بتضييق الأرصفة لتوسيع الشوارع ـ فاختلط المارة والمشاة بالسيارات وتعقدت حركة المرور عما كانت عليه.. ثم انتقل العلاج إلى التخدير الموضعى، أى بالمرور فى اتجاه واحد، ثم بمنع انتظار السيارات على أحد جانبى الطريق.. ثم بمنع انتظار السيارات على جانبى الطريق.. وسوف لا يكون هناك حل فى المستقبل القريب إلا التخدير الكامل أى بمنع المرور فى الشارع نفسه، ما ذلك العلاج إلا بداية نكبة ستواجهها المدينة قريباً، حيث قد اختلطت الشرايين بالأوردة، وبدأ انسدادها فى أكثر ساعات النهار، بسبب توقف دورة المرور الإنسيابية، التى يتصف بها الاتجاه الواحد، أو انعدام أسس التوجيه والتفريغ الطبيعى المحورى أو الدائرى للحركة خلال المدينة، وسوف يتعرض المرور فى المدينة للانهيار الناتج من توالى المحاولات التجريبية، التى لا ترتكز على أساس علمى صحيح.

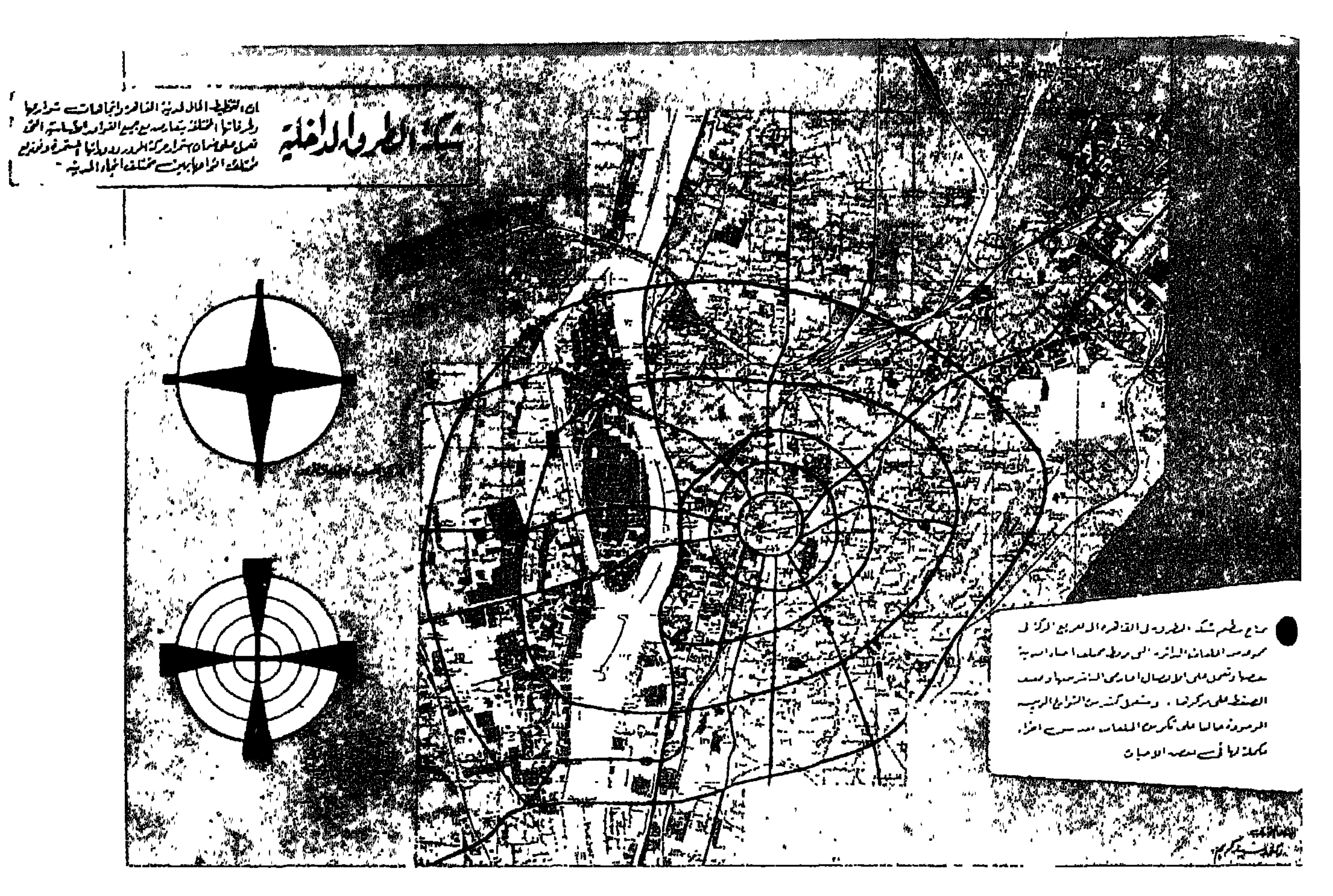
يجب أن نحدد مواضع العلة قبل أن نصف العلاج.. يجب أن نضع الإصبع على الداء نفسه بدلاً من أن ندور حوله فى حلقة مفرغة.

تخطيط المدينة

إن أساس العلة يكمن فى تخطيط المدينة نفسها.. لا فى تخطيطها الداخلى فقط، بل فى تخطيط محيطها الخارجى. فالقاهرة تعتبر مركز تقابل خطوط المرور الرئيسية المتصلة بضواحيها، سواء الحالية أو المستقبلة، فالانتقال من ضاحية إلى أخرى حالياً يضطر إلى اختراق العاصمة المركزية نفسها، لذا فالخطوة الأولى فى حل مشكلة المرور فى برنامج القاهرة الشامل، ستبدأ بالتوزيع الحلقى، أى بتحويل تلك الشبكة الإشعاعية إلى شبكة أخرى حلقية، تربط الضواحى ببعضها بطرقات حلقية لمختلف أنواع المرور والنقل، لوصل الضواحى ببعضها بغير حاجة إلى اختراق المدينة، مما سيخفف جزءاً كبيراً من الضغط لمختلف أنواع وأوزان النقل، كما سيحقق فى الوقت نفسه حل كثير من مشاكل التوزيع المنطقى للقاهرة الكبرى ومختلف أحيائها الصناعية والسكنية والإدارية والرياضية إلخ.

سيتبع تلك الخطوة تطبيق النظرية نفسها، أى الاتصال الحلقى داخل المدينة نفسها، لربط الأحياء ببعضها، فتخطيط المدينة الحالى ذو التكوين الإشعاعى، واتجاهات شوارعها الرئيسية التى تتقابل جميعها فى مركزها التجارى، يتعارض مع جميع القواعد والنظريات الأساسية التى تعمل فى ضمان استمرار حركة المرور ودوراتها المستمرة وتوزيع مختلف أنواعها بين أنحاء وأحياء المدينة المختلفة فتنظيم شبكة الطرق سيحتاج إلى تفريغ الحركة فى مجموعة من الحلقات الدائرية، التى تربط مختلف الأحياء ببعضها وتعمل على الاتصال الخارجى المباشر بينها، وتخفيف الضغط على مركزها، وسيعمل كثير من الشوارع الرئيسية الموجودة حالياً على تكوين الحلقات بعد شق أجزاء مكملة لها فى بعض الأحياء المقفلة.

إذا فحصنا شرايين القاهرة، سنجد أنه يقطعها فاصلان رئيسيان، أولهما الفاصل الشمالى، وهو خط السكة الحديد الذى يربط الوجه البحرى بالقبلى، وثانيهما نهر النيل الذى يمتد من شمال القاهرة إلى جنوبها. كان كلاهما فى



خريطة توضح شبكة الطرق الداخلية

موضعه الطبيعى فى قاهرة القرن الماضى، عندما كانت تحد شمالاً بميدان المحطة الحالى، وغرباً بمستنقعات جاردن سيتى والإسماعيلية التى كانت تفصلها عن نهر النيل. أما الآن وقد امتدت المدينة حتى أصبح عدد سكان الجزء الشمالى وحده يزيد عن عدد سكان القاهرة بأكملها من نصف قرن ،وتقرر إمكانات توسعه بما يقرب من مليون ساكن، فى حين لا يربطه بالقاهرة إلا عنق زجاجة واحد وهو نفق شبرا الذى تتجمع فيه جميع وسائل النقل والمواصلات والمرور، لتصب فى القاهرة.. وفى شارع واحد من شوارعها أو محاورها الرئيسية الذى يتجه نحو مركزها الرئيسى فى حين إذا طبقنا عليه النظريات الأولية للتخطيط وتوجيه المرور لوجدنا أن عدد الشرايين اللازمة لذلك الاتصال، يجب ألا تقل عن العشرة توزع بطول الحد.

إن محطة السكة الحديد الرئيسية التى كانت فى التخطيط القديم خارج المدينة، ستكون بدورها موضع بحث فى التخطيط الجديد، سيكون شأنها شأن كثير من مثيلاتها فى عواصم العالم الكبرى، التى واجهت المشكلة نفسها، فانتقلت المحطة الرئيسية لتوزع على ثلاث أو أربع محطات كل منها فى ركن من أركان المدينة على أن ترتبط المحطات ببعضها بواسطة الاتصال الحلقى الخارجى أما فى حالة ترك المحطة الرئيسية فى وسط المدينة، فيمكن وصول القاطرات إليها إما بالطريق العلوى أو السفلى، مع ترك منسوب سطح المدينة للمرور الداخلى، كما تم تحقيقه بنجاح فى كثير من البلاد الأخرى.

كما أن الشرايين التى تصل امتداد القاهرة الغربى الذى وصل تعداد سكانه إلى ما يقرب من النصف مليون ساكن وقابليته للتوسع، ستصل إلى المليون تقريباً بعد تغيير كل من مناطق مدينة الأوقاف والهرم، فتلك المنطقة بأكملها أيضاً لا يربطها بالقاهرة أو بقاهرة الوسط إلا كوبرى واحد وهو كوبرى قصر النيل الذى أنشئ منذ أكثر من نصف قرن، وكان الغرض من إنشائه النزهة والانتقال إلى حدائق القاهرة وغاباتها الخارجية، علماً بأن كوبرى عباس يعتبرشريانها للتموين لا أكثر ـ إن ذلك الجزء بأكمله من القاهرة أى قاهرة الغرب، لا يربطها إلا عنق زجاجة آخر، يركز حركة المرور والاتصال والتفريغ بدوره فى مركزها الرئيسى فى حين أننا إذا رجعنا إلى إحصائيات المرور والنقل وعدد السكان، وعلاقة عملهم ونشاطهم بالمدينة،لوجدنا أن تلك المنطقة أو اتصال القاهرة بالشاطئ الغربى، يحتاج إلى مالا يقل عن العشرة كبارى تعمل على توزيع الحركة وتساعد على الشبكة الحلقية للمرور والانتقال وفرز مختلف أنواع وسائله.

إن نظرة واحدة إلى تخطيط أية مدينة يتوسطها نهر، كباريس أو لندن، وحصرنا ما يعبر الأنهار التى تخترقها من كبار وقناطر أنشئ معظمها من عشرات السنين، قبل وصول حركة المرور والسيارات إلى ما هى عليه الآن، للمسنا علاقة تلك الشرايين بتخطيط المدينة، من ناحية وأثرها فى تأمين دورة حركة المرور من ناحية أخرى.

مداخل القاهرة

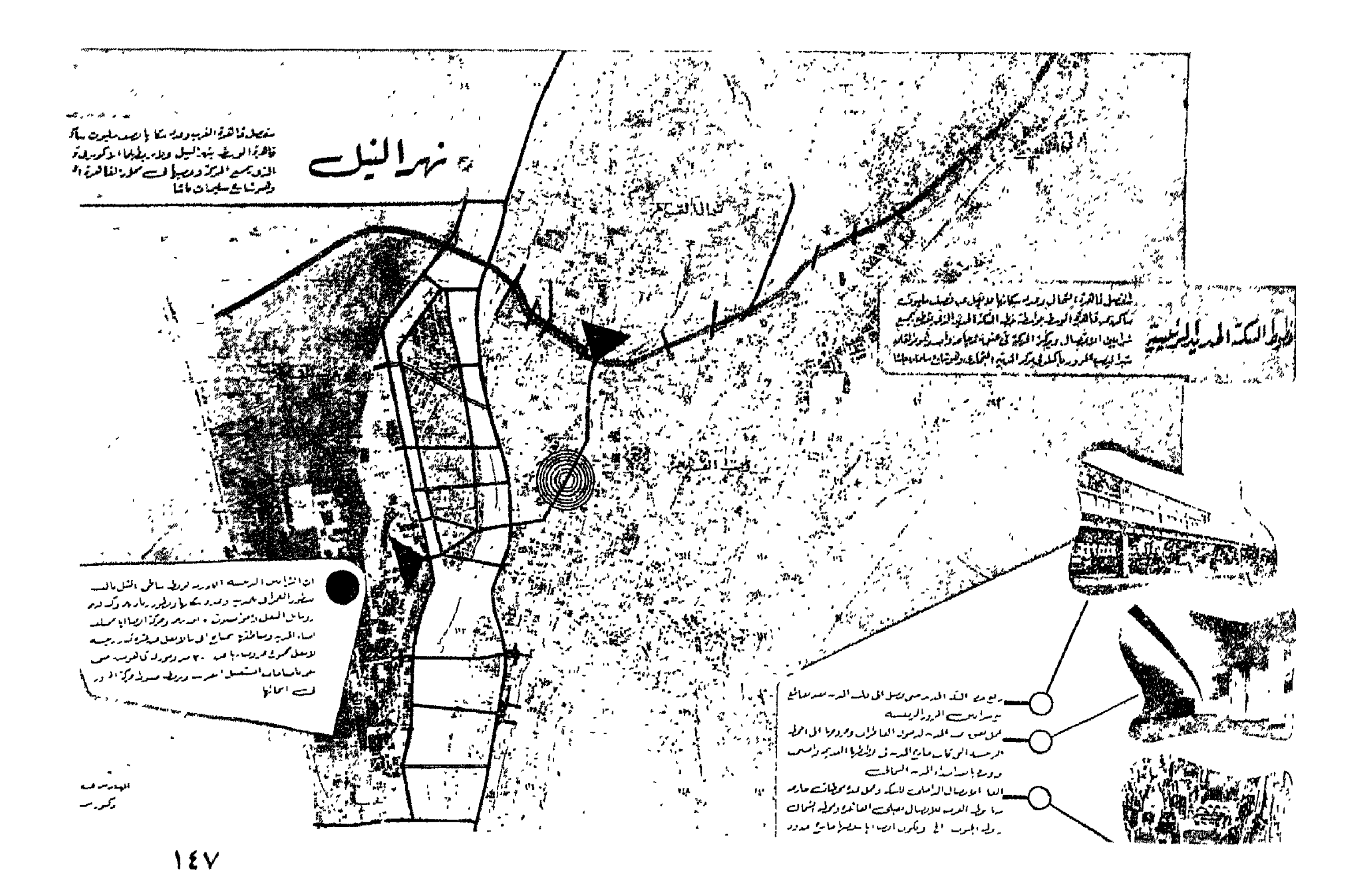
إن مداخل مدينة القاهرة الحالية أو أبوابها الرئيسية، لا تختلف كثيراً عن أبواب القاهرة القديمة، عندما كانت المدينة محاطة بأسوار عالية، ولا يصل إليها الزائر إلا عن طريق أبواب ضيقة وهى أبواب الفتوح، وزويلة، والمتولى، وغيرها مما تميزت به مدن القرون الوسطى التى لا يسمح بالدخول إليها أو الخروج منها إلا فى أوقات معينة. فمداخل قاهرة اليوم جميعها للأسف عبارة عن أبواب مقفلة أو ممرات ضيقة تدخل عبر قنوات كقنوات الدفاع فى مدن الماضى. فها هو مدخلها الرئيسى أو المدخل الشمالى عند شبرا الذى تتجمع فيه حركة النقل الخاصة بشمال الدلتا بأكمله فتدخل القاهرة مخترقة مجموعة من الخرائب تعد أسوأ مثل لاستقبال الزائر، ويمر الداخل خلال مجموعة من المتعرجات حتى يصل إلى كوبرى شبرا الضيق الذى تتعطل فيه حركة المرور بضعة ساعات فى اليوم فى أكثر أوقات المرور حركة ـ لمرور الملاحة النهرية بترعة الإسماعيلية ـ ثم ينحرف الطريق عدة مرات حتى يدخل شارع شبرا الرئيسى الذى تتجمع فيه مختلف وسائل النقل، لتتجه مركزة فى قلب القاهرة المركزى.

إن حل مشكلة المرور فى ذلك المدخل، ستبدأ بفرز المرور نفسه أو مختلف وسائل النقل، قبل الوصول إلى مدخل القاهرة نفسه، وذلك بمد طريق جديد مواز للسكة الحديد لوسائل النقل الثقيل، والمشترك من أتوبيسات ولوريات للوصول بها إلى محطة خاصة بالقرب من محطة السكة الحديد، ثم وصل خطوط نقل التموين إلى حلقة الاتصال الدائرية الداخلية الموصلة إلى مختلف الأحياء بعيداً عن طرق المواصلات الرئيسية، ومازال المكان اللازم لذلك الطريق خالياً ولايحتاج حالياً إلى مبالغ كبيرة، كما أن الاستفادة من زيادة سقع الأراضى المطلة عليه والتى يجب نزع ملكيتها لصالحه ستغطى تكاليف إعداده ورصفه، ليكون شرياناً حيوياً فى التخطيط وسيعمل ذلك الشريان لتوصيل وسائل النقل الثقيل بأنواعه إلى قلب القاهرة مباشرة بغير حاجة إلى اختراق حى شبرا وطريقه الرئيسى.

والخطوة الثانية هى مد طريق المدخل الرئيسى فى خط مستقيم، كما هو مبين فى لوحة تعديل مدخل القاهرة الشمالى. وقد وجدت بطريق المصادفة أن امتداد طريق المدخل الحالى يصل مباشرة إلى محور شارع شبرا الرئيسى، ولذا

فقد وضع فى التصميم أن يمتد الطريق على شكل أوتوستراد مرتفع يمر على شكل كوبرى فوق ترعة الإسماعيلية، ويكون منسوب الكوبرى كافياً للسماح للملاحة النهرية بالاستمرار، كما ساعد منسوب الطريق على تحقيق الاتصالات المختلفة بجميع الطرق التى تتصل به بغير تقاطع. كما يتجزأ طريق المدخل عند اتصاله بشارع شبرا الرئيسى إلى ثلاثة أفرع، يتجه آخرها إلى الغرب مكوناً مدخل كورنيش النيل، والثانى إلى الشرق للاتصال بطريق الإسماعيلية ومدخل المحطة والوسط بشارع شبرا الرئيسى.

أما كورنيش النيل الذى سيعتبر بدوره شرياناً حيوياً فى حل كثير من مشاكل المرور بمدينة القاهرة، فيبدأ من المدخل ويسير محازياً للنيل ماراً بأحياء بولاق، وثكنات قصر النيل، وجاردن سيتى، والقصر العينى، ويمتد حتى يتصل بمدخل القاهرة الجنوبى عند مصر العتيقة، سيلعب، ذلك الكورنيش دوراً أساسياً فى تخفيف الضغط على شرايين القاهرة الوسطى، مما سيعمل على التفريغ الخارجى للحركة، وقد روعى فى تصميمه أن يواجه الزيادة المضطردة فى حركة المرور خلال نصف قرن على أقل تقدير، وذلك من حيث علاقة الحركة المركزة بها الشرايين الرئيسية التى تتقاطع معه، فروعى ألا يكون تقاطعه مباشراً مع المحاور العرضية التى تعبر النيل ككبارى إمبابة وبولاق وقصر النيل وعباس، فأمكن من الاستفادة من المناسيب الطبيعية له وعلاقتها بالتخطيط الجديد لكل من مناطق الكورنيش المستجدة، فامتد فى منسوبه المنخفض ليمر تحت كوبرى إنبابة، ثم يعلو ليمر فوق كوبرى بولاق، وفقاً للتخطيط الجديد للحى، ثم ليخترق أرض الثكنات فى منسوبها الحالى، ليمر تحت مدخل كوبرى قصر النيل، ويخترق حديقة السفارة البريطانية، ثم يقابل كورنيش



جاردن سيتى الحالى، ويمتد مخترقاً خرائب القصر العينى القديم ومستشفى الكلب، ليقابل شارع القصر العينى فى ميدان كبير تتوسطه أطلال سواقى صلاح الدين الأثرية، ثم يمتد الكورنيش بمحاذاة النيل حتى يصل إلى المعادى وحلوان، حيث يدخلها فى مواجهة ركن فاروق إلى حلوان الجديدة، ومنها يتصل بالاوتوستراد الصحراوى الذى يمتد بدوره ليصل إلى المعادى والمقطم والقلعة والعباسية ومصر الجديدة، مكوناً مع كورنيش النيل طريقاً خلفيا حول مدينة القاهرة.

إن مداخل القاهرة الأخرى كالمدخل الغربى، وهو طريق الأهرام والإسكندرية والفيوم، سيرتبط بدوره بالتوزيع الحلقى ليدخل القاهرة فى أكثر من اتجاه واحد لفرز مختلف أنواع النقل والتوزيع الإشعاعى المباشر للحركة لتوزيعها على مختلف مناطق التوجيه مع مراعاة ربط كل مدخل من مداخل القاهرة بالحلقة التموينية الخارجة للأحياء، بحيث يمكن تغذية كل حى، وكل منطقة، أو الانتقال من واحدة إلى أخرى بغير حاجة إلى اختراق وسط المدينة نفسه.

الأحياء الوطنية المقفلة:

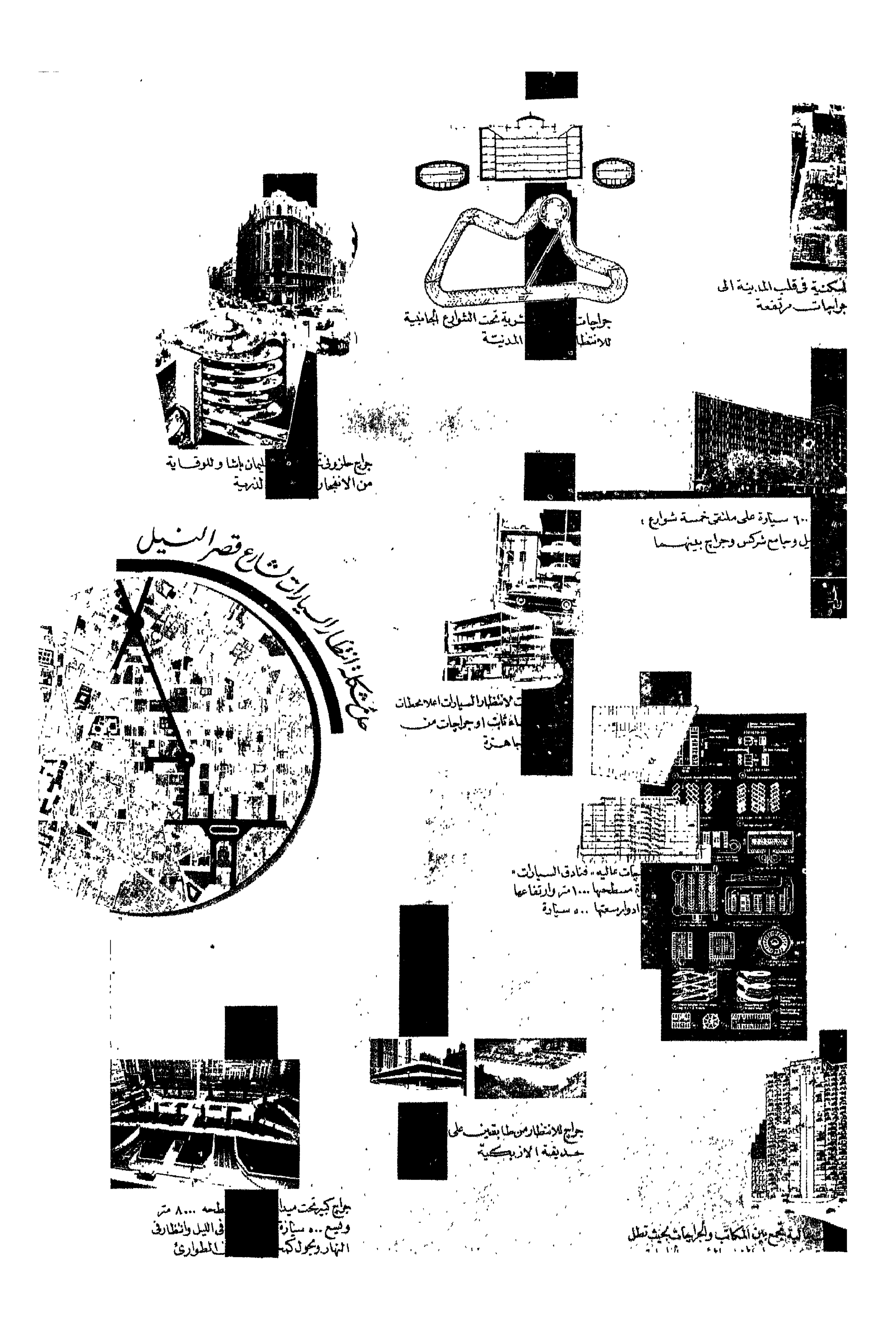
إن فى مقدمة العوامل التى ساعدت على تعقيد حركة المرور فى شوارع القاهرة الرئيسية وزيادة الضغط عليها، وجود الأحياء الوطنية المقفلة، أو خلايا المدينة المنحلة، فمعظم تلك الأحياء التى يزيد عدد سكان كل خلية من خلاياها عن ٥٠ ألف ساكن، لا يوجد بها طريق واحد للمرور الآلى، فطرقاتها معظمها أزقة مقفلة لا يصل إليها الساكن إلا مشياً على الأقدام ـ كما أن سكان تلك الأحياء فى ازدياد مستمر مع بقاء حدود الحى مقفلة بغير اتساع، لذا فحركة النقل والانتقال إلى تلك الأحياء تسير فى الطرقات الرئيسية التى تحيط بها، مما ساعد على انسدادها وزيادة الضغط عليها، فتلك الأحياء التى تسير باستمرار نحو الانحلال، ستعمل باستمرار على شل حركة المرور فى الشوارع الرئيسية المحيطة بها، أو التى تخرج منها إلى مركز المدينة التجارى ـ لذا فالبرنامج الشامل لتخطيط مدينة القاهرة سيقسم تلك الأحياء المقفلة إلى عدة أنواع يتوقف علاج كل منها على طبيعة تكوينها وكيانها وعمرانها.

مشكلة أخرى لا تقل أهمية عن دورة المرور نفسها، بل تعتبر فى الواقع جزءاً لا يتجزأ من تخطيط المدينة، وقد بدأت مشكلة انتظار السيارات من سنوات عديدة قبل الحرب، ومع ذلك فلم تدرس دراسة فنية جدية، واكتفى بمختلف وسائل التحذير باستعمال مختلف اللوحات التى تمنع الانتظار لأكثر من نصف ساعة، ثم منع الانتظار على آحد جانبى الطريق، ثم الاكتفاء بالانتظار فى الشوارع الجانبية حتى تعذر المرور فى معظمها.

إن موضوع انتظار السيارات، لا يمكن أن يحل بالارتجال أو بالمحاولات التجريبية، بل يجب أن يدرس دراسة علمية صحيحة على أسس سليمة وتقديرات إحصائية، يجب أن يحدد عدد السيارات التى يجب إعداد أماكن انتظارها ومبيتها بالنسبة لكل شارع، وكل منطقة وكل حى، وعندئذ يمكن دراسة طريقة توزيع أماكن انتظارها.

فإذا أخذنا شارعاً واحداً مثلاً كشارع قصر النيل، الذى يعد آحد شوارع القاهرة، وقمنا بعمل دراسة أولية لمعرفة ما يحتاج إليه حالياً ومستقبلاً من أماكن انتظار السيارات، وطريقة إعدادها وتدبيرها، لوجدنا أن الشارع قد أنشىء به فى الخمس عشرة سنة الأخيرة أربعة عمارات حديثة فقط، حلت بإنشائها ثلاثة آلاف غرفة بدلاً من ١٢٤، و١٤٠ محلاً تجارياً بدلاً من عشرة، وتبعاً لازدياد كثافة السكان والمحلات التجارية، تزداد حركة المرور وضغطها فإذا اعتبرنا أن لكل أربعة غرف سيارة واحدة، ولكل محل تجارى سيارة واحدة فى أماكن الانتظار، لوجدنا بحسبة بسيطة أن المساحة اللازمة لأماكن انتظار السيارات ومبيتها بعد تعمير الشارع بأكمله، ستبلغ ستة أمثال مسطح الشارع نفسه.

فما هو الحل العملى لتلك المشكلة أى مشكلة انتظار السيارات ومبيتها؟



حل مشكلة انتظار السيارات شارع قصر النيل
جراجات ... شرية تحت الشوارع الجانبية
للانتظا... المدينة
...لميكانيكية في قلب المدينة الى
جراجات مرتفعة
جراج حلزوني ... ليمان باشا وللوقاية
من الانفجار ... الذرية
٦٠٠ سيارة على ملتقى خمسة شوارع ،
...يل وجامع شركس وجراج بينهما
...ت للانتظار السيارات اعلا محطات
...ماء ثابت او جراجات من
...جاهزة
...يات عاليه . فنادق السيارات
... مسطحها ١٠٠٠ متر وارتفاعها
...ادوار سعتها ٥٠٠ سيارة
جراج للانتظار من طابقين على
حديقة الازبكية
جراج كبير تحت ميدا... مسطحه ٨٠٠٠ متر
ويسع ٥٠٠ سيارة ... في الليل وانتظار في
النهار ويحول كمـ... الطوارئ
...عالية تجمع بين المكاتب والجراجات بحيث تطل

إن المشكلة لن تحل بوسائل التحذير والمنع! بل يجب دراستها دراسة فنية جدية من الآن، فإن مشاكل المرور التى تواجهها المدينة حالياً ليست بالمشاكل الطارئة، بل إنها مشاكل معروفة لم تواجه بصراحة فى الوقت المناسب، وترك حلها للظروف حتى تفاقمت، إن مشاكل الغد يجب أن تحل اليوم.. كما أن مشاكل اليوم، كان يجب تداركها بالأمس، فتلك المشكلة وهى خاصة بشارع واحد أخذ على سبيل المثال، ستحل بتوزيع انتظار السيارات من حيث انتظارها المؤقت والطويل المدى والمبيت كالآتى:

أولاً: إنشاء ثلاث عمارات للجراجات المتعددة الأدوار للانتظار فى أثناء النهار والمبيت فى أثناء الليل ويجب أن يراعى فى اختيار موقعها، بحيث تكون خلف الشارع الرئيسى وعلى اتصال مباشر بالشوارع الجانبية المحيطة بالمنطقة، لكى تسهل حركة المرور وهى:

١ ـ إنشاء جراج يسع حوالى ٦٠٠ سيارة عند نقطة تقابل كل من شوارع قصر النيل وجامع جركس والقاضى الفاضل.

٢ ـ إنشاء عمارة أخرى نصفها للمكاتب والنصف الخلفى لجراج يسع ٣٠٠ سيارة، بحيث يحتوى كل مكتب على جراج خاص لسيارته ومكان للانتظار فى طابق المكاتب نفسه وبذلك يمكن الصعود إلى المكاتب فى جميع الأدوار بالسيارة مباشرة سواء للسكان أو لأصحاب المكاتب أو الزائرين.

٣ ـ إنشاء عمارة ثالثة مسطحها ألف متر وتسع ٥٠٠ سيارة وارتفاع أدوارها ثمانية أدوار.

وتقع العمارات الثلاث فى المسقط فى موقع موزعة بالنسبة لبعضها وبالنسبة لتفريغ المنطقة وكثافة الانتظار فى المستقبل.

ثانياً: استصدار قانون بإنشاء جراج فى بدرومات جميع العمارات السكنية التى تنشأ وسط المدينة وتكون مساحته مناسبة لعدد غرف العمارة ونوع استغلالها، وقد تصل المساحة المطلوبة إلى استغلال أكثر من طابق داخل العمارة أو خلفها أو فى مناورها الداخلية.

ثالثاً: الاستيلاء على الأراضى الفضاء أو خرائب قلب العاصمة التى توجد فى معظم أحيائها التجارية والسكنية المزدحمة بالسكان وتحويلها إلى أماكن للانتظار بمعرفة البلدية إلى أن يبدأ أصحابها فى تعميرها.

رابعاً: استغلال قطع الأراضى التى تقع فى وسط العاصمة والتى تحتلها محطات البنزين واشتراط إقامة جراجات عالية فوقها بحيث يستغل الدور الأسفل منها لمحطة البنزين وخدمة السيارات والأدوار العليا للجراجات والانتظار.

خامساً: استغلال بعض الطرقات الجانبية لتحويلها إلى جراجات انتظار مؤقتة وطرق اتصال سفلية بين مختلف الشوارع بغير تقاطع مع شريان المرور الرئيسى مع مراعاة تحويلها إلى مخابئ وقائية للمدنيين فى حالات الطوارئ، وهو مالم يصبح موضع تفكير إلى الآن رغم أهميته.

سادساً: إنشاء جراج عام تحت ميدان الأوبرا يسع مالا يقل عن ٥٠٠ سيارة للانتظار المؤقت والمبيت الليلى، مع العلم بأن مثل هذا الجراج بجانب قيامه يحل جزءاً كبيراً من مشاكل المرور بشارع قصر النيل وكثير غيره من الشوارع التى تصب فى الميدان نفسه، حيث أن تكاليف إنشائه لا تقدر بشئ بجانب ما سيعود منه على البلدية من الفوائد الاقتصادية والإيراد الدائم.

بتلك الطريقة فقط يجب دراسة مختلف مناطق المدينة وشوارعها، وعلى أساسها يجب دراسة التخطيط الشامل وعلاقته بالحركة والمرور وبواسطتها يمكن حل مشكلة المرور لا حلاً مؤقتاً كمحاولة من محاولات التخدير، بل حلاً بعيد المدى لمشاكل الغد المرتقبة.

المشاة والمرور:

إن تنظيم دورة المشاة تعتبر فى مقدمة برامج تنظيم المرور فى المدن، وهو ما لم يوضع له برنامج شامل بالنسبة لمختلف مناطق المدينة وشوارعها وفقاً للأصول الفنية. ويشمل تنظيم مرور المشاة وعبورهم للشوارع والميادين فى قلب القاهرة التجارى، مجموعة من وسائل التنظيم تشمل ما يلى:

(١) تحديد خطوط ومناطق عبور المشاة فى الشوارع والتقاطعات الرئيسية، مع وضع حواجز لمنع نزول المارة من الأرصفة إلا فى معابر المرور المحددة، وخاصةً فى الأماكن ذات الأرصفة الضيقة والضغط الكبير لحركة المشاة.

(٢) إنشاء بعض الممرات السفلية تحت الشوارع المختلفة الاتجاه، للانتقال من ركن إلى آخر ، من أركان التقاطع بغير اختراق الطريق.

(٣)و إنشاء بعض الممرات المعلقة فوق الشوارع، ودراسة نظام الأرصفة المزدوجة لتخفف الضغط على الأرصفة الحالية مع الاستغلال المزدوج لأدوار العمارات للدكاكين والأسواق التجارية.

(٤) تحويل بعض الميادين المستديرة، كميدان مصطفى كامل، وميدان سليمان باشا، إلى ميادين سفلية للأسواق التجارية تعلوها قبة زجاجية لإنارتها مع اتصال الميدان بمداخل ومخارج من جميع النواحى المحيطة به، لمنع مرور المشاه فى الميدان أو افتراق الشوارع المحيطة به، مع استغلال الميدان تجارياً مما يغطى تكاليفه فى مدة قصيرة، ويعود على البلدية بإيراد مستمر يعمل على صيانة الميدان ورصفه.

(٥) وضع إشارات النور لعبور المشاة بحيث يسهل رؤيتها بالنسبة للمارة والسيارات.

(٦) وضع اللوائح الخاصة بمسئولية المشاة عند مخالفتهم إشارات المرور أسوةً بالسيارات، مع تحديد مسئولية كل من قائد السيارة وعابر الطريق، عند حدوث الإصابات الناجمة من مخالفة أحدهما للوائح.

القاهرة الكبرى

بين منع الهجرة غير المشروعة وغربلة السكان

كان لتقصير الحكومة فى تنفيذ مشروع القاهرة الكبرى الذى تم إعداده ووضعه عام ١٩٥٢ ، وبعد ما قامت بتنفيذ بعض مراحله الأولية. ثم توقف الاهتمام بالعاصمة وتخطيطها الجديد، أو صيانة مرافق وخدمات تخطيطها القديم، حتى فوجىء سكان القاهرة بالانفجار السكانى وطوفانه المتوقع نتيجةً لما حدث عندما تعدت كثافة السكان النسبة المحددة لها فى التخطيط، المرتبطة بمساحة أرض المدينة وسعة عمرانها وحجم خدماتها ومرافقها، والتى يرتبط توزيعها بالتخطيط العام.

إن الكثافة السكانية التى حددها التخطيط العام للقاهرة الكبرى تبعاً لمساحتها وخطوط كردون حدودها، تحدد الحد الأقصى لعدد السكان بسبعة ملايين ساكن ،كعاصمة عالمية إدارية وثقافية، يرتبط عدد سكانها بعدد سكان الدولة بأكملها، طبقاً للنظريات العالمية المعمول بها فى عواصم العالم الحديث، والتى تم تطبيقها فى العواصم العالمية المعروفة بعد الحرب العالمية الأخيرة.

وللمحافظة على ثبات عدد السكان وحسن توزيع كثافتهم فى مختلف أحياء المدينة ومناطقها، التى تضمنها قوانين المبانى وخطوط التنظيم التى يحددها التخطيط نفسه، ولا تخضع للظروف والأهواء الطارئة. ويحل تخطيط المدينة الكبرى مشكلة الزيادة المضطردة فى عدد السكان والذين لا مكان لهم فى العاصمة الكبرى، بإقامة ما يطلق عليها بالمدن التبعية التى تنشأ خارج الحزام الأخضر الذى يحمى كردون العاصمة، أسوة بما اتبع فى الماضى بالنسبة للقاهرة القديمة بإقامة كل من مدن مصر الجديدة والمعادى والمطرية والمهندسين بالضفة الغربية وكانت جميعها خارج مدينة القاهرة إلى أن تركت القاهرة لتزحف عشوائياً لتلتهمها وتضمها إلى حدودها.

تبعاً لبرنامج التخطيط وتبعاً لنموها الطبيعى، كان من المفروض أن يكتمل نمو المدينة ليصل عدد سكانها إلى سبعة ملايين ساكن خلال ٢٥ سنة أى سنة ١٩٨٠، يكون قد تم خلالها تنفيذ المشروع بأكمله بما فيه من شبكات المياه والصرف الصحى، والاتصالات السلكية واللاسلكية، وشبكات الإنارة، وشبكات الطرق المتعددة الطوابق، والجراجات المتعددة الأدوار، وفى الوقت نفسه، يكون قد بدا العمل فى إقامة المدن التبعية لتستوعب الزيادة الطارئة.

لقد بدأت أعراض الانفجار تظهر فى أواسط الستينيات بانفجار مواسير المجارى ومواسير مياه الشرب فى مختلف أنحاء القاهرة، نتيجة طبيعية لزيادة الضغوط عليها تمشياً مع ضغط الكثافة السكانية، وتم تعليق أسباب المشكلة على شماعة العمر الافتراضى للشبكات وتجاهل صيانتها، وبدأ العمل فى علاجها بمختلف وسائل التخدير الموقت الذى زاد تفاقمها مع ما أنفق عليها من تكاليف مضاعفة. وتبع تلك الانفجارات انفجار شبكات النقل والمواصلات وعلاقة أبعاد ومساحات الطرق والشوارع، وحجم وسائل النقل الخاص والعام، المتحرك والثابت (الانتظار)، بجانب انفجار طرق المشاة تبعاً لزيادة كثافة المارة والمشاة، بالنسبة لمساحات الأرصفة وأماكن تواجدهم وانتقالهم.

وأخطر نواحى الانفجار المؤثر فى تخريب كيان المدينة، كان الانفجار السكانى أو انفجار الأحياء السكنية.

لقد ارتفعت الكثافة السكانية فى بعض الأحياء وخاصة الشعبية منها، إلى خمسة أمثال سعة الحى الأصلية، وفى حدود مساحة أرضه المحددة وعدد وسعة وحداته السكنية المتاحة، مما لعب دوراً حيوياً فى تفشى ما يطلق عليه اسم السرطان السكانى، حيث سيطرت العشوائية على تنظيم مبانى الأحياء فى غياب اللوائح والقوانين ورقابة المسئولين، إلى بناء العشش الصفيح على الأسطح المكشوفة للمبانى، أو الارتفاع العشوائى بالأدوار على المبانى المستهلكة، مما تسبب فى تهدم كثير من المبانى على سكانها، وأدت الكثافة السكانية المتضاعفه إلى سكنى العائلة المكونة من خمسة أشخاص فى حجرة واحدة، وإقامة عدة عائلات فى شقة واحدة مستهلكة. وزحف الإسكان العشوائى إلى المقابر لتناقس أحياء السكن، فتتحول مقابر الموتى إلى مساكن للأحياء.

إن أخطر أنواع الانفجار وآثاره المدمرة فى زحفه السرطانى انفجار الأمن وما يرتبط به من انفجار فى القيم والأخلاق، الذى حول الكثير من الأحياء الشعبية المقفلة، إلى أوكار للجريمة بأنواعها، لتصبح موطناً ومأوى للخارجين على القانون من محترفى جرائم السرقة والنشل، والعنف، والتطرف، والدعارة، والاغتصاب، والمخدرات، والنصب والتسول، والبلطجة والهاربين من الأحكام وغيرها، من الأعمال غير المشروعة التى يخرج محترفوها من أوكارهم، لينتشروا فى العاصمة، ليقوموا بنشاطهم المعهود فى تلوث الأمن والبيئة والتنمية والاقتصاد العام.

ليس هناك من شك فى أن تلك الفئات المخربة العاطلة منها والباطلة، قد تسللت إلى الدخول عن طريق الهجرة غير المشروعة، ولما لم تجد مكاناً للعمل الشريف، لجأت إلى أوكار الكسب غير المشروع ذى الدخل المجزى بغير مجهود يذكر.

ولما لم يجدوا مكاناً للسكن افترشوا الخرائب والأزقة، أو شاركوا سكان الأحياء مساكنهم بعد تحويلها إلى أوكار غير مشروعة هجرها أهلها خوفاً من بطشهم ليسكنوا المقابر مع موتاهم.

يقدر عدد الخارجين على القانون وحدهم فى مدينة القاهرة الكبرى بثلاثة ملايين ساكن ومتسلل، غير سكان المقابر وعزب الإيواء العشوائى المحيطة بحزام القاهرة والذين يصل عددهم إلى مليونى ساكن.

عندما تفاقم خطر الطوفان وبدأ الانفجار السكانى يهدد كيان المدينة عام ١٩٦٣، وتعددت فيه الكثافة السكانية الحد الأقصى المسموح به، مع تجاهل خطوات الإصلاح التى حددها ورسمها التخطيط العام للقاهرة الكبرى وتوقف العمل عن تنفيذها، تقدمت لمواجهة المشكلة والعمل على حلها حلاً جذرياً بمشروع جديد يتكون من شقين، يشمل الأول منهما: وقف الهجرة غير المشروعة إلى العاصمة، والثانى: غربلة القاهرة وفرز سكانها.

فالهجرة غير المشروعة هى السبب الرئيسى فى انتشار البطالة وما يتبعها من آثار مدمرة سبق ذكرها، كما أن تسلل العمالة غير المؤهلة وغزوها لمختلف مجالات المهن والحرف، كانت السبب الرئيسى فى هجرة العمالة الفنية المؤهلة إلى خارج البلاد، لتحل محلها العمالة الجاهلة فنياً ومهنياً، وقد ظهر أثر ذلك واضحاً فيما واجهته حركة التعمير، وتعرضت له أعمال البناء من مشاكل معروفة، وانخفاض المستوى الفنى للمهن، وانتقلت العمالة الفنية فى البناء والتعمير من العمال المتخصصين إلى عمال التراحيل اللاجئين.

ومما هو جدير بالذكر أن الهجرة غير المشروعة للعمالة، سلاح ذو حدين، حد يزيد البطالة وأخطارها على العاصمة، والحد الآخر شل اليد العاملة اللازمة للإنتاج فى البلاد التى هاجروا منها.

إن وقف الهجرة غير المشروعة يبدأ باعتبار القاهرة مدينة مغلقة لا يسمح بدخول الأجانب والغرباء إليها إلا لمن يحمل تصريح عمل رسمى يبين فيه نواحى تخصصه وجهة العمل المتعاقد معها أو أن يكون له عمل ثابت وإقامة دائمة، كما هو معمول به فى انتقال الأجانب أو هجرتهم فى أية دولة أجنبية. وإذا كان دخول القاهرة بغرض الزيارة، فيعامل المواطنون معاملة الزائرين للسياحة المحددة مدة الإقامة أو الزيارة للأعمال. ويمكن تنظيم تلك الهجرة بنظام بطاقات الهوية وجوازات إثبات الشخصية، وما يثبت بها من المستندات الخاصة بالصفحة الجنائية، وغيرها مما هو معمول به فى الدول المتحضرة.

الشق الثانى من البرنامج هو: غربلة القاهرة وعملية فرزها، تعمل الغربلة على تطهير القاهرة من عناصر التلوث البشرى العمرانى، أى تطهيرها من مسببات انفجار أمن المدينة، وهو أخطر ما يهدد كيانها ووجودها. فغربلة المدينة بحصر العاطلين وأصحاب الأعمال المشبوهة كالمتسولين والبلطجية والباعة الجائلين، وإعادتهم إلى مواطنهم الأصلية التى هاجروا منها وتسللوا إلى العاصمة واستوطنوا أوكارها.

والمجموعة الثانية وتشمل قوات الخطرين على الأمن، المجرمين واللصوص والنشالين ومختلف فئاتهم، المعروفين لدى الدولة وتمنحهم الألقاب الرسمية لمسجل خطر ومتعددى مواهب السرقة من منازل إلى سيارات إلى محلات تجارية، وفاعل مجهول وغيرهم ممن يهددون أمن العاصمة فى رعاية قوات الأمن.

وللأسف فبدلاً من قيام الدولة بغربلة عناصر الإجرام، تنتهز فرصة الأعياد وما أكثرها فى مصر، لتزود القاهرة الكبرى بأفواج جديدة ممن تفرج عنهم من المجرمين المسجلين والخطرين واللصوص والنشالين، ليشاركوا زملاءهم فى مزاولة مهنتهم، ومشاركة سكان القاهرة فى الاحتفال بطريقتهم الخاصة، لتمتلئ صفحات الجرائد بأخبار الجرائم

والسرقات، فى وسائل النقل والمحال التجارية، وسرقة السيارات للفسحة فى الأعياد، ويعلن المسئولون أن أكثرهم قد خرج من السجن من يومين فقط، وله عشرات السوابق، وقد تعودوا قضاء إجازاتهم فى السجن على حساب الدولة، لمدة قصيرة يعودون بعدها لمزاولة مهنتهم الشريفة بمناسبة الأعياد.

ومن بين المفرج عنهم العديد من تجار المخدرات المعروفين، والذين ينص القانون على إعدامهم، ويفرج عنهم لحسن السير والسلوك ليستمروا فى مزاولة مهنتهم الحرة، ولكل منهم صحيفة سوابق من المفروض أنه أعدم بسببها عدة مرات، أو قضى فى السجن عن كل سابقة عشرات السنين فى حين لا يعد أى حكم عن سابقة بأكثر من سنة، يستجم فيها فى السجن على حساب الدولة، ليعود إلى مزاولة أعماله الجليلة ويكون سيد قراره.

من الفئات المستحدثة التى تشملها الغربلة، من يطلق عليهم اسم المتطرفين الذين يتسترون تحت عباءة الدين وسماحة جلابيته البيضاء، وقد كشفت التحقيقات المتتابعة أن أكثرهم من المسجلين الخطرين، ومعتادى الإجرام والعاطلين ولصوص السيارات والدراجات البخارية، والذين يستغلون مواهبهم البعيدة عن الدين فى سرقة محلات الذهب، والمحال التجارية، والاعتداء على المواطنين، وفرض الأتاوات والبلطجة باسم الدين.

إن الاعتراض الذى وجه لمشروع الغربلة وإبعاد من يشملهم الفرز، تركز على الإدعاء بصعوبة تنفيذه من الناحية العملية. إلى أين يذهبون؟ ينتقلون إلى مواطنهم الأصلية ليعيثوا فيها فساداً يهدد أمنها؟ أم إعادتهم إلى السجون التى خرجوا منها، والتى أصبحت بدورها «كاملة العدد» وتضطر الدولة إلى الإفراج عن نزلاء السجون لاستقبال وخدمة النزلاء الجدد.. وهم كثيرون! أسئلة حائرة خاصة بنظام السجون لا تجد لها إجابة مقنعة! كيف نطلب من المجنى عليه أن يقوم بتعويض الجانى عما ارتكبه فى حقه وحق وطنه، وذلك بتحمل مصاريف إقامته ومعيشته وتأمين حياته طوال مدة إقامته فى السجن، وذلك عن طريق الضرائب العامة التى تفرضها عليه الدولة، على حين يعفى الجانى أو المجرم من الضرائب عن المكاسب التى سلبها أو اغتصبها بغير حق؟

الحل الطبيعى أن يقوم الجانى بتعويض المجتمع عما أصابه من أضرار، وتعويض الدولة عما تتحمله من مصاريف إقامته وإعاشته ورعايته فى السجن، بالإضافة إلى مصاريف حماية المجتمع منه بعد إطلاق حريته. ولا يمكن تحقيق ذلك المبدأ إلا بتسخيره للعمل المنتج الذى يعوض إنتاجه بعض خسائر المجتمع المجنى عليه، ويوفر له فرص العمل التى يتحول بفضلها إلى مواطن صالح يحتل مكانه فى بناء وتنمية الاقتصاد القومى.

فالحل الوحيد لحل مشكلة «الغربلة»، هو تحويل فئات العاطلين والمجرمين والنشالين وغيرهم ممن سبق وصفهم، ومن يسقطون من غربال الفرز، هو تسخيرهم للعمل المنتج لصالح الدولة والمجتمع، وترحيلهم كعمال التراحيل للعمل فى مشروعات إصلاح الأراضى وتعمير الصحراء، ومختلف أعمال المناجم اللازمة لتصنيع البلاد وتحويلها من الاستهلاك إلى الإنتاج.

لقد لفت نظرى فى أبحاث تاريخ الحضارة المصرية الذى أقوم به عند دراسة القضاء عند قدماء المصريين، وكانوا أول من وضعوا نظاماً دقيقاً للقضاء، ونظمه وتشاريعه، ابتداءاً من الدولة القديمة، لقد كشفت برديات نظام القضاء، أنهم عرفوا جميع أنواع المحاكم العليا منها والجنائية والمدنية والشرعية، وأقاموا مختلف أنواع المحاكم فى المدن والقرى والمعابد، كما وضعوا قوائم لجميع الأحكام ومختلف العقوبات المرتبطة بها وطريقة تنفيذها.

كانت المفاجأة التى جذبت الأنظار، أن المصريين القدماء كانت عندهم محاكم وقضاة وأحكام، ولم يكن عندهم سجون أو معتقلات، كما وصفت إحدى برديات ذلك التناقض أو اللغز بقولها «على الجانى أن يعوض المجنى عليه بما سلبه منه باعتدائه عليه وعلى أمواله، ويعوض المجتمع الذى هدد أمنه، كما عليه أن يتحمل مصاريف إعاشته وإقامته وتدريبه وحراسته، وذلك بالسخرة فى العمل المنتج خلال مدة اعتقاله التى حددها القاضى»

لذا فقد تحولت السجون إلى مستعمرات للعمل فى مناجم البحر الأحمر، تلك المناجم التى أقامت صرح حضارة مصر الخالدة، لماذا لا نعيد التفكير فى الاستفادة من تلك التجربة الحضارية فى غزو الصحراء لاستخراج ثرواتنا القومية المدفونة فى بطون جبال البحر الأحمر وصحاريه لتنمية الاقتصاد القومى بتحويله من الاستهلاك إلى الإنتاج والتصنيع الذى نمتلك جميع مقوماته، فمنع الهجرة وغربلة السكان هما صمام الأمن لوقف نزيف الانفجار السكانى وإعادة الوجه الحضارى للقاهرة الكبرى.

القاهرة والإرهاب.

المدن هى رمز الحضارة وقدرات الإنسان اللامحدودة

المدينة كائن عضوى حى. تولد وتنمو حضارياً رتمرض وتعالج وتموت.

أين كنا.. وكيف أصبحنا؟

كنا بناة الحضارة.. وأصبحنا هدامها.

حماية البيئة من التلوث ؟ أم حماية التلوث من البيئة؟

أصبح الإنسان يتنفس الهواء الحضرى نفسه الممتلئ سفكاً ودماءاً وكوارث وإرهاباً.

لم تعد كفة المزايا والحسنات، ترجح على كفة الرزايا والسوءات، أصبح الرعب يمسك بخناق الكثير من الأحياء العشوائية ويزحف وباؤه أو الڤيرس الخاص به إلى قلب القاهرة، ومعنويات السكان تغطس فى قعر الحضيض

يصيب ڤيروس الانحلال كيان المجتمع بلا سبب كان، ولأى سبب كان، فيقتل الابن أمه وأباه والأخ أخاه والزوجة زوجها والصديق صديقه.

الانفجار السكانى والإرهاب:

بلغت الكثافة السكانية بمدينة القاهرة ضعف الحد الأقصى المحدد فى المحدود فى التخطيط الشامل، بأبعاد حدودها، ومساحة أرضها، وما يرتبط بتلك المساحة والكثافة السكانية من خدمات ومرافق وهيكل عمرانى، فارتفعت الكثافة السكانية من حدها الأقصى وهو سبعة ملايين ساكن، إلى ١٥ مليون ساكن، أى ضعف سعتها القصوى.

ففى القاهرة التى بلغ عدد سكانها ١٥ مليون ساكن، ما لايقل عن مليون متشرد بلا مأوى.

وفى القاهرة عشرون ألف مسجل خطر «وفقاً للإحصائيات الرسمية، يحتلون مواقع عملهم ومجال نشاطهم، فى وسائل النقل وأمام دور اللهو والمسارح وأبواب الفنادق، وفى زحام الأسواق، يزداد عددهم كل عام فى مناسبات الأعياد،

بما تفرزه السجون التى لا تجد مكاناً لإيوائهم، وفى القاهرة مليون ونصف يسكنون فى مقابر الأموات. وفى القاهرة ٣ مليون ساكن يسكنون الأحياء العشوائية. ومازالت أبواب الهجرة غير المشروعة تفرز آلاف العاطلين الباحثين عن عمل فى مدينة البطالة يومياً.

كيفية التعامل مع ظاهرة الإرهاب، وجود منهج علمى يضعه فى إطاره الصحيح، علاج الإرهاب كعلاج أى وباء أو مرض لا يمكن وصف طريقة علاجه قبل تشخيصه.

لا يمكن علاج آلام الرأس بقطعها أو الارتكان إلى الطب النفسى والإيحاء.. بما يطلق عليه اسم الحوار، فاقتلاع جذر التطرف والإرهاب، لا يتأتى بغير التشخيص الجاد والسليم لأسباب المرض، وعوامل انتقاله وعدواه إن أصابع التشخيص تشير إلى ثالوث ـ (الفقر والجهل والمرض)، الذى يؤدى إلى الفجوة الاجتماعية المرتبطة بالبطالة وانخفاض مستوى الدخل، وارتفاع نسبة الأمية، وانتشار الأمراض ترتبط تلك الفجوة بانعدام التخطيط العمرانى أو إهماله، والذى يؤدى إلى النمو الشيطانى للعمران الذى يطلق عليه النمو العشوائى للأحياء.

إذا كان الانفجار السكانى هو المسئول الأول عن الإرهاب، فيجب أن يبدأ العلاج بوقف نزيف الانفجار الذى يتمثل فى، وقف الهجرة غير المشروعة ومتابعتها بغربلة القاهرة، وتطهير أحيائها العشوائية الموبوءة.

ثم إعادة تخطيط الأحياء العشوائية، أو تخطيطها تخطيطاً علمياً وعمرانياً واقتصادياً شاملاً، والذى سيستلزم إزالة بعضها تماماً حتى يمكن إعادة تخطيطها.

إننا فى حاجة إلى هيكلة البناء السياسى للمجتمع، أى التركيز على السياسة العامة لا على الأمن.

تقول الحكومة إن استئصال الإرهاب، هو مسئولية الشعب، وتنسى مسئوليتها نحو الشعب الذى الإرهاب جزء منه، مطلوب استراتيجية سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، يشترك فيها الشعب مع الحكومة، ولاتنفرد بها الحكومة، فلا تجد أمامها وسيلة للقضاء على الإرهاب إلا بسلاح الأمن وتعبئة قواته أمام .. المجهول.

لقد أدى ارتداء الإرهابيين لعباءة الإسلام، واتخاذهم الإسلام شعاراً لحملتهم وعدوانهم الغاشم، إلى قيام الغرب بالدعوة إلى حرب صليبية جديدة ضد الإسلام، ظهرت بوادرها فى بعض البلاد الأوربية وانتقلت منها إلى أمريكا، وظهرت آثارها فى قاعات هيئة الأمم نفسها ،وتجسمت بوادر نتائجها فى تعضيد محاربة مسلمى البوسنة والهرسك وأذربيجان وفلسطين. وإعطاء الفرصة للدول المسيحية المعتدية لتحقيق أهداف الإبادة قبل صدور قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن، بوضع الحلول السلمية للمشاكل.

وصفت صحف الغرب الإرهاب بأنه توءم الإسلام، فنشرت صورة لمسلمى القاهرة وهم يقومون بالصلاة فى رقابة رجال الأمن وصفتهم بقولها:

(الله فى رءوسهم والإرهاب فى دمائهم)

ووصفت الأحياء العشوائية بأنها صناديق القمامة المكشوفة التى تلوث هواء القاهرة ،وتهدد صحتها، وتحل محل الحزام الأخضر الذى يحمى المدن فى التخطيط، كما وصفت القاهرة بأنها مدينة الزحام والضوضاء والتلوث والإرهاب.

المناطق العشوائية:

مناطق خصبة لكل جرائيم التخلف والجهل والمرض والإرهاب، مناطق لا تعلم عنها الحكومة شيئاً. مناطق نمت كنبت شيطانى، يعيش على النهب والسطو والقتل للإرهاب، أحياء تتميز بانخفاض مستوى المعيشة والبطالة التى تقاومها الدولة برفع الأسعار وزيادة الضرائب ومضاعفة أسعار الخدمات.. إن وجدت.

هل الإرهاب ظاهرة.. تقاوم بالإرهاب؟

المواجهة تكون بمواجهة الأسباب.. أى التشخيص قبل وصف العلاج، علاج المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والصحية، بدلاً من زيادة سعة الفجوة التى تحول الإرهاب إلى ثورة اجتماعية.

المركزية والإرهاب (المركزية فى سياسة التعمير)

إن مركزية التعمير التى ركزتها لسياسة الدولة بوصفها فى يد مدينة القاهرة التى قامت بدورها على تركيزها على وسط القاهرة، فتركزت الخدمات والمرافق بأنواعها على أحياء ومناطق وسط القاهرة مع تجاهل وإهمال المحيط الخارجى للمدينة، مما كان فى مقدمة الأسباب العاملة على النمو العشوائى، وأثره فى اتساع الفجوة الاجتماعية بين طبقات السكان وما نشأ عنها من فجوات ثقافية وصحية واقتصادية، أدت إلى الإحساس بإهمال الدولة لشئون طبقات تلك الأحياء العشوائية، ولا تقتصر آثار تلك المركزية على القاهرة وحدها، بل تمتد لتشمل جميع المحافظات والأقاليم النائية، وعواصم المحافظات نفسها، والقرى والمجمعات السكنية المرتبطة بها، والتى لا تتلقى جميعها المخصصات التموينية الكافية. والتى تجهل مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية من شباب وصحة وتموين وثقافة دينية. والتى ساعدت على التعمير العشوائى فى غياب التعمير الحكومى أو السياسى.

فالإرهاب خرج من المحافظات النائية، ليبحث له عن مكان فى المناطق العشوائية بمدينة القاهرة نفسها، ليتمركز فيها!!

القاهرة الكبرى ومدينة نصر

قصة مولد مدينة

● يبدأ تخطيط العواصم العالمية الكبرى بصفة عامة، بتحويلها إلى مدن مفتوحة، لتأمين حمايتها ضد أخطار الحرب، حتى لا تصبح العاصمة هدفاً لمختلف أنواع الدمار، الذى يستهدف قلاعها الداخلية، لذا فقد اشتمل برنامج التخطيط وتوزيع مختلف المناطق العمرانية وما يرتبط بها من خدمات، على نقل جميع الثكنات والمنشآت العسكرية الخاصة بمختلف القوات المسلحة، وقوات الأمن، ومراكز التدريب، ونقلها خارج كردون المدينة، واستغلال مواقعها الأصلية لمختلف مشروعات التعمير السكنية والإدارية تبعاً للتوزيع المنطقى للتخطيط. وتحويل بعضها إلى المساحات الخضراء اللازمة لرئة المدنية لحمايتها من التلوث، وتحويل البعض الآخر إلى ساحات للملاعب الرياضىة أو الخدمات العامة.

كان فى مقدمة المشروعات التى وافقت عليها الدولة، فى مشروع القاهرة الكبرى الذى تم وضعه عام ١٩٥٢، نقل معسكرات قصر النيل من موقعها، ويشمل برنامج تخطيطها العمرانى لتصبح مركز جذب سياحى عالمى، يشمل إقامة مبنى لجامعة الأمم العربية، ومركزاً للمؤتمرات العالمية، وفندقاً مركزياً لخدمة الجامعة والمؤتمرات والسياحة العالمية. كما يشمل المشروع توسعة المتحف المصرى، لتصل أجنحته الجديدة إلى كورنيش النيل، ليصل المتحف إلى ثلاثة أمثال سعته الحالية، وهو المشروع الذى ألغى ليحل محله مبنى بلدية القاهرة الحالى.

بدأ التفكير فى إقامة مدينة نصر، عندما بدأ الانفجار السكانى يهدد كيان قاهرة الثورة، خاصة فى ناحية الإسكان الذى توقف فى مواجهة الزيادة السكانية المتضاعفة مع توقف الإسكان الاستثمارى الخاص فى ظل قوانين الإسكان الاشتراكية.

فطلب الرئيس جمال عبدالناصر، من وزارة الإسكان المبادرة بإقامة مشروع إسكانى عمرانى متكامل، يحمل اسم الثورة، فطلب من وزير الإسكان الدكتور محمد أبونصير، وكانت الوزارة تحتفظ بمشروع القاهرة الكبرى الذى قمت بإعداده عام ١٩٥٢، وقامت الوزارة بتنفيذ بعض أجزائه ككورنيش النيل الحالى، وتخطيط أرض الثكنات، وطريق صلاح سالم ـ طلب اختيار موقع فى التخطيط من المواقع الخاصة بالإسكان، والذى يفى بمتطلبات برنامج المشروع، وقد تحددفى التخطيط العام للمشروع مواقع جميع مناطق الإسكان المستجدة، بجانب مشروع إعادة تخطيط وتعمير الأحياء المستهلكة (التطهير العمرانى)، كما حدد مشروع التخطيط العام أولويات مراحل التنفيذ والبرنامج الزمنى لكل منها، تبعاً لما ذكر سابقاً، تبدأ أولويات التنفيذ المناطق التى تحتلها الثكنات العسكرية. فقدمت للوزارة مشروع تخطيط وتعمير منطقة الثكنات العسكرية بالعباسية، وأعددت المشروع الخاص بتخطيطها وتعميرها فكانت المفاجأة غير المتوقعة، وهو رفض الوزارة للمشروع بأكمله، بما فى ذلك اختيار موقعه لأنه يتعارض مع مبادئ الثورة وسياستها الاشتراكية.

لما كان موقع أرض الثكنات العسكرية، يعتبر بالنسبة للتخطيط العام للعاصمة، بمثابة القلب المركزى النابض، كما أن مساحة أرضه لإقامة المشروع العمرانى المتكامل، الذى طلب الرئيس جمال عبدالناصر العمل على تحقيقه، فقد راعيت عند وضع البرنامج العمرانى للتخطيط، أن يضم البرنامج العمرانى بعض المراكز للنشاطات الرئيسية التى تفتقر إليها القاهرة كعاصمة عالمية، فاشتمل تخطيط المدينة وتصميم منشآتها إقامة المركز الرئيسى للرياضة، ويشمل الاستاد الرياضى وقاعات الملاعب، ثم السوق الدولية وأرض المعارض، ثم الحديقة الدولية والمسرح المكشوف وسينما السيارات. وفى مقدمة مشروعات الخدمات الإدارية نقل بعض الوزارات، بحيث يلحق بمبنى كل وزارة من الوزارات حى سكنى مجمع وكامل الخدمات للعاملين بالوزارة، بالإضافة إلى مشروعات الإسكان العام مع مختلف الخدمات العامة والمرافق المرتبطة بكل منها.

● لم يكن رفض الوزارة للمشروع إعلاناً لنهايته، أو دلالة على انطواء صفحته. لم يمض أسبوع على قرار الرفض حتى فوجئت بزيارة السيد أنور السادات لمكتبى برفقة الشيخ مبارك الصباح، وكان السيد أنور السادات قد كلفنى فى أثناء زيارتنا للكويت أن أقوم بوضع تصميمات قصره الذى تم اختيار موقعه فى تخطيط المدينة الذى كنت أقوم به، ليكون أول قصر يبنى فى الكويت. وأراد السيد أنور السادات أن يفاجئ الأمير بالماكيت الذى أعددته للقصر، والذى حمله فى طائرته الخاصة ليقوم بتنفيذه فى المدينة الجديدة.

بينما كان أنور السادات يستعرض مع ضيفه الكبير مشروعات المكتب ونماذجه المجسمة بقاعة العرض، توقف أمام ماكيت (مدينة نصر)، الذى انبهر به عندما شرحت تفاصيله، وقد ظن أنه أحد مشروعات الكويت الحديثة، وإذا به يقول لى بلهجة فيها مرارة: كيف تقوم بتخطيط البلاد العربية وتعميرها والتى شاهدت ما بها من نهضة عمرانية حضارية، وتبخل على بلدك التى جعلت منك سيد كريم المهندس العالمى.

فوجئ بردى أن ذلك المشروع الذى حاز إعجابك ووصفته بأنه نموذج للتعمير الحضارى، هو ما طالب به الرئيس جمال عبدالناصر ورفضته وزارة الإسكان لأنه لا يتفق مع مبادئ الثورة.

لم يمض يومان على تلك الزيارة حتى فوجئت برسالة من السيد أنور السادات، يطلب منى أن أحمل ماكيت ورسومات المدينة وسيمر علىّ سيادته بسيارته الخاصة لمقابلة الرئيس جمال عبدالناصر، يوم الجمعة فى مسكنه الخاص، بأرض الثكنات العسكرية،

فى استراحة الرئيس، تم وضع ماكيت المدينة فوق منضدة الطعام وحوله اللوحات التفصيلية للمشروع، وبدأ الرئيس فى استعراضها، ثم علق عليها بقوله إنها رائعة وجذابة «شكلاً»، ثم يطلب منى الرئيس أن أقوم بشرح تفاصيل المشروع والأفكار التى حددت برنامجه التكوينى التخطيطى والعمرانى، ومختلف نواحيه الفنية والاقتصادية، استمر شرح المشروع ما يقرب من الساعتين لم يظهر الملل خلالهما من طول الشرح والاستماع، بل يطلب المزيد من المعلومات والاستفسارات وفى نهاية الحوار أبدى الرئيس جمال عبدالناصر إعجابه وتقديره للمشروع وما احتوى عليه برنامج تعميره من أفكار جديدة ومبتكرة، تمثل مدينة قائمة بذاتها، تجمع كل ما تفتقر إليه المدينة القديمة، من مراكز حضارية كالرياضة والاستاد والمعارض والمسارح وقاعة المؤتمرات، لذا فقد اقترح جمال عبدالناصر نفسه أن يطلق عليها اسم «مدينة» وليست حياً سكنياً، عندما اقتصر تفكير وزارة الإسكان على إقامة حى سكنى جديد.

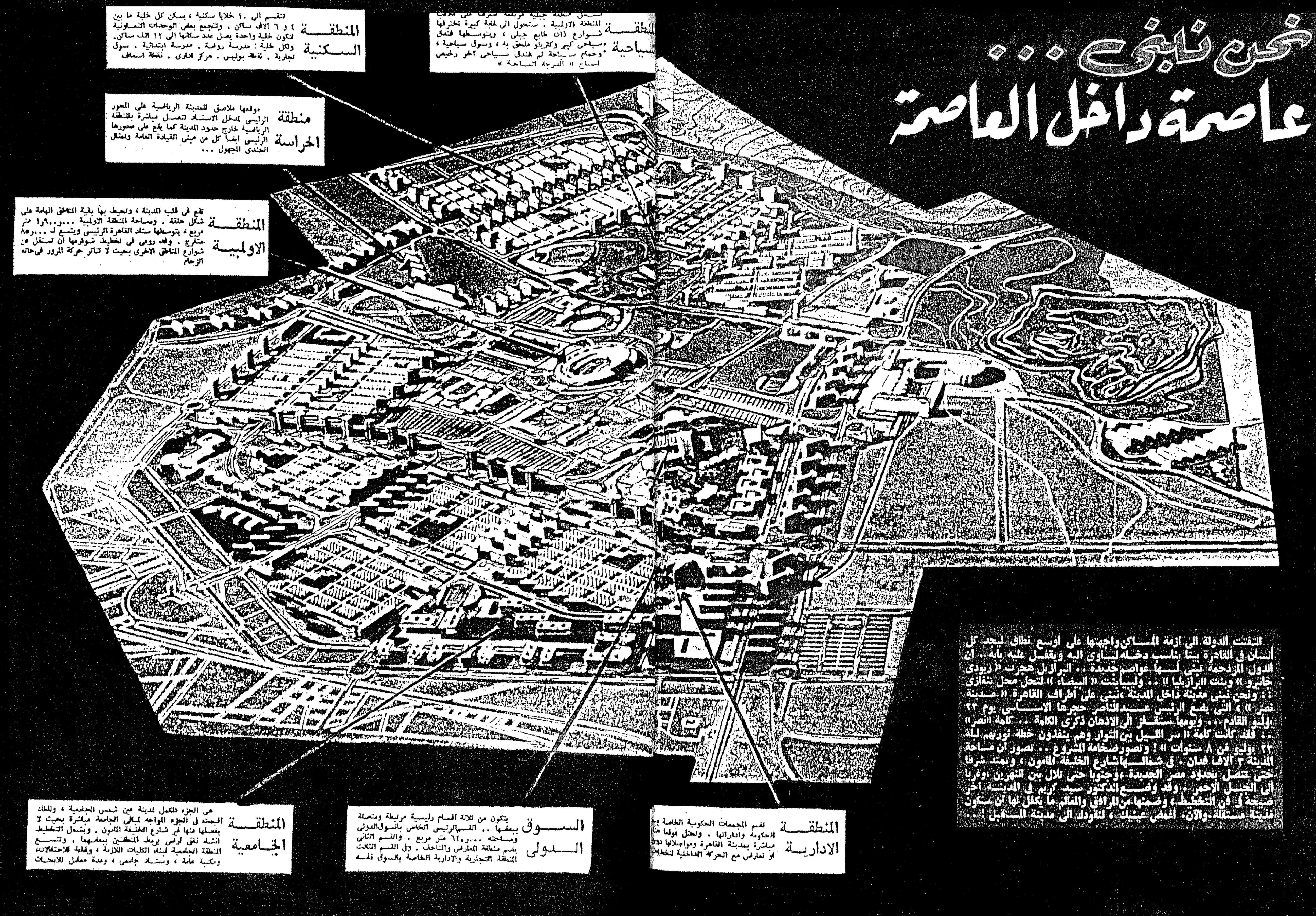
وإذا بالرئيس بعد لحظة من الصمت والتفكير يبادر بالسؤال عن الدواعى الملحة التى فرضت نفسها أو فرضتها أنا شخصياً لنكون أرض الثكنات العسكرية، هى الموقع الوحيد لإقامة المشروع بين مختلف المواقع التى اقترحتها واختارتها الوزارة.

كانت الإجابة على استفساره بأن هناك أربعة أسباب، تحتم الاقتصار على اختيار ذلك الموقع دون غيره:

أولهـا: وأهمها: تأمين القاهرة الكبرى، كعاصمة عالمية ضد أخطار الحرب، وتصبح هدفاً لغارات الغزو، وذلك بنقل الثكنات العسكرية خارج حدودها.

ثانيها: سعتها ومساحة أرضها التى يحتاج إليها المشروع بجميع متطلباته، لإقامة مدينة متكاملة يبلغ عدد سكانها مليونى ساكن، لامتصاص الانفجار السكانى بالعاصمة من جهة، وتنظيم وضبط الكثافة السكانية فى مختلف الأحياء.

ثالثها: موقعها المركزى بالنسبة للقاهرة الكبرى يضع المدينة بمثابة القلب النابض الذى تصب فيه جميع النشاطات العامة والرياضية السابق ذكرها، بجانب اقتراح نقل الوزارات ومجمعاتها السكنية وبرنامج التركيز الإدارى.



نحن نبني ... عاصمة داخل العاصمة

التفتت الدولة الى ازمة المساكن واجهتها على اوسع نطاق ليجد كل انسان في القاهرة بيتا يناسب دخله ليأوى اليه ويقفل عليه بابه . ان الدول المزدحمة تبنى لها عواصم جديدة .. البرازيل هجرت « ريودى جانيرو » وبنت « برازيليا » .. وليبيا بنت « البيضاء » لتحل محل بنغازى .. ونحن نبنى مدينة داخل المدينة ، نبنى على اطراف القاهرة « مدينة نصر » ، التى يضع الرئيس عبد الناصر حجرها الاساسى يوم ٢٣ يوليو القادم .. ويومها ستقفز الى الاذهان ذكرى الكلمة .. كلمة « النصر » .. فقد كانت كلمة « سر الليل » بين الثوار وهم ينفذون خطة ثورتهم ليلة ٢٣ يوليو من ٨ سنوات » ! وتصور ضخامة المشروع .. تصور ان مساحة المدينة ٣ آلاف فدان . فى شمالها شارع الخليفة المأمون ، وتمتد شرقا حتى تتصل بحدود مصر الجديدة ، وجنوبا حتى تلال بين النهرين ، وغربا الى الجبل الاحمر . وقد وضع الدكتور سيد كريم فى المدينة آخر صيحة فى فن التخطيط ، وضمنها من المرافق والمعالم ما يكفل لها ان تكون مدينة مستقلة . والآن . اغمض عينيك ، لنقودك الى مدينة المستقبل ! ..

المنطقة السكنية
تنقسم الى ١٠ خلايا سكنية ، يسكن كل خلية ما بين ٤ و ٦ آلاف ساكن . وتتجمع بعض الوحدات التعاونية لتكون خلية واحدة يصل عدد سكانها الى ١٢ الف ساكن . ولكل خلية : مدرسة روضة . مدرسة ابتدائية . سوق تجارية . نقطة بوليس . مركز طبى . نقطة اسعاف

المنطقة السياحية
المنطقة الاولمبية . ستتحول الى غابة كبيرة تخترقها شوارع ذات طابع جبلى ، ويتوسطها فندق سياحى كبير وكازينو ملحق به ، وسوق سياحية ، وحمام سباحة ثم فندق سياحى آخر رخيص لسياح « الدرجة السياحية »

منطقة الحراسة
موقعها ملاصق للمدينة الرياضية على المحور الرئيسى لمدخل الاستاد تتصل مباشرة بالمنطقة الرياضية خارج حدود المدينة كما يقع على محورها الرئيسى ايضا كل من مبنى القيادة العامة ولمثال الجندى المجهول ...

المنطقة الاولمبية
تقع فى قلب المدينة ، وتحيط بها بقية المناطق الهامة على شكل حلقة . ومساحة المنطقة الاولمبية ١٫٩٠٠٫٠٠٠ متر مربع ، يتوسطها ستاد القاهرة الرئيسى ويتسع لـ ٨٥٫٠٠٠ متفرج . وقد روعى فى تخطيط شوارعها ان تستقل عن شوارع المناطق الاخرى بحيث لا تتأثر حركة المرور فى حالة الزحام

المنطقة الجامعية
هى الجزء المكمل لمدينة عين شمس الجامعية ، وللذلك اليمتد فى الجزء المواجه لمبانى الجامعة مباشرة بحيث لا يفصلها عنها غير شارع الخليفة المأمون . ويشمل التخطيط انشاء نفق ارضى يربط المنطقتين ببعضهما . وتتسع المنطقة الجامعية لبناء الكليات اللازمة ، وقاعة للاحتفالات ومكتبة عامة ، وستاد جامعى ، وعدة معامل للابحاث

السوق الدولى
يتكون من ثلاثة اقسام رئيسية مرتبطة ومتصلة ببعضها .. القسم الرئيسى الخاص بالسوق الدولى ومساحته ٦٢٠٫٠٠٠ متر مربع . والقسم الثانى يضم منطقة المعارض والمتاحف . وفى القسم الثالث المنطقة التجارية والادارية الخاصة بالسوق نفسه

المنطقة الادارية
تضم المجمعات الحكومية الخاصة بـ الحكومة وادارتها . وتتصل فوقها مبا مباشرة بمدينة القاهرة ومواصلاتها دون أن تتعارض مع الحركة الداخلية لتخطيطها

ماكينة تخطيط مدينة نصر

مشروعات الإسكان فى مدينة نصر



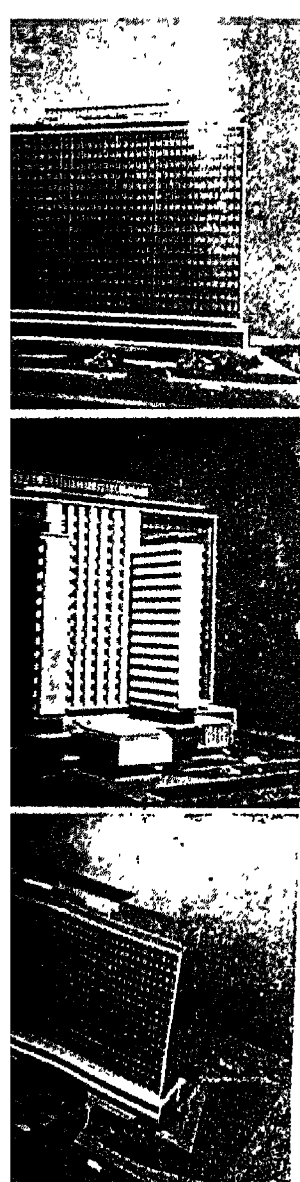
رابعـهـا: امتصاص انفجار النقل والمواصلات بتخطيط حدودها بين الطريقين الدائريين الداخلى والأوسط (صلاح سالم والقطامية)، حيث يمكن الاتصال بالمدينة من مختلف مناطق القاهرة وأحيائها، بغير حاجة إلى اختراق جميع الأحياء، بالإضافة إلى صمام أمن السيطرة على كثافة سكانها ووقايتها من الانفجار بمرونة امتدادها وحرية اتساع حدودها إلى المنطقة الصحراوية الجنوبية المفتوحة التى تفصلها عن الحزام الأخضر للمدينة الكبرى.

● لم أكد انتهى من الإجابة عن سؤاله حتى تحول عبوس وجه جمال عبدالناصر المعهود، لتحل محله ابتسامة من ابتسامات الرضا النادرة والاقتناع، وهو يتجه إلى السيد أنور السادات ويطلب منه إعداد القرارات الخاصة بنقل الثكنات العسكرية من مكانها بالعباسية إلى خارج العاصمة، وإصدار الأوامر لوزارة الإسكان بتنفيذ مشروع المدينة الذى تم بناء على طلبه وتوجيهاته وأن أكون مسئولاً عن الإشراف على تنفيذ تخطيطها، ووضع التصميمات الخاصة بمنشآتها الرئيسية المبينة فى الماكيت المجسم.

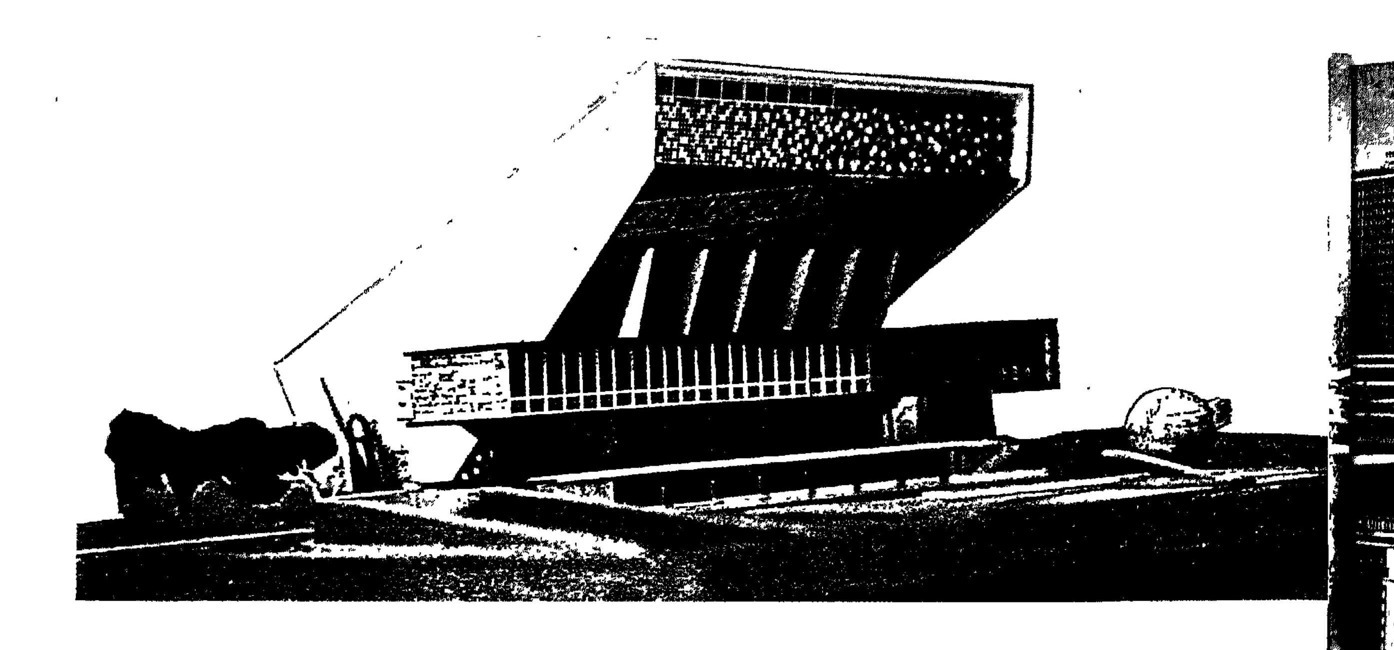
مع اعتماد المشروع اقترحت الوزارة إطلاق اسم جمال عبدالناصر على المدينة الجديدة، ولكنه رفض ذلك الاقتراح وطلب بنفسه أن يطلق على المدينة اسم «مدينة نصر» لأنه يعتبر نصراً لمشروعات الثورة العمرانية.

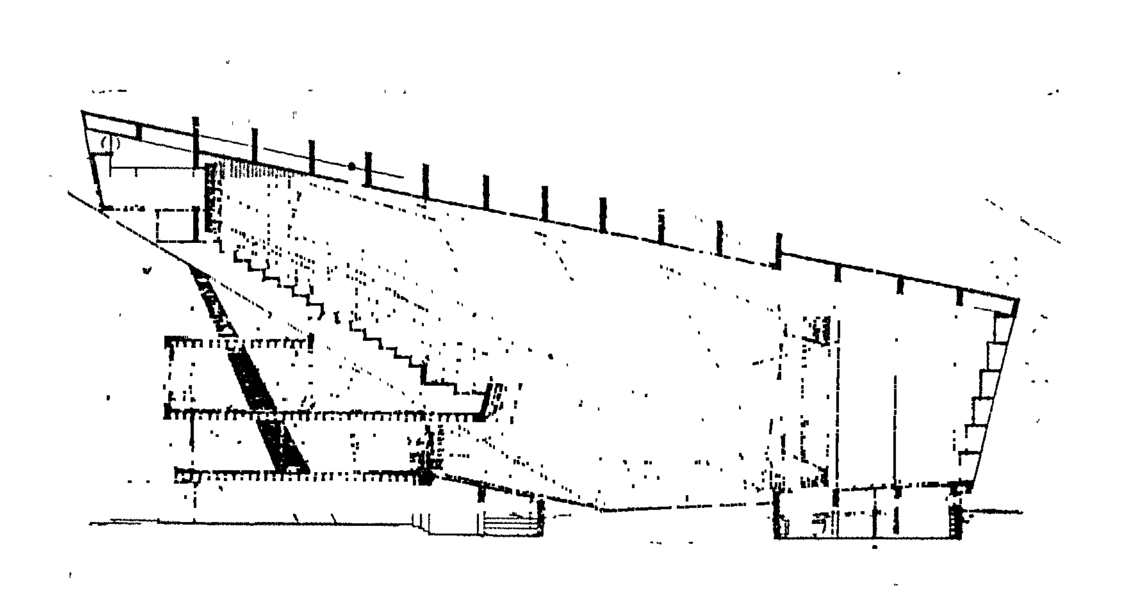
هكذا ولدت مدينة نصر، فكان الفضل الأول فى خروجها إلى حيز الوجود للسيد أنور السادات والأخير للرئيس جمال عبدالناصر.

مبنى الوزارات ـ بمدينة نصر



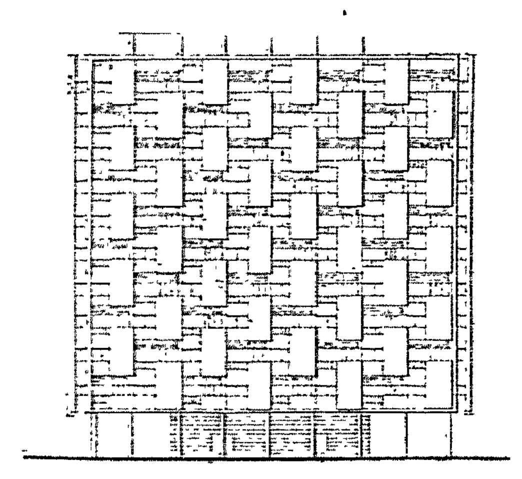
قصر ثقافة مدينة نصر

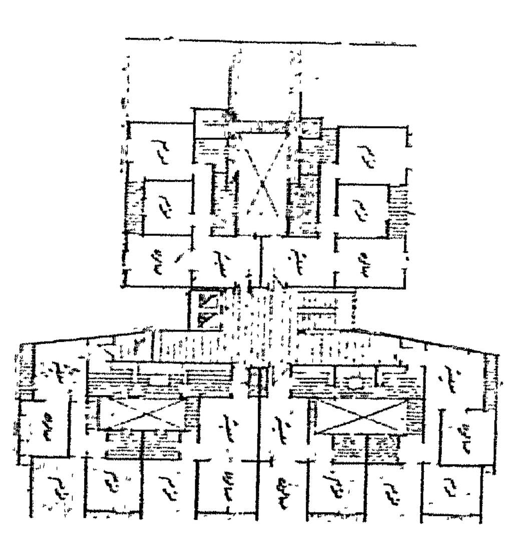


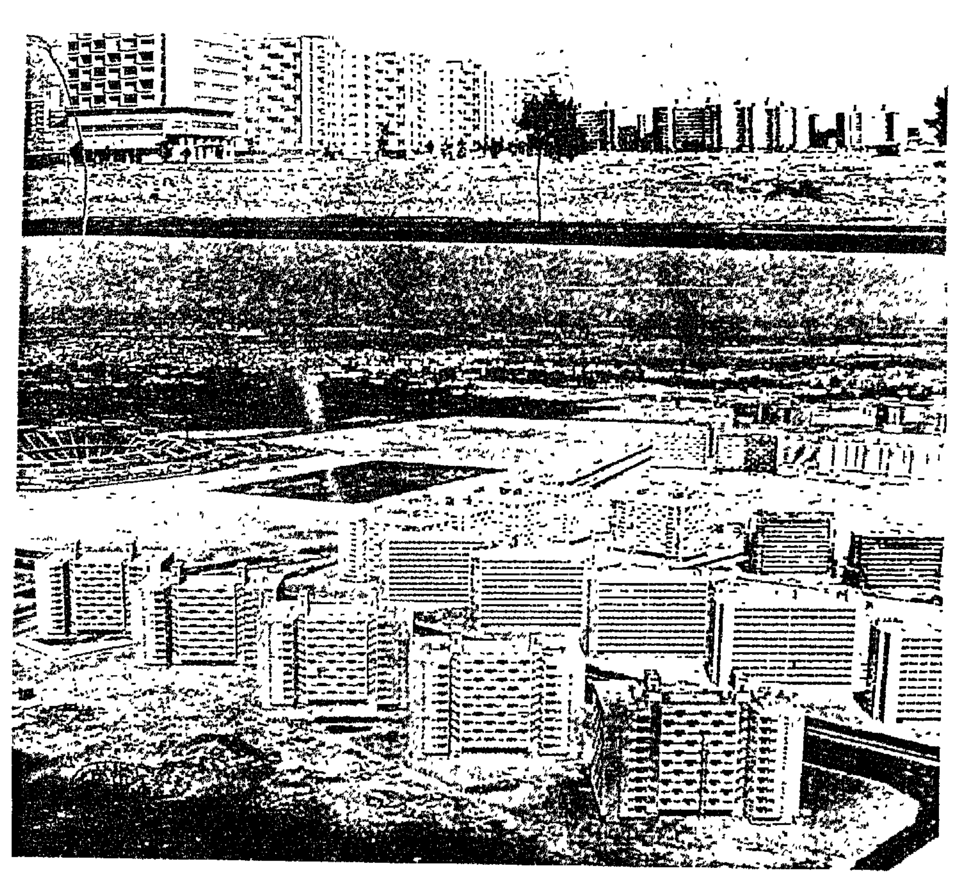


تخطيط قصر ثقافة مدينة نصر

العمارات السكنية بمدينة نصر







مدينة نصر والإسكان في مصر

تجتاز الجمهورية العربية المتحدة طفرة اجتماعية كبيرة وتغيير جذرى فى كل المفاهيم والقيم. وقد اختار الشعب الاشتراكية طريقاً يؤدى إلى العدالة الاجتماعية، ويدفع عجلة التطور فى اتجاهها الحتمى نحو النمو والازدهار.

وإذا كانت الاشتراكية إنما تحدد صورة من صور المجتمع، فإنه قد أصبح من الواجب تحقيقاً لهذا المبدأ أن ينعكس أثرها على الإسكان ذاته سواء من النواحي المعمارية أو الاقتصادية أو الاجتماعية فتحقق توفير خدمة الإسكان لأكبر عدد ممكن بأقل النفقات مع توفير الخدمات الاجتماعية.

وقد وضعت الاشتراكية من الناحية المعمارية طابعاً خاصاً بها يجمع بين التماثل والتكتل، مع الاستفادة لأقصى حد من طبيعة موقع البناء، بحيث يحقق أكبر فائدة ممكنة، وانعكس أثر ذلك على الناحية الاقتصادية بالعمل على توحيد نماذج الإنشاء، كالنوافذ والأبواب، والتوسع فى الأبحاث التى تؤدى إلى تخفيض نفقات الإنشاء، مع الارتباط بتحقيق الناحية الاجتماعية التى أصبحت حجر الأساس للاشتراكية، وذلك بأن يتوافر فى المجموعة السكنية ذاتها الخدمات اللازمة للسكان.

ولما كان الإسكان يلعب دوراً أساسياً فى بناء المجتمع ونموه وتطوره، فقد أنشأت الدولة المؤسسة المصرية العامة للإسكان والتعمير، وألحقت بها مؤسسات ضاحية مصر الجديدة ومدينة نصر والمعادى، كما تبعت إليها عدة شركات أخرى منها شركة التعمير والمساكن الشعبية، وشركة المبانى الحديثة (الشمس).

وقد قامت هذه المؤسسات بوضع خطط للإسكان والتعمير، مبنية على مفاهيم اشتراكية سليمة تنبع من صميم احتياجات الشعب الفعلية، وأصبح دستورها «الفن من أجل الشعب.. من أجل منفعة الشعب... من أجل سعادة المجموع...».

وقد قامت هذه المؤسسات بدراسة بعض المشروعات الإسكانية فى مناطق مختلفة، منها ما تم تنفيذه فعلاً، ومنها ما هو تحت التنفيذ... وهى بذلك إنما تسهم فى حل مشكلة الإسكان، وتقوى دعائم صرح البناء الاشتراكى للمجتمع.

وقد عهدت المؤسسة للمهندس الدكتور سيد كريم، بتخطيط أول مدينة جديدة كاملة تنشأ فى عهد الثورة على أحدث نظريات التخطيط، وهى مدينة نصر بالعباسية.

وتقوم على مسطح حوالى ١٢ كيلو متراً مربعاً (٦٠٠٠ فدان)، ويمتاز موقع المدينة باتصالها المباشر بجميع مداخل مدينة القاهرة.

وقد وضع تخطيط المدينة على أساس الجمع بين المركزية واللامركزية، نظراً للظروف والعوامل الخاصة بتكوينها، فهى تعتبر مدينة مستقلة كاملة التكوين تبعاً لموقعها الطبوغرافى ومساحتها وعدد سكانها، وهى مرتبطة من حيث علاقتها بمدينة القاهرة، حيث ستقوم فى الوقت نفسه بسد عدة ثغرات مكملة للتخطيط الشامل لمدينة القاهرة، كالمنظمة الأولمبية، واستاد القاهرة، ومنطقة السوق الدولية، والمنطقة الإدارية والمجمعات الحكومية، والمنطقة الجامعية. وقد تحدد موقع كل منطقة من تلك المناطق المختلفة تبعاً لعلاقتها بمدينة القاهرة وشرايين الاتصال الرئيسية بها والمناطق التى تخدمها.

وقد وزعت مناطق التكوين تبعاً لتلك النظرية كما يلي:

١ ـ المنطقة الأولمبية:

استاد القاهرة والملاعب	١٩٠٠٠٠٠ متر مسطح
٢ ـ السوق الدولية	٦٢٠٠٠٠ " "
٣ ـ المساكن الرياضية والشعبية	٢٨٠٠٠٠ " "
٤ ـ المنطقة الجامعية	٢٦٠٠٠٠ " "
٥ ـ المنطقة الإدارية والمجمعات الحكومية	٤٩٠٠٠٠ " "
٦ ـ المنطقة التجارية والإدارية	٤٤٠٠٠٠ " "
٧ ـ المنطقة العسكرية	٨١٠٠٠٠ " "
٨ ـ المنطقة السياحية	٦٥٥٠٠٠ " "
٩ ـ المنطقة الطبية المستشفيات والمؤسسات الطبية	٦٠٠٠٠٠ " "
١٠ ـ المناطق السكنية	٥٥٠٠٠٠٠ " "
	١١٦٥٥٠٠٠ متر مسطح

١ ـ المنطقة الأولمبية: وتقع فى قلب المدينة، وتم تخطيطها على شكل حلقة مقفلة، وتغطى المنطقة الأولمبية ٤٠٥٠ فداناً أى ١٩٠٠٠٠٠ متر مربع. ويقع فى مركزها استاد القاهرة الرئيسى الذى وضع تصميمه كى يستوعب حوالى ٨٥٠٠٠ متفرج، وتضم المنطقة الأولمبية مختلف الملاعب المكشوفة والمقفلة والمدرجات وممرات السيارات ومبانى إدارة الملاعب ومساكن الرياضيين.

٢ ـ السوق الدولية: كان من الأسس الرئيسية فى اختيار منطقة السوق الدولية لمدينة القاهرة، أن تكون على اتصال مباشر بالمدينة الأولمبية، حتى تتحقق فكرة اتصالها المباشر بمختلف شرايين النقل والمواصلات الخاصة بالمدينة وضواحيها المختلفة، ثم علاقتها المباشرة بالمدينة الأولمبية كجزء مكمل لها، مع إمكان الاستفادة من طرق الاتصال والتفريغ الرئيسية للسيارات ونقل الزوار.

٣ ـ منطقة المساكن الرياضية: وهى المنطقة المكملة لمنطقتى السوق الدولية والمدينة الرياضية، وتكون وحدة مشتركة متصلة، ومنفصلة عن بقية أحياء المدينة.

٤ ـ المنطقة الجامعية: وتعتبر مكملاً لمدينة عين شمس الجامعية، حيث ستقام عليها الكليات والمبانى اللازمة لجامعة عين شمس.

٥ ـ المنطقة الحكومية الإدارية: وموقعها المقترح، يقع عند مدخل المدينة، حيث تتصل اتصالاً مباشراً بمدينة القاهرة ومواصلاتها الحالية، وقد روعي في تخطيطها عدم تعارض موقعها مع الحركة الداخلية للمدينة.

٦ ـ المنطقة العسكرية: وتقع ملاصقة للمدينة الرياضية وعلى المحور الرئيسي لطريق مدخل الاستاد، وأخذ في الاعتبار اتصالها المباشر مع كل من: المنطقة الرياضية ومنطقة التجمعات العسكرية الموجودة خارج حدود المدينة. ويقع على المحور الرئيسي للمدينة الرياضية ساحة الاستعراضات العسكرية، والمنطقة الخاصة بها. كما يقع على محورها الرئيسي أيضاً النصب التذكاري للجندي المجهول.

واشتراكية الفيلا وتعمير مدن الغد التي دخلت فعلاً في حيز التنفيذ في عدة دول، وأثبتت نجاحها، تلك النظريات وحدها ستكون سابقة لأدائها، وستواجهها كثير من العقبات، وخاصةً إذا كانت ستقوم بها الجمعيات الفردية المحدودة الإمكانات.

لذلك فكان أول ما اتجه إليه التفكير، هو تخطيط المناطق السكنية، لتتمشى مع فترة الانتقال العمراني الذى يواجه التعمير التعاوني والحكومي في الوقت الحاضر، أي أن تجمع بين نظريات الأمس التي ما زالت تسيطر على أغلبية مشروعات التعمير حالياً ونظريات في التجميع الأفقي والرأسي ذى الملكيات المحددة، التجميع ذو الاشتراكية الشاملة للسكن والمرافق والمنافع والأرض.

فالخلية السكنية وضع تصميمها بطريقة مرنة تحقق إمكان التطور خلال المراحل الثلاثة، فاحتلت المساكن الفردية وسط الخلية وأحيطت بحلقة من المساكن المجمعة المعلقة، حتى لا تحجب داخل الخلية عن المحيط الخارجي، كما انفصلت الخلايا السكنية المقفلة عن طريق المرور السريع بواسطة خلية عاملة اشتراكية، عبارة عن نطاق أخضر يتوسطه صف من الأبراج السكنية المرتفعة والمتباعدة حتى لا تحجب المناطق السكنية عن المنطقة الرياضية، ولا تكون حائطاً مقفلاً يتعارض مع التكوين التشكيلي للمدينة. ولكل خلية من الخلايا السكنية مدرستها الابتدائية وروضة الأطفال التي تربط بعدها عن المساكن تبعاً للقطر الانتقال المسموح به، بحيث لا يتعدى ٢٥٠ متراً لروضة الأطفال ، ٥٠٠ متر للمدارس الابتدائية، ٩٠٠ متر للمدارس الثانوية، والأخيرة تشترك عدة خلايا في كل واحدة منها، ولكل خلية سوقها التجارية، والتي روعي في وضعها أن تشترك أسواق أكثر من خلية مع بعضها مكونة سوقاً واحدة مشتركة لمجموعة لا تقل عن ١٠ آلاف ساكن، كما تشترك مجموعة أكبر في الخلايا يصل عددها إلى ٣٠ ألف ساكن في وحدة ثقافية منجمعة بها المجال التجاري العلم والمكتبة ودار السينما والمسرح والنادي.

وتشمل اللائحة خلاف المباني الرئيسية التي سبق ذكرها ضمن كل منطقة على حدة ما يلي:ـ

١ ـ منطقة تجميع وسائل النقل، وهي المحطة المركزية التي تتقابل فيها جميع الخطوط الداخلية والخارجية ووسائل النقل، وتقع عند مدخل طريق المرور الذى يتصل اتصالاً مباشراً بكل من، طريق السويس ومطار القاهرة، وطريق حلوان والوجه القبلي وطريق المطرية والزيتون، خلاف الخطوط الداخلية لمدينة القاهرة، أو شبكة الخطوط الداخلية للمدينة.

٢ ـ جمرك القاهرة، ويقع بالقرب من المحطة المركزية.

٣ ـ سوق الجملة، وتقع مبانيها بجوار الجمرك.

٤ ـ مبنى إدارة مؤسسة المدينة، ويقع عند المدخل الرئيسى الموصل إلى كل من المنطقة الجامعية والمنطقة الحكومية.

٥ ـ المبانى الثقافية، وهى شبكة التعليم الرئيسية بالمدينة، بحيث يغطى قطر الانتقال الخاص بكل منها رياض الأطفال التى يعتبر الحد الأقصى لقطر انتقالها ٣٥٠ متراً، والمدارس الابتدائية والثانوية التى تغطى مسطح المناطق السكنية بأكملها. وبالمدينة مركزان ثقافيان رئيسيان، بكل منهما مكتبة شعبية وقاعة للسينما والمحاضرات، ونادٍ للرياضة، كما يدخل ضمن البرنامج العمرانى الثقافى عدة معاهد للبنات، والمدرسة الصناعية الثانوية، والمدرسة التجارية، ومبنى مديرية التعليم.

تقع المنطقة الصناعية للمدينة جنوب المدينة على طريق الأوتوستراد الممتدة منها إلى حلوان، بحيث تقع المنطقة الإدارية والتجارية الخاصة بها على الطريق مباشرة، وتقع المنطقة الصناعية التى ستتركز فيها الصناعات الخفيفة فقط فى خلية منعزلة، لها طرقات دخولها وخروجها المتصلة بالأتوستراد.

وقد استدعت المؤسسات المعنية بالإسكان كبار المهندسين المعماريين للمشاركة مع مهندسيها فى وضع التصميمات لنماذج الوحدات السكنية، ومنهم الأستاذ على لبيب جبر، والدكتور سيد كريم، والأستاذ محمود الحكيم، والدكتور عوض كامل، والمهندس أحمد شرمى، والمهندس محمد أحمد عزمى، والمهندس طاهر الجوينى. وأول مشروع قامت به المؤسسة العامة للإسكان والتعمير، هو مشروع مدينة الإعلام بالعجوزة، وهو عبارة عن حى سكنى تقرر تخصيصه للمشتغلين فى أجهزة الإعلام بالدولة.

وقد اشترك فى وضع التصميمات المعمارية للوحدات السكنية لهذا المشروع، الإدارة الفنية للمؤسسة المصرية العامة للإسكان والتعمير، والمهندس المعمارى الدكتور سيد كريم، والدكتور عوض كامل. وقد ألحق بالوحدات السكنية كذلك منطقة خدمات عامة، بها كل ما يلزم لسكان هذا الحى من أسواق ومناطق ترفيهية أسفل العمارات «نموذج ٣٥»، لتوفر عليهم الجهد والوقت والانتقال إلى الأسواق العامة خارج المنطقة، حتى لا يزيد الضغط على المواصلات.

ورؤى أن تشتمل المنطقة على مطاعم لخدمة السكان، ومسرح وسينما ومكتبة وكافيتريا وسوق تجارية. ويعلوها ثلاث عمارات نموذج٣٥، تشتمل على عشر ڤيلات وثمانية شقق كل دورين.

وينفذ كذلك فى مدينة الإعلام العمارة السكنية نموذج ١٦ ، وقد صممت على أساس الاحتياجات الفعلية للطبقة المتوسطة، أى محدودى الدخل... وبها ١٢ دوراً وبكل دور ٨ شقق ٢ غرفة وصالة و٤ شقق ٢ غزفة وصالة.

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٥٥/١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6072 - 5



موسوعة لغز الحضارة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٨٧٥ قرشا